الجمـهـورية الجزائـريـة الديـمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليـم العـالي والبحث العلمـي
جـامعـة وهـران
كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

أسرة بني حمدون الأندلسية

و دورها في المغرب و الأندلس

خلال القـرن الرابع الـهجري / العاشـر الميلادي

مذكرة مقدمة لنيـل شهـادة الماجستيرفـي التاريخ و الحضـارة الإسلامية

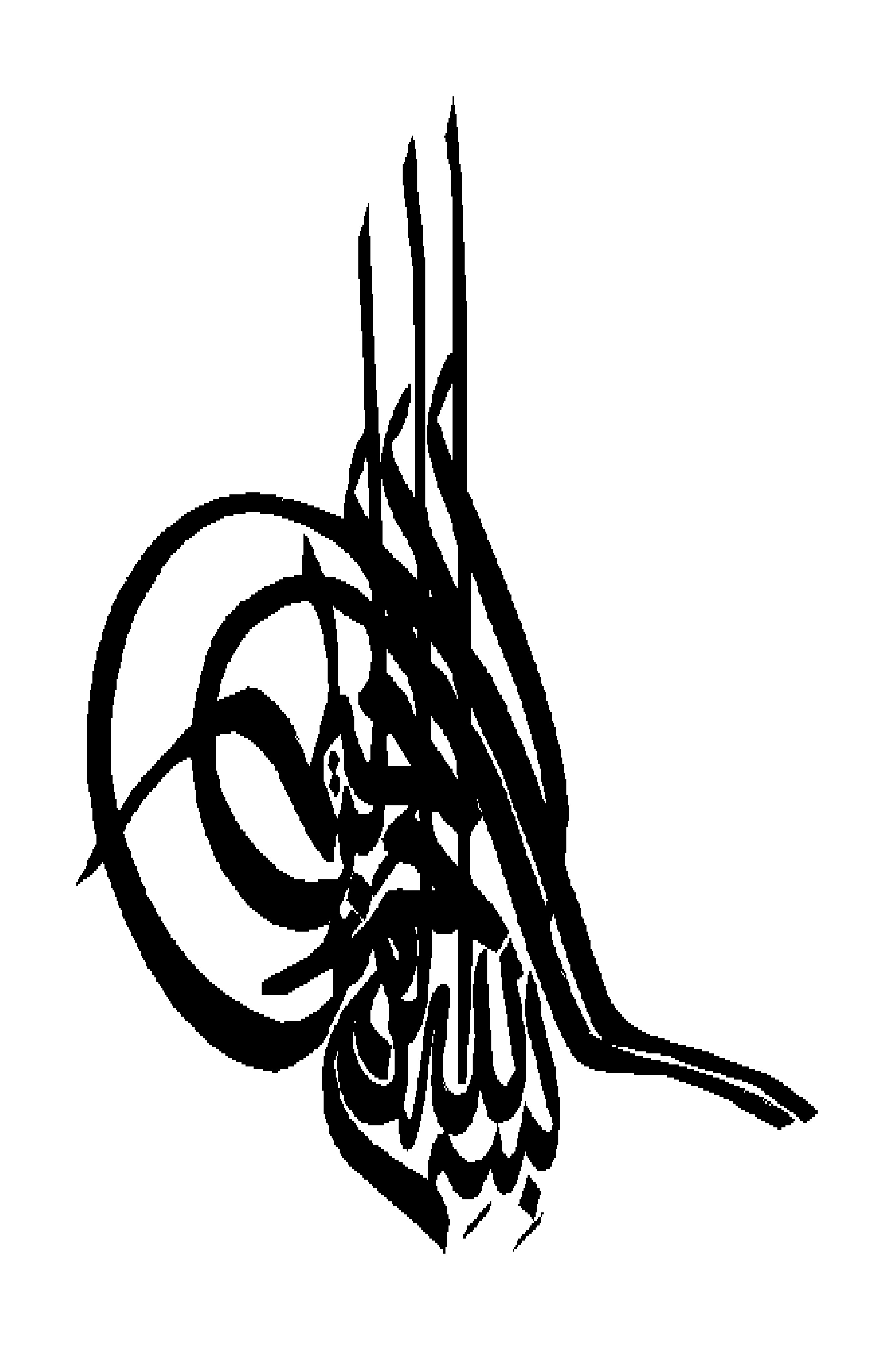
إشراف الدكتور : محمد بن معمر

إعداد الطالب : محمد سعداني

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د عبد المجيد بن نعمية..................... رئـيسا. جـامعة وهـران
د.محمـد بــن معمــر........................ مقــررا . جـامعة وهـران
د.الجيلالي سلطـاني.................... عضوا مناقشا جامعة وهران
د.العربي قلايلية .... عضوا مناقشا .جامعة وهران

السنة الجامعية : 2008/2007



إهداء

إلى من جعل الله رضاهما رضى له

إلى من ضحى وأفنى العمر في تربيتي ورعايتي

إلى اللذين مهما فعلت لهما...لن أرد جميلهماوإحسانهما

إلى والديّ

شكر وعرفان

لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتوجه بالشكر الجزيل والعرفان الكبير إلى كل الذين ساعدوني وساندوني على إتمام هذا البحث.و أولهم أساتذة قسم الحضارة الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران الذين كان لهم الفضل في تعليمي، وتحفيزي على البحث العلمي؛وأخص بالذكر المشرف الدكتور محمد بن معمر الذي تعهد هذا العمل بالرعاية والتوجيهات الدقيقة.كما أشكر الأساتذة المؤطرين الذين شجعوني على المضي في البحث،ولم يبخلوا بزادهم المعرفي ومتابعاتهم الحثيثة.ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أوجه امتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة على قراءاتهم الحصيفةومراجعاتهم المُسدِّدة ومناقشاتهم الخصبة.

ولا أنسى أيضا فضل عائلتي التي حفزتني على الاستمرار في إنجاز هذا العمل وبالأخص أخي سعداني يوسف الذي وقف بجانبي ودعمني .و من باب الوفاء أقدم شكري لمدير ثانوية الطيب بلقندوز بدائرة ابن باديس،ولاية سيدي بلعباس، مختار عين السبع لما أتاحه لي من أسباب مواصلة الدراسات العليا.وهذا دون أن أغفل عون الأصدقاء.

إلى كل هذه الأيدي البيضاء خالص عرفاني وتقديري.

مقدمة

مقدمة:

يمثل تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط فضاء ثريا للبحث،وبالخصوص ما تعلق بأسرة بني حمدون الأندلسيّة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.ولاشك أنّ ارتباطها الوثيق بالخلافة الفاطمية من جهة،وبالخلافة الأموية في الأندلس من جهة ثانية يرسّخ دورها التاريخي والسياسي.ومثل هذا الحضور المميز يشجع على تقصيّ المساهمة السياسية والحضارية لبني حمدون في المغرب والأندلس.

لذلك فإنّ اختيار دراسة **أسرة بني حمدون الأندلسية** لم يكن من فراغ،وإنّما كان أوّلا بدافع وطني،إذ كان طموحي استكشاف التاريخ الجزائري؛وبالأخص ما ارتبط منه بالتاريخ الإسلامي.ولا يقل الدافع الثاني شأنا عن سابقه،فثمة رغبة مني في تعميق انتمائنا الإسلامي والعربي.وفي هذا الصدد أيضا كانت الحوارات التي كان يفتحها الأساتذة المؤطرون حول التاريخ السياسي والحضاري للمغرب الإسلامي حافزا على الاهتمام بأسرة بني حمدون ودورها في المغرب،وبالأخص في ظل الخلافة الفاطمية.

ولعل مقال الباحث **المهدي بوعبدلي** _ رحمه الله_ المنشور في مجلة التاريخ، والمتمحور حول الدور السياسي والثقافي لمدينة المسيلة،والخلاف الذي قام بين أمير الزاب جعفر بن عليّ وزيري بن مناد أمير أشير،والذي ختمه بمناشدة الباحثين في تاريخ الجزائر، وبالأخص طلبة الجامعات على دراسة تاريخ مدينة المسيلة،والإمارة الحمدونية التي قامت فيها،جعلني أتحمس أكثر لدراسة هذا الموضوع.

فضلا عن ذلك،لم أجد في حدود قراءتي للمصادر التاريخية، وما كتبه الباحثون إحاطة شاملة بتاريخ أسرة بني حمدون الأندلسية.ولذا اجتهدت قدر المستطاع أن أتتبع الدور الذي قامت به هذه الأسرة خلا ل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.ومن ثم ما اطّلعت عليه لم يتعد في معظمه، مقالات قصيرة محدودة التفاصيل والمعلومات.بل إنّها قد تقتصر على مصدر دون آخر،وأحيانا تكتفي بجانب من تاريخ أسرة بني حمدون دون غيره من الجوانب الأخرى.وحتى ما نجده في ثنايا مصادر التاريخ الإسلامي العام،أو في صلب الكتب المتخصصة في تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب،وتاريخ الدولة الأموية بالأندلس،وتاريخ الجزائر الإسلامي عن هذه الأسرة لا يتجاوز الإشارات التاريخية، أو إيراد

مقدمة:

الروايات المندرجة في سياق التاريخ العام للمغرب والأندلس في العصر الوسيط.

ولاريب،فإنّ هذه الكتب والمقالات لها قيمتها التي لاتنكر،فقد أنارت لي طريق البحث،وحتى ما شملها من عمومية في تناول تاريخ أسرة بني حمدون الأندلسية كان هاديا لي في استكشاف الجوانب التي ظلت موضع تساؤل،وعلى وجه التحديد ما اتّصل بأصل هذه الأسرة،وكيفية دخولها إلى المغرب، وعلاقتها بالفاطميين ومذهبهم الإسماعيلي؛ودورها في قيام دولتهم وتثبيت أركانها في المغرب.فضلا عن بنائها لمدينة المسيلة وأسباب ذلك،وإسهامها في إنشاء الإمارة بإقليم الزاب،والتي تميزت بالاستقلالية رغم تبعيتها للخلافة الفاطمية.وقد لا يكون إبراز حدودها الجغرافية، ومظاهرها الحضـارية أقل قيمة مـن الإشكـاليات السـابقة.ثم إنّ انقلاب أسرة بنـي حمدون على الفاطميين ، والتحاقها بالدولة الأموية في الأندلس ، يستدعي البحث في أسباب تغير ولائها،ودورها في الأحداث التي وقعت في البلاط الأموي بالأندلس.

وبطبيعة الحال،إنّ ما يزيد دراسة هذه الأسرة أهمية،ارتباطها بالخلافة الفاطمية بالمغرب،وبالخلافة الأموية في الأندلس،وبالصراع الذي كان قائما بينهما؛وبالتالي حينما نتتبع المسار التاريخي لهذه الأسرة سنكتشف خلفياته السياسية والمذهبية.

وعليه،فإنّ الانشغالات التي راودت فكري حول أسرة بني حمدون كانت وراء اختيار موضوع هذا البحث، الموسوم:

"أسرة بني حمدون الأندلسيّة ودورها في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي".

وبناء على ذلك قسمت هذا البحث إلى مقدمة ،وخمسة فصول،وخاتمة.

ففي **الفصل الأول** الذي عنونته **"أسرة بني حمدون و قيام الدولة الفاطمية"** ، تناولت بالدراسة أصل أسرة بني حمدون،وكيفية دخولهم إلى المغرب،ثم اتصالهم بالفاطميين ودورهم في مرحلة الدعوة الفاطمية بقبائل كتامة،ووقفت بعد ذلك على سفارة عليّ بن حمدون للفاطميين بالمشرق،وخدمته لولي العهد أبي القاسم.

أمّا **الفصل الثاني** فقد سمّيته **" مساهمة بني حمدون في بناء مدينة المسيلة"**،**و** خصصته **أوّلا** للطبيعة الجغرافية والسكانية للمكان الذي أنشئت عليه مدينة المسيلة ،ثم عرّجت **ثانيا** على إشكاليات تأسيس المدينة،فتطرقت إلى المؤسّس وظروف التأسيس،ثم وقفت عند تسمية المدينة،وتتبعت بعد ذلك تاريخ وأسباب تأسيسها.وبيّنت **ثالثا** تكليف علي بن حمدون ببناء وتعمير المدينة.

وفي **الفصل الثالث** الذي وسمته بـ **" إمارة بني حمدون و دورها السياسي والعسكري"**، بحثت في الحدود الجغرافية للإمارة،وبعد ذلك تناولت الطبيعة السياسية لنظامها ،ثم ركزت على الإمارة في عهدي **علي بن حمدون** و**جعفر بن**

مقدمة:

علي بن حمدون.

وانسجاما مع الفصول السابقة،كان **الفصل الرابع** محاولة من أجل توضيح الإسهامات الحضـارية لأسـرة بني حمدون.ومـن هذه الـزاوية بيّنت الجوانب الحضـارية لإمارة بني حمدون ،وبالأخص الاقتصادية والعمرانية والثقافية منها.ولهـذا سمـيت الفصـل **بـ" الدور الحضاري لإمارة بني حمدون".**

ثم أتبعت ذلك **بالفصل الخامس** الذي عنوانه **"قطيعة بني حمدون مع الفاطميين واللجوء إلى الأندلس".** وهنا استجبت للتدرج التاريخي الذي وجه خطة هذا البحث،فكان الحديث عن التغيّر لدى بني حمدون من حيث ولاؤهم الذي تحوّل من الفاطميين إلى الأمويين بالأندلس.وفي هذا المضمار عالجت لجوء بني حمدون إلى الأندلس،وبيّنت دورهم في خلافة الحكم المستنصر الأموي.ثم تتبعت دورهم في دولة الحاجب المنصور بن أبي عامر.وفي نهاية المطاف وقفت على النهاية السياسية لأسرة بني حمدون.

ولقد واجهتني عدة **صعوبات**،أثناء قيامي بالبحث،ولكن أبرزها كان قلة المادة التاريخية التي تتحدث عن أسرة بني حمدون،ومراحل نشأتها؛وبالأخص ما تعلق بوضعيتها في الأندلس قبل انتقالها إلى المغرب، ونشاطها في الدعوة الفاطمية بين قبائل كتامة.وأيضا ما اتصل بالإمارة وحدودها الجغرافية،ومظاهر حضارتها.بالإضافة إلى ذلك،تضارب الروايات التاريخية وتعارضها.وهذا كله تسبب في وجود فجوات كبيرة في تاريخ أسرة بني حمدون،ممّا اضطرني في بعض الأحيان إلى ترميم هذه الفراغات بالاستناد إلى تمحيص الروايات،وترجيح بعضها على بعض بحسب اقترابها من الحقيقة التاريخية.

واستندت في إنجاز هذا العمل على استعمال نصوص **المصادر الأساسية القديمة** ،وتعاملت معها مباشرة،محاولا البحث عن الأسباب والنتائج وتحليل الأحداث، وجمع الروايات،والمقارنة بينها،وتمحيصها ومناقشتها،ومن ثم الخروج بخلاصات واستنتاجات تضيء على نحو ما تاريخ أسرة بني حمدون.

وقد اعتمدت في دراستي على مصادر تاريخية عديدة،ويمكن أن أصنف المصادر الرئيسة فيما يلي:

_ **مصادر التاريخ الفاطمي:**أولها"**سيرة الأستاذ جوذر"** لأبي علي منصور الجوذري العزيزي.وتتمثل أهمية هذا الكتاب في كونه وثيقة تاريخية،إذ يتضمن رسائل وجوابات متبادلة بين الخلفاء الفاطميين الذين حكموا المغرب وخـادمهم **"جوذر"**،وبالأخـص تلك التي لها عـلاقة بجعفر بن علي بن حمدون في أثناء ولايته لإقليم الزاب.وعلى هـذا،فهذا الكتاب ينفرد بأخبار مهمة عن جعفر بن عليّ بن حمدون وإمارته بالمسيلة،وعلاقته بالخليفة المعز.

وأما المصدر الفاطمي الثاني والمهم،فهو كتاب **"افتتاح الدعوة"** للقاضي

النعمان الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري(363هـ/973_974م) ،و يعتبر المؤرخ الرسمي للدولة الفاطمية،والمطلع على أسرارها وأخبارها،ويعد كتابه الذي انتهى من تأليفه سنة 346هـ/950م المصدر الأصلي الوحيد حول بداية الدعوة الإسماعيلية، وقيام الدولة الفاطمية في إفريقية،بالإضافة إلى أنّه كان معاصرا لأسرة بني حمدون.وممّا يزيد من قيمة كتابه احتواءه على معلومات لا نجدها عند غيره من المؤرخين، والمتعلقة بأبي عبد الله محمد الأندلسي ،أحد أفراد الأسرة الحمدونية،ودوره في مرحلة الدعوة الفاطمية بين قبائل المغرب.

كما استفدت كثيرا من كتاب **"عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار "** للداعي إدريس عماد الدين القرشي المتوفي سنة سنة 872هـ/1468م ،وعلى الخصوص القسم الذي يؤرخ فيه للخلفاء الفاطميين بالمغرب،وقد حققه محمد اليعلاوي. وأهمية هذا الكتاب أنّه موسوعة للتاريخ الفاطمي،نقل فيه الداعي إدريس عن عدة كتب إسماعيلية سابقة ،اثنان منها للقاضي النعمان،وهما **"افتتاح الدعوة" و"المجالس والمسايرات"**.ومن غير المستبعد أنّ القسم الذي خصصه الداعي إدريس لثورة أبي يزيد الخارجي، نقله من كتاب مفقود للقاضي النعمان الذي أرّخ فيه لثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي ،وقد أشار إليه في كتابه **"افتتاح الدعوة"** .وتكمن نفاسة هذا القسم من كتاب **"عيون الأخبار"** في كونه يغطي فترة الخلفاء الفاطميين الثلاثة:عبيد الله المهدي والقائم بأمر الله والمنصور.وينفرد بمعلومات دقيقة ومفصلة عن حملة أبي القاسم الفاطمي إلى المغرب،وما صاحبها من تأسيس مدينة المسيلة، وتكليف علي بن حمدون ببنائها.كما تضمن أحداث ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي، وبخاصة التي جرت بالقرب من مدينة المسيلة في عهد ولاية جعفر بن علي بن حمدون.

ومن المصادر الفاطمية أيضا،والتي أمدتني بمعلومات عن أسرة بني حمدون وإماراتها كتاب **"أخبار بني عبيد وسيرتهم" لابن حماد الصنهاجي** المتوفي سنة626هـ/1230م،وكتاب **"اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الخلفا"** للمقريزي المتوفي سنة 845هـ،وقد انفرد جزؤه الأول بالرواية المتعلقة باستخلاف الخليفة المعز لجعفر بن علي على المغرب؛وأما الجزء الثاني فقد وردت فيه معلومات تاريخية عن مهمة يحيى بن علي في مدينة طرابلس.

_ **المصادر غير الفاطمية:** وأولها كتاب **" المقتبس في أخبار بلد الأندلس"** لابن حيان القرطبي المتوفي سنة 469هـ/1076م،وقد نقل مادته من مؤلفات المؤرخين الذين سبقوه،وخاصة أحمد بن محمد الرازي (ت 344هـ/955م)، وابنه عيسى الرازي(ت379هـ/989م.ويظهر أنّه اقتبس ما يتعلق بتاريخ المغرب عن كتاب محمد بن يوسف الوراق القيرواني المتوفي سنة 362هـ/973م، والذي كان قد رحل من إفريقية ،ومكث في قرطبة في عهد الحكم المستنصر.ويلاحظ أنّ أغلب

مقدمة:

المصادر التي اعتمد عليها ابن حيان مفقودة.

لهذا فإنّ كتابه "**المقتبس**" يكتسي أهمية كبيرة. وقد استندت على القطعة الرابعة التي تعالج الجزء الأكبر من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر،ابتداء من سنة 300هـ/912م وانتهاء إلى سنة 330هـ/941م،واعتنى بنشرها ب.شالميتا بالتعاون لضبطها وتحقيقها مع ف.كورينطي وم.صبح وغيرهما.والقطعة الخامسة التي تتناول فترة خمس سنوات فقط(360-364هـ/970_974م) من خلافة الحكم المستنصر بالله،التي حققها عبد الرحمن علي الحجي.ورغم أنّ القطعة الرابعة أفادتني ببعض المعلومات عن عليّ بن حمدون حينما كان واليا على إقليم الزاب،إلاّ أن اعتمادي الأكبر كان على القطعة الخامسة من كتاب "**المقتبس**".وقد تميزت هذه القطعة بمعلومات وفيرة ونادرة عن أسرة بني حمدون الأندلسية،حيث احتوت على رواية مفصلة ومهمة نقلها ابن حيان عن محمد بن يوسف الوراق القيرواني ،وهو من مؤرخي القرن الرابع الهجري.وقد عرّف فيها بأصل أسرة بني حمدون، وكيفية دخولها إلى المغرب واتصالها بالفاطميين،وبنائها لمدينة المسيلة،وولايتها لإقليم الزاب،وظروف وأسباب انفصالها عن الخلافة الفاطمية.وقد أورد ابن حيان أيضا رواية أخرى لأبي جعفر بن الجزار القيرواني المتوفي سنة369هـ/980مـ،وتتعلق بانفصال جعفر عن الفاطميين.وتضمنت هذه القطعة كذلك نقولا طويلة عن عيسى بن أحمد بن محمد الرازي،وصفا دقيقا لدخول جعفر بن علي وأخيه يحيى إلى الأندلس، وبعض المعلو مات عن وضعهما بالبلاط الأموي في عهد الخليفة الحكم المستنصر الأموي.

ومن المصادر التي استفدت منها كتاب "**البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس**" لابن عذارى المراكشي الذي كان بقيد الحياة سنة 712هـ/ 1312مـ،حيث نجد أنّ القسم الأول المتعلق بتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى ظهور المرابطين،قد احتوى معلومات عن بناء مدينة المسيلة،وظروف تأسيسها.كما اشتمل على بعض الإشارات لولاية عليّ بن حمدون.أما القسم الثاني من كتاب "**البيان**"،والذي يؤرخ فيه ابن عذارى لتاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر،فقد أورد فيه الرواية نفسها التي نقلها ابن حيان في "**المقتبس**" عن محمد بن يوسف الوراق،والمتعلقة بتاريخ أسرة بني حمدون،إلاّ أنّها مختصرة. وتتمثل الإضافة في القسم الثاني من "**البيان**"، فيما احتواه من معلومات ثريّة عن دور جعفر بن عليّ في الحركة الانقلابية التي قام بها الحاجب بن أبي عامر،وأيضا في الكيفية التي قتل بها.

وثالث هذه المصادر "**كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"،وهو المشهوربـ"**تاريخ ابن خلدون**" لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة 808هـ/ 1405مـ .ويعتبر هذا المصدر من الكتب التاريخية التي فصّلت

مقدمة:

في تاريخ أسرة بني حمدون الأندلسيّة، حيث أفرد ابن خلدون في الجزء الرابع من تاريخه لهذه الأسرة و إمارتها بمدينة المسيلة فصلا كاملا لخص فيه تاريخها من بداية ظهورها بالمغرب إلى أن اختفت عن مسرح الأحداث،وقد عنونه بـ **(الخبر عن بنى حمدون ملوك المسيلة والزاب بدعوة العبيديين ومآل أمرهم).** بالإضافة إلى ذلك نجد في أجزاء من **"تاريخ ابن خلدون"** بعض الروايات التاريخية المتعلقة بدور بني حمدون في ظل الدولة الفاطمية، وعلاقتهم ببني زيري وظروف انفصالهم عن الدولة الفاطمية،و على وجه التحديد ما ورد في الجزء الرابع والسادس والسابع.

وأما المصدر الرابع فهو **" مفاخر البربر"** لمؤلف مجهول،كان حيا سنة 712هـ ،من تحقيق عبد القادر بوباية، وأهميته تتمثل في نقله لرواية ابن حيان التي تؤرخ لانفصال جعفر بن علي عن الفاطميين، ونزاعه مع زيري، ودخوله إلى الأندلس، ودوره في ظل الخليفة الحكم المستنصر، وعلاقته بالحاجب محمد بن أبي عامر.

ويلي ذلك،كتاب **" نهاية الأرب في فنون الأرب"،** لأحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفي سنة 733هـ /1333مـ ،واعتمدت على ما انتخبه مصطفى أبو ضيف حمد من هذا الكتاب،والمتعلق بتاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط،وقام بتحقيقه والتعليق عليه،ووسمه بـ **" تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب".**وقد انفرد هذا الكتاب برواية حول استخلاف الخليفة المعز لجعفر بن علي،ونزاعه مع زيري،وما صاحب ذلك من انفصاله عن الفاطميين.

وهناك مصادر أخرى أفادتني في البحث لما فيها من معلومات عن بني حمدون ودورهم في ظل الدولة الفاطمية بالمغرب،وفي ظل الدولة الأموية بالأندلس؛وأخص بالذكر **" الكامل في التاريخ"** لابن الأثير المتوفي سنة 630هـ/ 1232مـ،وكتاب **"تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام"** للسان الدين بن الخطيب المتوفي سنة 776هـ/ 1374مـ،تحقيق إ.ليفي بروفنسال.

_ **مصادر التراجم والأعلام:** وأولها كتاب **"وفيات الأعيان وأنباء الزمان"** لابن خلكان المتوفي سنة 681هـ/ 1181مـ ،والذي أفرد ترجمة لجعفر بن عليّ بن حمدون،وأيضا لشاعر أسرة بني حمدون،ابن هانئ الأندلسي.ويليه في الأهمية كتاب **" الحُلّةالسيَرَاء"** لابن الأبار المتوفى سنة 658هـ/ 1260مـ ،وقد وردت فيه ترجمة ليحيى بن عليّ بن حمدون،وإشارات عن ظروف اغتيال جعفر بن عليّ بن حمدون.

_ **مصادر الجغرافيا والرحلات:** ومن أهمها كتاب **" صورة**

مقدمة:

الأرض"لابن حوقل الذي عاش في القرن الرابع الهجري(ت 367هـ)،وأهمية كتابه تأتي من كونه معاصرا للفترة التي نؤرخ لها،وأنّه تجول في منطقة المغرب وشاهد مدنها،وسجل ملاحظاته عنها.
ومن ذلك مدينة **المسيلة** التي بناها بنو حمدون.ولهذا فوصفه لهذه المدينة ولإقليم الزاب جغرافيا واقتصاديا وسكانيا يكتسي قيمة تاريخية.وأيضا يعتبر المقدسي من الجغرافيين الذين دخلوا إلى المغرب في القرن الرابع الهجري،و أمّدنا بمعلومات مهمة عن مدينة المسيلة وإقليم الزاب، من خلال كتابه **"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"،** الذي حرره سنة 375هـ/ 985مـ ،وقد استندت على ما اقتبسه شارل بيلات (Charles Pellat) من هذا الكتاب،والخاص بوصف بلاد المغرب،وقام بتحقيقه والتعليق عليه وترجمته إلى الفرنسية،وعنونه "Description Musulman au IV= X siècle"

ويأتي بعدهما في الأهمية ، ما كتبه البكري (أبو عبيد) المتوفي سنة 487هـ/ 1094مـ ، في كتابه **" المسالك والممالك"** ،الذي لم يصل إلينا منه سوى الجزء الخاص بوصف بلاد إفريقية والمغرب ، والمسمى **" المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"،و** قام بنشره البارون دوسلان.ويلاحظ أنّ البكري قد أثرى كتابه بما نقله عن كتاب **"المسالك والممالك"** لمحمد بن يوسف الوراق الذي عاش في القرن الرابع الهجري.وقد تضمن كتاب البكري معلومات قيمة عن مدينة المسيلة من حيث تأسيسها ووصفها جغرافيا واقتصاديا.

ومن كتب الجغرافيا التي أفادتني في الكشف عن الناحية الجغرافية والاقتصادية لمدينة المسيلة كتاب " **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** " للإدريسي المتوفي سنة 560هـ/ 1160مـ،وقد اعتمدت على ما حققه وانتخبه محمد صادق الحاج من هذا الكتاب ،وبالتحديد القسم الخاص ببلاد المغرب، وقد سماه **"المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ".** واعتمدت أيضا على كتاب **" الإستبصار في عجائب الأمصار"** لكاتب مغربي غير معروف من كُتاب القرن السادس الهجري.كما رجعت إلى كتاب **" معجم البلدان"** لياقوت الحموي المتوفي سنة 626هـ/1229مـ .

وبالإضافة إلى المصادر الجغرافية،استفدت من كتب الرحلات،وأخص بالذكر **" رحلة التجاني"** لأبي محمد عب ـد الله بن محمد بن أحمد التجاني المتوفي ما بين 706_ 708هـ/ 1306_1309م،وقد انفرد بمعلومات حول قضية طرابلس وتولية يحيى بن عليّ عليها.

_ **مصادر أدبية:** ومن أبرزها كتاب **" تاج العروس من جواهر القاموس** "لمرتضى الزبيدي، وفيه بعض المعلومات حول تسمية مدينة المسيلة.كما كان **"ديوان ابن هانئ"** وسيلة للتعرف على إمارة بني حمدون

وحضارتها المتجلية في قصائده.

وقد استعنت بعدد من الدراسات التاريخية المختلفة للباحثين، والتي لها علاقة بأسرة بني حمدون الأندلسية،ودورها بالمغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.فاستفدت من الآراء والنتائج التي توصل إليها هؤلاء الباحثون، وأخص منهم بالذكر فرحات الدشراوي في كتابه **" الخلافة الفاطمية بالمغرب،التاريخ السياسي والمؤسسات "** وكتاب الهادي روجي إدريس **" الدولة الصنهاجية"**، وقد نقلهما إلى العربية حمادي الساحلي .وإلى جانب ذلك كتاب**" دور كتامة"** لموسى لقبال ، و كتاب**"في تاريخ المغرب والأندلس "** لأحمد مختار العبادي. و كتاب**" ابن هانئ المغربي الأندلسي،شاعر الدولة الفاطمية "** لمحمد اليعلاوي .كما اعتمدت أيضا على كتب أخرى،ومنها **" العلاقات السياسيةوالروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين "** لمحمد بن معمر ، و **" دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي "** لمحمد بن عميرة ،وكتاب **" العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب "** لعبد العزيز فيلالي.

ومن المراجع التي استفدت منها أيضا في هذا البحث، **"تاريخ الجزائر في القديم والحديث"**، الجزء الثاني،لمبارك محمد الميلي الذي خصص مساحة من كتابه تحدث فيها عن إمارة بني حمدون بمدينة المسيلة

وحضارتها.وكتاب **"تاريخ الجزائر العام"** لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي . وكتاب "أعلام الفكر والثقافة في الجزائر " ليحيى بو عزيز ،وكتاب "موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي" لعثمان الكعاك.

وقد استعنت كذلك ببعض المقالات التي كتبت حول أسرة بني حمدون وإمارتها بالمسيلة،وماتضمنته من آراء ومعلومات.وأذكر بالخصوص منها ثلاث مقالات أفادتني في البحث؛ المقالة الأولى كتبها الشيخ المهدي بوعبدلي في مجلة التاريخ بعنوان **" ماضي المسيلة السياسي والثقافي عب ـر التاريخ والخلاف بي ـن زيري بن من ـاد وجعفر بن عليّ أمير مسيلة "**،والمقالة الثانية لمحمد اليعلاوي في مجلة الأصالة ،وعنوانها **" بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ لأندلسي "**،والمقالة الثالثة لصباح إبراهيم الشيخلي بعنوان **" النشاط التج ـاري فـي بلاد المغ ـرب خلال القرن 4هـ/10مـ،دراسة من خلال كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل"**.

وفي الختام،فإنّني لا أنزه هذا البحث عن النقائص ، ولكنّني تحصّنت قدر المستطاع بالدراسات التاريخية ذات الصلة بموضوع البحث ، وهي جهود قرّبتني أكثر من فهم الإشكالية المتعلّقة بدور أسرة بني حمدون الأندلسية في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .وما من شك في أنّ الفضل يعود أساسا إلى توجيهات المشرف الدكتور محمد بن معمر لما أبداه من الاهتمام والتشجيع والتصويب

المعرفي والمنهجي .

وأخيرا أتمنى أنني أضفت ولو شيئا قليلا إلى مكتبة تاريخ المغرب الإسلامي عموما،وإلى تاريخ بلادي الجزائر خاصة؛فإن أصبت فمن الله،وإن أخطأت فمن نفسي.

"وما توفيقي إلاّ بالله"

الفصل الأول

أسرة بني حمدون وقيام الدولة الفاطمية

- ❖ أصل بني حمدون ودخولهم إلى المغرب
- ❖ اتصال بني حمدون بالفاطميين
- ❖ دور بني حمدون في مرحلة الدعوة الفاطمية بقبائل كتامة
- ❖ سفارة علي بن حمدون للفاطميين بالمشرق وخدمته لولي العهد الفاطمي أبي القاسم

1_ **أصل بني حمدون ودخولهم إلى المغرب:**

ينتسب بنو حمدون إلى جذام ،القبيلة العربية اليمنية القحطانية[1] ،و**الأندلس** هي موطنهم الأول قبل الهجرة إلى المغرب [1]، لهذا عُرفوا بلقب**"ابن**

1 ابن حيان ،المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي =

الأندلسيّ"[2].وجدهم الأكبر **عبد الحميد**[3] ،وقد ذكر ابن حيان وابن عذارى نقلا عن محمد بن يوسف الوراق أنّه الداخل إلى الأندلس من بلاد الشام[4].ونزل بكورة

=

الحجي.بيروت:دار الثقافة،(د.ت)،ص33. ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس ،تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وإليفي بروفنسال.بيروت:دار الثقافة،ط2،سنة 1980،ج2،ص242. البكري أبو عبيد ،المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق دوسلان De Slane. القاهرة: دار الكتب،(دت)،ص59.ابن حماد،محمد بن علي أبي عبد الله،أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس.القاهرة:دار الصحوة سنة1401هـ،ص46. ابن الأبار،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي،الحُلّة السيَرَاء،تحقيق حسين مؤنس.القاهرة:دار المعارف،ط2،سنة1985،ج1،ص305.ابن خلدون،عبد الرحمن،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار.بيروت:دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،سنة2000م،ج4،ص107.

1 ابن حيان ، المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،ص 33.ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ،وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تحقيق إحسان عباس.بيروت:دار الثقافة،سنة1968،ج1،ص360. ابن عذارى،البيان،ج2 ،ص361 .ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.

2ابن حيان،المقتبس، عبد الرحمن علي الحجي،ص23.ابن عذارى المراكشي،البيان،ج2،ص242.البكري، المغرب،ص59. مؤلف مجهول،مفاخر البربر،تحقيق عبد القادر بوباية.الرباط:دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ط1،سنة2005،ص96.ابن الأبار،الحلة السيراء،ص305.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4، ص107.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام،تحقيق إ.ليفي بروفنسال.بيروت:دار المكشوف، ط2،سنة1956،ص64.وعند الحميدي الأندلسي وابن خاقان و ابن حماد وياقوت الحموي:"ابن الأندلسية". ينظر الحميدي الأندلسي،أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ،جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي.بيروت:منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،ط1 سنة1997،ص85.ابن خاقان،أبو نصر الفتح القيسي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس،تقديم وتحقيق وتعليق مديحة الشرقاوي.مصر:مكتبة الثقافة الدينية،ط1 سنة2001،ص170. ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الروميّ،مُعجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.بيروت:دار الكتب العلمية،ط1 سنة 1411هـ/1991،ج5،صص468،469. ابن حماد ، أخبار بني عبيد، ص46.

3 ذكر محمد اليعلاوي أن عبد الحميد جد أسرة بني حمدون ،و صغّره النطق الإسباني فصار اسمه "حمدون"،كما وقع في "خلدون" و"عبدون" وغيرهماولكن الظاهر،أنّ الروايات التاريخية صريحة في أن عبد الحميد هو الجد الأكبر لحمدون. محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي،شاعر الدولة الفاطمية.بيروت:دار المغرب الإسلامي سنة1985،ص 84.

4 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجي،ص33.ابن عذارى،البيان،ج2،ص242.و ذكر فرحات الدشراوي أن عبد الحميد الجذامي وعائلته قد هاجرت من الشام إلى ألمرية بالأندلس.ينظر فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،التاريخ السياسي والمؤسسات،نقله إلى العربية حمادي الساحلي.بيروت:دار الغرب ط1 سنة1994،ص85.

الإلبيرة[1] بقرية من قرى قلعة يحصب[2]. ولكن دون أن يوضحا كيفية دخوله،و السنة التي دخل فيها. ولكن هناك احتمال كبير أنّه دخل إلى الأندلس مع جيش الشام[3] والذي يُعرف بـ " طالعة الشاميين" أو "الطالعة البلجية"[4]،وذلك في سنة 123هـ

1ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص33.ابن عذارى المراكشي،البيان ،ج2،ص242.إلبيرة(Elvira):"من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي عبد الرحمن بن معاوية ،وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك...وحولها أنهاركثيرة،وكانت حاضرة إلبيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة فخربت في الفتنة وانفصل أهلها إلى مدينة غرناطة،فهي اليوم قاعدة كورها،وبين إلبيرة وغرناطة ستة أميال.ومدينة إلبيرة بين القبلة والشرق من قرطبة". محمد بن عبد المنعم الحميري،الروض المعطار في خير الأقطار،تحقيق إحسان عباس.بيروت:مكتبة لبنان،ط2سنة 1984،ص28.

2 ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص33.وعند المقري أن قلعة يحصب كانت تعرف بقلعة بني سعيد،ولكنها عرفت في التواريخ بـ"قلعة يحصب" نسبة إلى يحصب من حمير،لكثرتهم في هذه القلعة. المقري ،أحمد بن محمد التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق إحسان عباس.بيروت:دار صادر،سنة1997،ج1،ص297.

3 مصطفى أبو ضيف أحمد عمر،القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية ،ص54.

4 هذا الجيش الشامي أرسله الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك إلى المغرب،للرد على الهزائم التي تلقتها الجيوش الأموية على يد البربر الثائرين من ذوي النزعة الخارجية ،وكان ذلك في سنة 123هـ،وحينها أصبح كلثوم بن عياض القشيري واليا على المغرب بدلا عن ابن الحبحاب و قائدا للجيش الشامي الذي كان يتكون من إثني عشر ألف مقاتل ,بينما كان ابن أخيه بلج بن بشر القشيري، وثعلبة بن سلمة العاملي نائبين له ،ويُعرف هذا الجيش بالطالعة العربية الثانية تمييزا له عن الطالعة العربية الأولى،والتي كانت بقيادة موسى بن نصير وكان معظمها من أهل الحجاز.وعند وصول هذا الجيش الشامي خاض معركة في مواجهة البربر الثائرين انتهت بهزيمته ومقتل قائده كلثوم بن عياض في مكان يطلق عليه بقدورة على ضفاف نهر سبو في آخر سنة 123هـ/741مـ،واستطاع ابن أخيه بلج بن بشر أن يفر بعشرة آلاف فارس من الشاميين إلى مدينة سبتة ويتحصن بها،وبعدما تعرضوا لحصار شديد من الثوار البربر،سمح لهم والي الأندلس عبد الملك بن قطن بالعبور إلى الأندلس .وأيضا تبع هذا الجيش الشامي إلى الأندلس جيش آخر جاء من الشام بقيادة أبي الخطار الكلبي في سنة 125هـ/743هـ،ويتكون من ثلاثين رجلا،ويطلق عليه " الطالعة الثانية من الشاميين".عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ،فتوح إفريقيا والأندلس ،تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع .بيروت:الشركة العالمية للكتاب،دار الكتاب اللبناني ،دار الكتاب العالمي،سنة 1987،ص 96.ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جس.كولان و إ.ليفي بروفنسال.بيروت:دار الثقافة،ط2،سنة 1400هـ1980مـ ،ج1،صص55،65.ج2،ص32.ابن القوطية ،أبو بكر محمد بن عمر،افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري.القاهرة:دار الكتاب المصري ،بيروت:دار الكتاب اللبناني،ط1،سنة 1982/1402،صص40،43. المقري، نفح الطيب،ج1،ص236أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب و الأندلس.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر،دون تاريخ،صص87،88.عبد =

أو124هـ[1]/740م- 741مـ، والملاحظ أنّ هذا الجيش الشامي الداخل إلى الأندلس كان يضم أعدادا كبيرة من المنتسبين إلى قبيلة جذام اليمنية[2] ،ومن المحتمل أن يكون عبد الحميد الجذامي من بينهم[3].

والروايات التاريخية تتوقف عند ذكر اسمه ونسبه وبعض أسماء أبنائه دون أن تمدنا بمعلومات عن دوره ودور أسرته في الأحداث الجارية بالأندلس.وقد اكتفت بتسليط الضوء على أسرة أحد أحفاده المسمى حمدون[4]؛وقد ذكرت المصادر أنه الداخل من هذه الأسرة إلى المغرب[5].و اختلف المؤرخون في سلسلة نسبه ، فابن حيان ذكر أنه ابن سملك[6] بن سعيد بن ابراهيم ...بن احمد بن عبد الحميد الجذامي[7]،بينما أخبر البكري و ابن خلدون أنه ابن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسيّ[8].

العزيز فيلالي،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب. ا لجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة1982، صص49،50،51.

1 عند ابن عذارى وابن الأثير سنة123هـ، وزاد ابن عذارى:من شهر ذي القعدة. البيان،ج2،ص31. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي.بيروت:دار الكتب العلمية،ط2سنة1995،ج4،ص458. وعند ابن خلدون و المقري:سنة 124هـ.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص 152.المقري،نفح الطيب،ج1،ص236. ويورد ابن عبد الحكم التاريخين معا.ابن عبد الحكم،فتوح،ص99.

2 بوخالفة نور الهدى،أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة.وهران:جامعة وهران،معهد التاريخ، رسالة دكتوراه الدولة(مخطوطة)،السنة الجامعية:1994-1995،ص234.

3 وبعد دخول الشاميين إلى الأندلس، ضاقت بهم قرطبة ،فقام أبو الخطّار بن ضرار الكلبي بتفريقهم في كور الأندلس،فكانت إلبيرة من نصيب أهل دمشق.فهل يمكن أن نفترض أن مدينة عبد الحميد الجذامي الشامي كانت هي دمشق على أساس أنّه كان من النازلين بإلبيرة؟ابن القوطية،افتتاح الأندلس،ص44.المقري، نفح الطيب،ج1،ص237. أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب و الأندلس،ص89.

4 عند ابن خلكان:حمدان.ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص360.

5 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،ص33.ابن عذارى:البيان،ج2،ص242.

6 ضبط ابن حيان نقلا عن محمد بن يوسف الوراق اسم والد حمدون بلام بدل ألف المد هكذا:سملك. ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص33.

7 المصدر نفسه،ص33.

8 البكري ،المغرب،ص59.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.

وذكر القاضي النعمان في كتابه "**افتتاح الدعوة**" شخصية تنتمي إلى أسرة حمدون ، وهي **أبو عبد محمد الأندلسي**[1]،غير أنّه لم يصرح بنسبه إلى هذه الأسرة ،وإن كان الدشراوي يجزم أنّ القاضي النعمان " لا يمكن أن يجهل أصل هذا الرجل ،وكان يعرف أعقابه بلا شك،قد رأى من الفائدة أن لا يقدم عنه معلومات أوفر"[2]. ولكن استطاع ابن خلدون أن يرفع هذا اللبس، فوضّح أنّ أبا عبد الأندلسي هو " **محمد بن حمدون بن سماك الأندلسيّ من بجاية[3] الأندلس**"[4].وذكر الأندلس"[4].وذكر أيضا ابن خلّكان أنّ لحمدون ابنا يسمى أحمد[5]،ويبدو أنّه تحريف لاسم محمد الأندلسي؛وإن كان الاسمان (محمد ،أحمد) متقاربين في رسم الحروف والدلالة.

---

1 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،تحقيق فرحات الدّشراوي.تونس:الشركة التونسية للطباعة والنشر،سنة 1975،ص 40. الداعي إدريس عماد الدين،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار،تحقيق محمد اليعلاوي.لبنان:دار الغرب الإسلامي،ط1،سنة 1985،ص86. وذكر ابن عذارى المراكشي نفس هذا الاسم في تاريخه:**محمد بن حمدون**،ولكن نسبه إلى المعافر الحميريين،وأضاف أنه في سنة252هـ "قام ببناء الجامع الشريف بالقيروان المنسوب إليه: بناه بالآجر والجص والرخام، وبنى فيه جبابا للماء".ولا ندري هل هو نفسه محمد أبي عبد الله الأندلسي بن حمدون الجذامي.أم أنه فقط تشابه أسماء. ابن عذارى المراكشي،البيان،ج1،ص114.

2 فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،صص84،85.

3 بجاية: "مدينة بالجزائر ،تقع على ساحل البحر المتوسط في خليج مفتوح تكتنفه جبال بابور،أسس الفنيقون هذه المدينة من قديم ودعوها صلدة ثم أصبحت رومانية تحت اسم صلادي ثم خربت بعد ذلك علي أيدي الوندال والبربر وبقيت على هذه الحال حتى بناها من جديد الناصر بن علناس بن حماد بن زيري الصنهاجي في حدود سنة 457هـ وسماها الناصرية ثم سميت بجاية على اسم القبيلة البربرية التي تقيم حولها" لسان بن الخطيب،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام،تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني.الدار البيضاء:دار الكتاب،1964،ص76،الهامش رقم1.ويقول عنها البكري :"مدينة أزلية عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة...ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل وعلى تلك الجبال قبائل كتامة،وهي شيعة". البكري،المغرب، ص82.ويقول عنها الإدريسي :"وهي مدينة المغرب الأوسط وعين يلاد بني حماد،وعمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلقين وهي التي ينسب إليها دولة بني حماد". الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،تحقيق محمد صادق الحاج.ديوان المطبوعات الجامعية،سنة 1983،صص116،117. وينظر أيضا أحمد توفيق المدني،كتاب الجزائر.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،ط2،سنة1984، صص196،197.

4 ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج4 ، ص42.

5 ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص360.

وإلى جانب حمدون وابنه أبي عبد الله الأندلسيّ ، هناك شخصية مهمة تنتمي إلى أسرة بني حمدون ، وهي المعروفة باسم عليّ[1] ، وقد سماه بذلك الداعيّ[2] أبو عبد الله الشيعي واستمر به ، و اسمه الحقيقي ثعلبة[3].واعتمادا على ما ذكره ابن حيان نقلا عن الوراق أنّ عليّا كان عمره في سنة287هـ/901م ثماني عشرة سنة[4]،وعلى هذا فإنّ ولادته كانت في سنة 269هـ/883م.أمّا مكان ولادته ونشأته فإن المصادر لا تذكر عنه شيئا،ومن المحتمل أنّه ولد بالأندلس ونشأ بها ثم رحل مع أسرته إلى المغرب[5].

وهناك إشكالية تتعلق بالعلاقة التي تربط عليّ بن حمدون بأبي عبد الله محمد الأندلسيّ .فهل هما أخوان،ووالدهما حمدون؟أم أن الولد الحقيقي لعليّ هو محمد الأندلسي ؟ولعل إثارة هذه الإشكالية يعود إلى ذلك الغموض الذي يكتنف شخصية أبي عبد الله الأندلسي.والذي لم يرد ذكره إلا في كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان،وما نقله عنه ابن خلدون والداعي إدريس القرشي.

ويلاحظ أن أغلبية المؤرخين يصرحون أن عليّا هو ابن حمدون[6].و ذكر ابن ابن خلدون في تاريخه أنّ أبا عبد الله الأندلسي هو ابن حمدون الجذامي،وبالتالي فهذا يؤكد الرأي القائل بأن أبا عبد الله الأندلسي و عليّا تربطهما رابطة الأخوة.وفي المقابل نجد ابن خلكان يؤكد أن عليّا هو ابن أحمد بن حمدون[7]،وإذا اعتبرنا أن

---

1 كناه ابن خلدون بأبي ضبيعة. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.ويكنى أيضا بأبي الحسن. عثمان الكعاك،موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي.بيروت:دار الغرب الإسلامي،ص159.

2 الداعي:" عند الإسماعيليين هو الذي يدعو إلى مذهب في إقليم من أقاليم أو جزيرة من الجزر،فهو الذي يمثل الإمام في المكان الذي يوجد فيه.وله مكانة ممتازة بين الأتباع ويلقب بداعي الدعاة أو الداعي الأكبر". مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،سنة 1983،ص12،الإحالة رقم15.

3 ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص34.

4 المصدر نفسه،ص34.

5 المهدي بوعبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي عبر التاريخ والخلاف بين زيري بن مناد وجعفر بن عليّ أمير المسيلة.مجلة التاريخ،رقم 6،جويلية 1978،ص143. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر،القبائل العربية في المغرب،ص54.

6 ابن حيان ، المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص33. البكري ، المغرب ،ص 59 . مؤلف مجهول،مفاخر البربر ،ص96.ابن عذارى ، البيان،ج2 ، ص 242 .ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص46. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص217.ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص305.ابن الأثير ،الكامل ، ج7،ص195.

7 عند ابن خلكان: علي بن أحمد بن حمدان.وهو تحريف لاسم حمدون.ابن خلكان،وفيات =

أحمد هو نفسه محمد الأندلسي،فهذا يجعل ابن خلكان ينفرد من بين أغلب المؤرخين من أن عليّا والده ليس حمدون،ولكن هو أحمد أو محمد الأندلسيّ.

وعلى هذا النحو تعددت آراء الباحثين حول علاقة القرابة بين أبي عبد الأندلسي وعليّ بن حمدون ، فذهب بعضهم إلى أنّهما أخوان[1]استنادا إلى ما أثبته أغلب المؤرخين من أن عليّا هو ابن حمدون الجذامي.ومن جهة أخرى نجد الشراوي يرى أن الذي لقبه القاضي النعمان بالأندلسي وكناه بأبي عبد الله هو حمدون نفسه[2]،وعلى هذا فهو والد عليّ.

وتأسيسا على ما سبق ،فالرأي الراجح هو أنّ محمدا الأندلسي وعليا أخوان ووالدهما حمدون،لأنّ معظم المؤرخين يؤكدون على أنّ عليّا هو أحد أبناء حمدون،ولم يشذ عن هذا القول إلا ابن خلكان.وكذلك فإن جوذر[3] قد أورد في

=

الأعيان،ج1،ص360.

1 عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،ص131.محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي،شاعر الدولة الفاطمية،ص 84.محمد اليعلاوي. بطلا بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ لأندلسي، مجلةالأصالة، السنة (4) ،العدد(24)،مارس أبريل،مطبعة البعث قسطينة،السنة 1975،ص49 .

2ينظر فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب،صص 549،85 .

3 جوذرالصقلبي، الأستاذ: من رجال الدولة الفاطمية.كان في صغره عبدا من مماليك الخليفة الفاطمي عبيد المهدي،وقد أهداه إلى ولي عهده أبي القاسم القائم بأمر ليكون في خدمته.و ارتفعت منزلته عند القائم ،فاستخلفه،وهو لا يزال وليا للعهد على قصره، وبعد توليه الخلافة جعله صاحب بيت ماله، والموكل بخزائن الكساء، والسفير بينه وبين الناس. وتوفي القائم (سنة 334 هـ) وهو يواجه ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ،فخلفه ابنه المنصور في منصب الخلافة، وكتم خبر موته، وواصل في محاربة أبي يزيد مخلد بن كيداد،فخرج لمطاردته والقبض عليه، واختار جوذر ليكون خليفته على دار الملك وسائر البلاد وسلمه مفاتيح الخزائن، ثم كان يبعث الكتب من القيروان وعليها عنوان القائم (والد المنصور) ليوهم الناس بأنه لا يزال حيا،وتصل الكتب إلى جوذر فيتصرف بها.وبعدما استطاع المنصور من القضاء على ثورة مخلد بن كيداد،رجع إلى المهدية و أعلن وفاة والده ، و أعتق جوذر من الرق وأطلق عليه لقب (مولى أمير المؤمنين) وهو أول من لُقب به ، وأمره أن يجعل مكاتباته لجميع الناس (من جوذر مولى أمير المؤمنين إلى فلان) وألا يكتني في رسائله أحدا ولا يقدم على اسمه اسما إلا الخليفة وولي عهده المعز لدين .ثم كانت منزلته عند المعز كما كانت مع أبيه.و اصطحبه المعز في رحلته إلى مصر، فمات في الطريق، في مكان يعرف بمياسر، بالقرب من برقة.وقد خصص له تلميذه منصور الجوذري العزيزي كتابا في سيرته وحياته سمّاه بـ(سيرة الاستاذ جوذر). منصور الجوذري العزيزي، أبو علي ،سيرة الأستاذ جوذر،تحقيق محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة.مصر:دار الفكر العربي،(د.ت) صص39،44،46،47،51،54،87،109،147.خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر
=

توقيعاته رسالة للمعز[1] الخليفة الفاطمي،يصرح فيها أن عليّا هو ابن حمدون[2]،والمؤكد أن هذا الخليفة كان قريبا من أسرة بني حمدون بحيث لا يمكن أن يخطئ في نسب عليّ .وهذا ينسجم أيضا مع ما أثبته ابن خلدون في تاريخه صراحة بأنّ أبا عبد الأندلسي هو ابن حمدون الجذامي.

وأما فيما يتعلق بأسرة عليّ بن حمدون،فقد ذكر ابن حيان نقلا عن محمد بن يوسف الورّارق أنّ عليّا "وقع في بلاد كتامة "[3]لما قام بالرحلة إلى المشرق رفقة والده حمدون لأداء فريضة الحج وهناك تزوج بامرأة من قبيلة جِيَمْلَة الكتامية ، واسمها ميمونة بنت علاهم الجِيَمْلي[4]، ومن هذا الزاوج تكونت أسرة عليّ بن حمدون ،والتي كان لها فضل بناء مدينة المسيلة وتأسيس الإمارة.

الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .بيروت: دار العلم للملايين،ط5سنة،ج2سنة 1980 ،ج2،ص144.

1 المعز لدين الله: وهو الخليفة الرابع من الخلفاء الفاطميين،وهو المعز معد أبو تميم بن المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل،ولد بالمهدية في 11رمضان سنة 319هـ/26سبتمبر931م، وبويع بعهد من أبيه في حياته،وتولى الخلافة بعد وفاته المنصور سنة341هـ،و استقرت الأمور في عهده وبسط نفوذه على المغرب،و قد نجح في الاستيلاء على مصر سنة 358هـ، فقرر الرحيل إليها،حيث كان يحكم دولته من العاصمة "القاهرة".و استخلف بلكين يوسف بن زيري على إفريقية والمغرب. وقد كان المعز مثقفا يجيد عدة لغات محبا للعلم.وقد خصص له قاضيه النعمان كتابا يتحدث فيه عن سيرته وأقواله و أرائه و مجالسه ومسايرته وسماه" المجالس والمسايرات".توفي المعز سنة 365هـ/976م ،وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وخمسة أشهر وأيام ،ومقامه بمصر سنتان وتسعة أشهر وبقيتها ببلاد المغرب.القاضي النعمان بن محمد، كتاب المجالس والمسايرات،تحقيق الحبيب الفقي و إبراهيم شبُوح و محمد اليعلاوي. تونس:المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،سنة 1978. المقريزي،تقي الدين أحمد بن علي،اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،تحقيق جمال الدين الشيال.القاهرة:وزارة الأوقاف،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة إحياء التراث بالإسلامي ط2 سنة1996،ج1،ص93.ابن خلكان، الوفيات،ج5 من ص254 إلى 228. ابن أبي دينار،أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيراوني،المُؤنس في أخبار إفريقية وتونس. تونس:المكتبة العتيقة،ط2سنة1967، صص63،66. الزركلي، الأعلام،ج7،ص265. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصروسوريةوبلاد العرب.القاهرة:مكتبة النهضة المصرية،ط2سنة1958،ص 93.حسن إبراهيم حسن،طه أحمد شرف،المعز لدين الله.مكتبة النهضة المصرية،ط2سنة1964.

2 منصور الجوذري العزيزي،سيرة الأستاذ جوذر،ص 75.

3 ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،ص34.

4 المصدر نفسه،ص34. وذكر ابن حيان نقلا عن الوارق أن زوجة عليّ ابن الأندلسي هي "ميمونة بنت علاهم الجيلي،قبيل من كتامة"،"وهو تحريف لجِيَمْلَة أحد بطون كتامة". القاضي النعمان ، افتتاح

و تتكون هذه الأسرة بالإضافة إلى الأب والأم من بنتين ، انفرد ابن حيان بذكرهما، وهما عزيزة وزينب [1]، وابنان وهما جعفر ويحيى[2] ،واللذان سيكون لهما دور بارز في أحداث المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري .

وأما فيما يخص انتقال حمدون وأسرته من الأندلس إلى المغرب،فقد أورد ابن حيان وابن عذارى اعتمادا على محمد بن يوسف الورّاق،أن حمدون نزل ببجاية [3]، والتي كانت في ذلك الوقت من المراسي العامرة بالأندلسيين المهاجرين إلى المغرب[4]، ويحدد لنا ابن حيان نقلا عن الورّاق المكان الذي استقر به حمدون ونسله،وهو قرية تُعرف بقسطلنانة،تقع في نواحي بجاية[5].وأما عن التاريخ الذي انتقلت فيه أسرة بني حمدون إلى المغرب فمن المحتمل أن يكون بعد سنة 269هـ/883م،وهي السنة التي وُلد فيها عليّ بن حمدون،والذي ربما كانت ولادته بالأندلس.

وذكر القاضي النعمان في كتابه "افتتاح الدعوة" أن أبا عبد محمد الأندلسي بن حمدون كان نازلا بسُوجْمَار[6]من بلد سُمَاتَة[1]، وبهذاالموضع " كان

=

الدعوة،ص47،الهامش رقم 4. وذكر موسى لقبال أن اسم جيملة يطلق " على بقايا مدينة رومانية هي (Cuiculum)بقرب مدينة العلمة،وقرية بني عزيز (ايكجان) وهي تحتفظ باسم قبيلة جيملة الكبرى التي كانت تنتشر فروعها حتى جيجل وعند بني سكتان منها يوجد فج الأخيار". موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية .الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1979،ص153،الهامش رقم326. ويرى الطالبي أن بني سكتان وجموع جيملة استقروا أول الأمر في الناحية التابعة لميلة. محمد الطالبي،الدولة الأغلبية،التاريخ السياسي،نقله إلى العربية المنجي الصيّادي.لبنان:دار الغرب الإسلامي،(د.ت)،ص659،الإحالة رقم 170. وذكرت نور الهدى بوخالفة أن جيملة والتي هي بطن من كتامة،انتشرت على عدوتي وادي جندين بين جيجل وسطيف ،وتوغلت في الداخل إلى منطقة العلمة.ينظر نور الهدى بو خالفة،أنساب القبائل العربية المهاجرة ،ص471،الإحالة رقم3.

1 ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص53.

2 المصدرنفسه،ص 33.ابن عذارى ،البيان،ج2،ص242.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون ،ج4،ص107.ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص305.ابن حماد،أخبار بني عبيد ،ص46.

3 ابن حيان،تاريخ ابن خلدون، ص34 .ابن عذارى ، البيان،ج2، ص242.

4 البكري ،المغرب، ص82.

5 ابن حيان ،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجي، ص34.

6 عند ابن الأثير سوق حمار.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450. وعند المقريزي: سوق حماد.المقريزي،تقي الدين أحمد بن علي،اتعاظ الحُنفا،ج1،ص41،الإحالة رقم1. وعند ابن خلدون:سوف جمار،ويذكر أنها من أرض كتامة.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.وتقع سوجمار في جنوبي شرقي قسطيلية.ينظر،فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص79. ويرى موسى لقبال أن"كلمة

=

مُعلما ،ثم أوطنه،وصار إلى درجة العلماء فيه "[2].و يشير ابن خلدون إلى أنه رحل من الأندلس[3] إلى المغرب عن طريق مرسى بجاية ، ولكن دون أن يحدد تاريخ هذه الرحلة. ثم من غير المستبعد أنه توغل في داخل المغرب حتى وصل إلى بلد سُمَاتَة[4].

و يُفترض أن تكون الجوانب السياسية والمذهبية سببا في انتقال أسرة بني حمدون من الأندلس إلى المغرب. إذْ لو ثبت فعلا أن هذه الأسرة كانت معتنقة للمذهب الشيعي وهي بالأندلس، فهذا يُرجح أنّها هاجرت إلى المغرب إما فرارا من الدولة الأموية بالأندلس والتي كانت تلاحق وتُضايق كل من يُشك أو يثبت أنه من الشيعة، ويؤكد المقدسيّ هذه الحقيقة بقوله:"...وان عثروا على معتزلي أو شيعي

سوق جمار هي نفس الكلمة البربرية" اسيفقمار" Assifugmare التي تعني وادي الرمل... وأنها تدل على وادي الرمل الذي تقع عليه مدينة قسنطينة،.. وعلى ذلك،فالنطق الصحيح للكلمة هو سوفجمار، وهي كلمة محلية ، ويكون الحلواني قد نزل في مكان غير بعيد عن قسنطينة، أي في عمق أرض كتامة." موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية،ص221،الإحالة رقم111. وذكر الطالبي أن هناك بلدة تسمى سَدْ جَرْمه، ويتساءل إن كانت هي سوجمار التي ورد ذكرها في "الافتتاح".الطالبي، الدولة الأغلبية،ص632،الإحالة رقم 88.

1 عند ابن حوقل:سماطة. ويقول عن بلدة سماطة أنها تقع " ...على طرق سلجماسة من افريقية مدينة سماطة ، وهي مدينة صالحة، وهي من نفزاوة مدينة صالحة ، وتدانيها مدينة بشرى.." ابن حوقل، صورة الأرض.بيروت:منشورات دار مكتبة الحياة ،(د.ت)،ص92.وعند ابن خلدون:سوماتة أوسوماتة. وذكر أنّ سوماتة من بطون نفزاوة ، وأن بقاياهم مقيمون بنواحي القيروان،وكان منهم منذر بن سعيد البلوطي بقرطبة لعهد عبد الرحمن الناصر. ينظر ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42،ج6،صص 150،152. و يُعرف موسى لقبال سماتة بأنها"هي فرع من نفزاوة في إقليم القيروان وناحية مليانة". موسى لقبال، دور كتامة،ص220،الهامش106.ويرى الطالبي أنه لا توجد علاقة بين قبيلة سماتة وبلدة سماطة المذكورة عند ابن حوقل,ولهذا لا ينبغي الخلط بينهما.الطالبي،الدولة الأغلبية،ص362،الإحالة رقم 89. "ويذكر عبد الوهاب بن منصور أن مراكز سُماتة في جهات القيروان،واستوطن البعض قرب مليانة بالمغرب الأوسط،وعلى أراضيها اليوم قرية حمام ريغة وقرية بومدفع،ومراكز البعض بجبال الهبط من المغرب الأقصى، وهي معروفة باسمها الأصلي بين قبائل جبالة بإقليم تطوان،وباسمها البربري تعرف بقرية(يسُوماتن) من قرى قبيلة بني جناد بجبال زواوة بالجزائر". نور الهدى بو خالفة،أنساب القبائل العربية المهاجرة ،ص461،الإحالة رقم3.

2 القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص42.

3 يرى الطالبي أن أبا عبد الله الأندلسي قد جاء إلى المغرب من مدينة باجة الأندلسية.الطالبي،الدولة الأغلبية،ص643.

4 ابن خلدون,تاريخ ابن خلدون,ج4،ص42.

ونحوهما ربما قتلوه ..."[1].وإما يكون رحيلها بتنسيق مُسبق مع دعاة الشيعة الإسماعيليّة[2]بالمغرب الإسلامي،ولمد يد المساعدة لهم في بثّ الدعوة الفاطمية بهذه المنطقة.

وإذا كان دخول بني حمدون الأندلسيين إلى المغرب يكشف أن بعض الأندلسيين كانوا ينتقلون بعائلتهم إلى المغرب الإسلامي،فهذا يؤشر على أنّ حركة الهجرة لم تكن مقصورة على المغاربة فقط نحو الأندلس .وأيضا فإنّ المراسي المترامية على ساحل المغرب كان لها دور في التواصل البشري والاقتصادي والحضاري بين الأندلسيين والمغاربة ، فهناك مراسي كانت عامرة بالأندلسيين كمرسى بجاية ، وبالأندلسيين البحريين _كمايسميهم البكري_ الذين دخلوا من مرسى تنس[3] ووهران[1] ،وكانوا وراء تعمير مدينتي تنس ووهران [2].

---

1 Al-Mauqaddasi,Description Musulman au IV= X siècle,texte arabe et traduction française par Charles Pellat.Alger: edition carbonel,1950,p40.

2 الإسماعيلية:"من فرق الشيعة. الشيعة عموما هم: الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته: نصاً ووصية؛ إما جلياً وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده؛ وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم؛ بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين؛ لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري: قولاً، وفعلاً، وعقداً؛ إلا في حال التقية.ومن فرقهم الإسماعيلية,و امتازت عن غيرها من فرق الشيعة أنها أثبتت الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر. قالوا: وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام،وإنما تم دور السبعة به، ثم ابتدئ منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سراً. ويظهرون الدعاة جهراً. قالوا: ولن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم: إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور. فإذا كان الإمام ظاهراً؛ جاز أن يكون حجته مستوراً. وإذا كان الإمام مستوراً؛ فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين. ثم بعد الأئمة المستورين كان ظهور المهدي بالله، والقائم بأمر الله، وأولادهم: نصاً بعد نص، على إمام بعد إمام.ومن أشهر ألقابهم الباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا. و من ألقابهم أيضا المزدكية والتعليمية والملحدة.وهم يقولون نحن إسماعيلية؛ لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص".الشهرستاني،محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد،الملل والنحل،تحقيق محمد سيد كيلاني.بيروت:دار المعرفة سنة1404هـ،ج1،صص146،147،191،192.وينظر أيضا عبد القاهر بن محمد البغدادي،الفَرق بين الفِرق،تحقيق،محمد محي الدين عبد الحميد.بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر،(د.ت) صص62،63،و من ص281 إلى 312. محمد فريد وجدي،دائرة معارف القرن العشرين،بيروت:دار المعرفة للطباعة والنشر،ط3،مج1،(د.ت)،صص347،348،349.

3 تنس: "بينهاو بين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى...وهي على =

2_ اتصال بني حمدون بالفاطميين:

فيما يتعلق باتصال أسرة بني حمدون بالفاطميين ،نلاحظ أن الروايات التاريخية أغفلت شخصية حمدون،فلم تتوسع أكثر في بيان علاقته بالفاطميين ولا عن دوره في بث مذهبهم ،و هناك إشارتان مقتضبتان في هذا الموضوع،أولهما ما ذكره ابن حيان نقلا عن الوراق أن حمدون كان مع ابنه عليّ في رحلتهما إلى الحج،وأثناء ذلك اتصل الابن بقبائل كتامة وبالدعوة الفاطمية[3]،دون أن يعطينا تفاصيل أكثر عن شأن حمدون.هل دخل إلى قبائل كتامة؟و هل أشرف على زواج ابنه،واستقر معه بين أصهاره الكتاميين،واتصل بأبي عبد الشيعي،أم أنه فضل الرجوع إلى بجاية؟و أما الإشارة الثانية والمهمة فهي ما أورده ابن عذارى المراكشي نقلا أيضا عن الوراق أن حمدون صَحب أبا عبد الشيعي الداعيّ ودخل في مذهبه،ولكن دون أن يُفصّل في كيفية الاتصال به،كما لم يحددالتاريخ والمكان الذي تم فيه هذا التواصل.

ورغم هذا الغموض الذي يحيط بعلاقة حمدون بالدعوة الفاطمية،فإن الروايات التاريخية سلطت الضوء على شخصيتين من أسرته ،وبينت كيفية اتصالهما بالدعوة بالفاطمية ، وهما أبو عبد محمد الأندلسي ،وأخوه عليّ .

أما أبو عبد بن حمدون،وحسب رواية القاضي النعمان فقد اتصل بالدعوة الفاطمية منذ وقت مبكر،وهذا في الموضع الذي اختاره ليستقر فيه عند دخوله إلى المغرب ،وهو سُوجـْمَار من بلاد سُمَاتَة[4].

والملاحظ أن هذا المكان ،وقبل ظهور الدعوة الفاطمية بزعامة الداعي أبي عبد الله الشيعي، تميّز بكونه مركزا نشطا لبث المذهب الشيعي ،بين قبائل البربر

=

نهر يسمى تناتين..وبناها البحريون من أهل الأندلس...و ذلك سنة اثنتين وستين وما يتين...". البكري،المغرب،صص 62،61.وهي "مدينة بقرب مليانة بينهاو بين البحر ميلان .". الحميري،الروض المعطار،ص138.

1 وهران: مدينة "بالمغرب على ساحل البحر،قيل إنّها أسست في سنة تسعين ومائتين." الحميري،الروض المعطار،ص612.وذكر البكري أنّ الذي "بنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون و جماعة من الأندلسيين البحريين الذين بنتجعون مرسى وهران". البكري، المغرب،ص70.وينظر أيضا محمد توفيق المدني،كتاب الجزائر ،صص245،246،247.

2 البكري ، المغرب، صص61،70،82.

3 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ص34.

4 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص40. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص85. ،ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42.

في تلك المنطقة،وكان القاعدة التي وُضع فيها المخطط لاستقبال الداعي أبي عبد الشيعي ، ومساعدته على تجنيد قبائل كتامة بايكجان.

والذي أسس هذا المركز الشيعي الدعوي ببلاد سماتة،هو الداعي الإسماعيليّ الحُلْوَانِي[1]،حيث استوطنه ،واستقر في موضع منه يطلق عليه " الناظور"[2]، وكوّن أسرة ،فتزوج امرأة بربرية واشترى عبدا وأمة لخدمته،وقام ببناء مسجد لنشر دعوته.فاشتهر في منطقته بكثرة العبادة وغزارة العلم،فجاءه الناس من كل مكان،وتَشيّع على يديه كثير من القبائل البربرية خاصة من كُتَامَة[3]، ونُفْزَة[4]،وسُمَاتَة،وقد كان في نشاطه الدعوي كثيرا ما يقول للناس:"بعث_أنا وأبو سفيان[5]_ فقيل لنا :اذهبا إلى المغرب[1] ،فإنكما تأتيان أرضا

---

1 الحُلْوَانِي : حلوان في اللغة العطاء والهبة،وحلوان أكبر قرية في سواد العراق،والنسبة إليها حلواني.وحلوان أيضا قرية من أعمال مصر بنيت أيام عبد العزيز بن مروان حين كان واليا على مصر، وحلوان أيضا بلدة بحدود خراسان.والراجح أن هذا الشخص ينسب إلى القرية الواقعة في العراق بسبب انتشار المذهب الشيعي في هذا البلد خاصة بعد معركة صفين.ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج2،صص319،320. نور الهدى بو خالفة،أنساب القبائل العربية المهاجرة ،ص461،الإحالة رقم3.

2 أشار الإدريسي إلى بلدة تسمى "حصن الناظور". الإدريسي،المغرب العربي،ص 118.ويحدد الطالبي موقعها "على الضفة اليمنى لنهر سُمام بين بجاية وقلعة بني حماد".و يرى أيضا أن وصول الحلواني إلى هذا المكان البعيد احتمال ضعيف، ويقترح "أن الحلواني بعد مغادرة رفيقه بمرماجنة ،لم يتقدم أكثر من ناحية سوق أهراس،وأن بلدة الناظور التي استقر بها ليست سوى Nador.وهي قرية واقعة على بعد واحد وعشرين كلمترا شرقي قالمة،وكانت على حدود كتامة." محمد الطالبي،الدولة الأغلبية ،ص632،الإحالة رقم 88.

3 كتامة: عند نسابة البربر من ولد كِتام بن بُرنس،ويقال كتم،ونسابة العرب يقولون إنهم من حمير وكانوا مواطنين بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل أوراس من ناحية القبلة،أي من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة(عنابة).ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج6،ص195.

4 نفزة:أو نفزاوة،وهم بنو يطوفت بن نفزوا بن لوا بن زحيك،وبطونهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة وزهيلة وسوماتة وزاتيمة وولهاصة ومجره وورسيف. وهم من البربر البتر. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص 150.ويرى الطالبي أن الكلمة الصحيحة هي"نفرة" وليس "نفزة" و ذكر أن " نفرة " هي من قبائل البربر،وهناك ناحية بشط الجريد حكمها الإباضية يطلق عليه "نفرة"..الطالبي،المرجع السابق،ص633،الإحالة رقم 92.

5 الداعي أبو سفيان:أرسل مع الداعي الحلواني لنشر الدعوة الفاطمية بالمغرب،فصار إلى مَرْمَاجَنّة،فنزل بها بموضع يقال له: تالا،فابتنى مسجدا، وتزوج امرأة، واشترى أمة وعبدا...وكان أهل تلك النواحي يأتونه، يسمعون منه ويأخذون عنه،فمن قبله تشيع من تشيع من أهل مرماجنة.وذكر ابن خلدون =

أرضا بورا فاحْ رثاها، وكَرِّ بَاها ، وذَلّلا ها إلى أن يأتيها صاحب البذر، فيجدها مذللة فيبذر حبّه فيها."[2] وبذلك فهو يكشف أنّ مهمته الأساسيّة بالمغرب هي التمهيد وتهيئة النفوس لقدوم الداعي أبي عبد الله الشيعيّ.وقد عمّر الحُلْوَانِي طويلا حتى أنه ترك وراءه أتباعا وتلاميذ ، منهم من طال به العمر فلحق بالداعي أبي عبد ،كأبي حَيَّوْن المعروف بأبي المُفَتش ، والذي أخذ بعض الشيء عنه وهو صغير ، ثم اتصل برجاله[3].

فالموضع الذي استوطنه أبو عبد الله بن حمدون ،كان يعج بتلاميذ وأتباع الداعي الحُلْوَانِي،مما أثر هذا فيه ودفعه إلى أن يُوثق علاقته بهم ،ويمكث فيه منتظرا صاحب البذر،ويصحب شخصتيين إسماعليتين بارزتين في ذلك المكان ،وهما أبو المُفَتش ،وأبو القاسم الورفجومي ،وقد كانا معه في استقبال الداعي الشيعي أبي عبد الله ووفد الحجاج الكتاميين المرافقين له[4].

أما اتصاله بالداعيالحُلْوَانِي،فإن ابن خلدون ذكر أنه أدركه وأخذ عنه[5]،ولكن يبدو أن هذه الرواية يعارضها أمران: أولهما أن القاضي النعمان لم يذكر ذلك في كتابه افتتاح الدعوة،عند حديثه عن الذين أدركوا الداعي الحلواني ولحقوا بالداعي أبي عبد الله الشيعي رغم أنّه كان حريصا على ذكرهم ، ورواية القاضي النعمان أرجح وأدق من رواية ابن خلدون .

أما الأمر الثاني هو البعد الزمني بين الداعي الحُلْوَانِي وأبي عبد الأندلسي ،حيث نجد أبا المفتش قد أدرك الداعي الحلواني وهو صغير،وقد صار

والمقريزي داعية إسماعيلي آخر وهو ابن بكار،ولعل هذه كنية أخرى لأبي سفيان.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص50،الهامش رقم4.

1ذكر القاضي النعمان والمقريزي أن الحلواني وأبا سفيان أرسلا إلى بلاد المغرب سنة 145هـ.
القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص26.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص50،الهامش رقم 50. وذكر القاضي النعمان وابن خلدون والمقريزي أن جعفر بن محمد الصادق أرسلهما إلى المغرب.القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص50.المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص50،الهامش رقم5. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.وذكر ابن الأثير أن أبناء عبد الله القداح هم الذين أرسلوهم إلى المغرب. ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450.

2 القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ،ص29. ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص41، الإحالة رقم1،ص50،الإحالة رقم5.

3 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص30.

4 المصدر نفسه ،ص40.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص86.

5 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.

شيخا كبيرا لما كان في صحبة أبي عبد الله الأندلسي[1]، وأيضا ذكر القاضي النعمان أن الحلواني ترك ابنة له لحقت بالداعي أبي عبد الله الشيعي،وقد كانت عجوزا[2]. وبالتالي فإذا كان الحلواني قد مات وأبو المفتش مازال صغيرا،ثم عند اتصاله بأبي عبد الله الأندلسيّ كان شيخا كبيرا،فمعنى ذلك أنّ أبا عبد الله الأندلسيّ لم يكن موجودا أصلا عندما كان الحلواني على قيد الحياة.

والذي نستخلصه من رواية القاضي النعمان ،أن اتصل أبي عبد بن حمدون بالفاطميين، بدأ بدخوله إلى بلد سُمَاتَة ،واستقراره بها، وملاقاته لتلاميذ وأتباع الحُلْوَانِي ، واختلاطه بالقبائل التي تشيّعت ، كل هذا أثر فيه ، وجعله يعتنق مذهب الفاطميين ،ويصير من بين الشخصيات الإسماعيلية البارزة.

أما فيما يخص كيفية اتصال عليّ بن حمدون بالفاطميين،فقد اختلفت روايات المؤرخين في ذلك ، فالرواية الأولى هي للمؤرخ محمد بن يوسف الوراق،ينقلها عنه ابن حيان وابن عذارى ،وخلاصتها أن حمدون لما نزل ببجاية ،وبعد استقراره بها ،وفي سنة 287هـ/901م، قام هو وابنه عليّ الذي كان عمره ثماني عشرة سنة بفريضة الحج،وفي أثناء هذه الرحلة مرّ عليّ بن حمدون بقبائل كتامة و تزوج منهم،وهناك صَحِب الداعي أبي عبدالله الشيعي[3].

وحسب هذه الرواية ورواية القاضي النعمان ،يمكن أن نوجز الأسباب التي تضافرت في تيسير اللقاء التاريخي بين عليّ بن حمدون والداعيّ الشيعيّ بما يلي:

_أولا: ما ذكره ابن حيان نقلا عن الورّاق أن السبب في دخول عليّ بن حمدون إلى الدعوة الفاطمية، هو تأثير الداعي الشيعي أبي عبد الله عليه، الذي "استهواه وغلب على قلبه ودخل في مذهبه"[4] بسبب ما كان يملكه من سحر البيان وقوة الإقناع؛حتى أنّه غيّر اسمه من ثعلبة إلى عليّ[5].

_ثانيا: مرور عليّ بمضارب كتامة ، وما دام أنه كان في رحلته إلى الحج فلابد أنه مرّ بايكجان[6] التي كانت مكانا لتجمع حجاج المغرب الأقصى والأندلس

---

1 القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة، ص43.

2 المصدر نفسه،ص132.

3 ابن حيان ،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجي،ص 34 .

4 المصدر نفسه، ص34.

5 المصدر نفسه، ص34.

6 إيكجان: يقول الإدريسي عنه :"وبه قبائل كتامة. وبه حصن حصين ومعقل منيع...وبينه وبين بجاية مرحلة ونصف".الإدريسي ،المغرب العربي،ص126.ويحدد موسى لقبال موقع إيكجان بأنّه يقع " على مسافة حوالي 66 كم إلى الشمال من مدينة سطيف وعبر مدينة العلمة.وفي الطريق الذي =

وهنـاك التقى بالداعـي أبي عبدالله الشيـعي .[1]

ثالثا : زواجه من ميمونة بنت علاهم الكتامية والتي تنتمي الى جِيَمْلَة[2] إحدى أكبر بطون كتامة،ومن فروعها بنو سَكْتَانَ ،الذين تقع ضمن أرضهم قلعة ايكجان[3] .وقد قاموا باستضافة الداعي أبي عبد الله ونصرة دعوته[4].و جِيَمْلَة كانت من أشد المدافعين عن الداعي الشيعي ضد رؤساء المدن والقبائل المعادية له[5]. ومن خلال الزواج من كتامة و الاستقرار بها كان اللقاء الأول بين الشاب عليّ بن حمدون والدعوة الفاطمية،إذانخرط فيها، وصار من أبرز مناصريها المدافعين عنها.[6]

يؤدي إلى جيجل ، ويظن أن بقايا تازروت، القديم (القريبصة الآن) لا يبعد عنه بأكثر من ثلاثين كم في الاتجاه الشمالي الشرقي عبرطرق وعرة". موسى لقبال،دور كتامة،ص152. و"قرّبها كثير من الباحثين من سطيف ". الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص89 ، الإحالة رقم13.وقد ناقش محمد الطالبي مختلف النظريات نقاشا طويلا، ورأى أن يقربها من ميلة.الطالبي، الدولة الأغلبية،صص657،658،659،الإحالة رقم169.وعند عبد الرحمن الجيلالي أنها" تقع قرب بني عزيز(Chevreuil) بنواحي "فج مزالة" قريبا من سطيف،وقد استبدل فج مزالة باسم فرجيوة." عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،ط7 سنة 1415هـ/1994،ج1،ص216.ويرى مرمول أنّ ايكجان تقع "في مكان حصين يحده من الجنوب العين الكبيرة ومن الغرب خراطة،ومن الشمال تكسانة،ومن الشرق فج مزالة،وتقع بالتحديد شرق قرية بني عجزيز على بعد حوالي 2 كيلومتر" . مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية،ص40. ويحدد جورج مارسي الموضع الذي استقر فيه الداعي الشيعي بأنه منطقة جبلية في بلاد القبائل الصغرى،والتي تمتد بين سهل سطيف والبحر.ينظر

Georges Marçais,la Berbérie Musulmane & l’orient au moyen age ,Afrique Orient ,1991,p133.

1 حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية،ص49.

2 ابن حيان المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص 34.

3 ينظرموسى لقبال،دور كتامة،ص153. الطالبي،الدولة الأغلبية،ص657.

4 القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، صص48 ، 81 .الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص88،89،91،95.

5 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة، صص81،84.

6ينظرأحمد بن ذياب،المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها جعفر بن علي.مجلة الأصالة،العدد7 ،السنة الثانية،صفر _ ربيع الأول 1392هـ/ مارس _ أفريل 1972م،ص56.

رابعا: وجود أبي عبد محمد بن حمدون بمضارب كتامة ،والذي كان من أشد المقربين إلى الداعي الشيعي،[1] فليس من المستبعد أنّ عليّ قد التقى بأخيه محمد بن حمدون،وعملا سويا في خدمة الداعي أبي عبد الله الشيعي .

والظاهر، أن هناك حلقة مفقودة عند المقارنة بين رواية الوراق ورواية القاضي النعمان حيث لم تتم الإشارة إلى الاتصال بين عليّ وأخيه أبي عبد الأندلسي . وهذه الفجوة تتمثل في دخول عليّ إلى منطقة قبائل كتامة،واتصاله بالداعي الشيعي وزواجه من إحدى الكتاميات ،وفي الوقت نفسه وجود أخيه محمد الأندلسي في هذه المنطقة، دونما أن تخبرنا الروايتان عن التقائهما رغم تواجدهما في المكان عينه .وعليه،أعتقد أنّ اتصال عليّ بالداعي الشيعي كان مخططا له ،وباتفاق وتنسيق بين الأخوين .

ولهذا يُحتمل أن أبا عبد الله الأندلسي بعدما دخل إلى المغرب عن طريق مرسى بجاية ، انتقل إلى سوجمار من بلد سُمَاتَة ، وبعدما دخل في خدمة الداعي الشيعي، وصحبه إلى ايكجان حيث منازل قبيلة جِيَمْلَة قريبة من ذلك المكان ،كان على موعد مع أخيه عليّ ، الذي دخل إلى بلاد كتامة في أثناء رحلته إلى الحج ، وهناك اجتمع مع أخيه محمد والداعي الشيعي ، وانخرط في خدمة الفاطميين ، وتزوج بميمونة جِيَمْلَة الكتاميّة . وبهذا يمكن أن نرمم الفجوة الموجودة بين رواية القاضي النعمان ورواية محمد بن يوسف الوراق في كيفية اتصال أبي عبد الله محمد الأندلسيّ وأخيه عليّ بالفاطميين في المغرب.

أما الرواية الثانية في اتصال علي بن حمدون بالفاطميين فهي لابن خلدون ، وتحمل نظرة مخالفة لما في رواية الوراق،إذ يخبرنا أنّه "اتصل بعبيد الله[2]

---

1 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،صص30، 40، 41.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص84.

2 عبيد الله المهدي: هو أبو محمد عبيد الله ،الملقب بالمهدي، واختلف المؤرخون وأصحاب التراجم في نسبه اختلافا كثيرا،فمنهم مَن ينسبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق من نسل عليّ وفاطمة رضي الله عنهما،فعند ابن الأثير أنّه محمّد بن عبد بن ميمون بن محمّد بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب، رضي عنهم،أو هو عبيد بن أحمد بن إسماعيل الثاني ابن محمّد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن عليّ بن الحسين بن أبي طالب رضي عنهم.وعند ابن خلدون أنّه عبيد المهدى بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق،وقد أورد ابن خلكان في وفياته عدة طرق مختلفة في سلسلة نسبه إلى عليّ وفاطمة رضي الله عنهما, منها أنّه أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن عليّ بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم,وذكر غير ذلك، ويُعتبر ابن الأثير وابن خلدون من أبرز المؤرخين المدافعين عن انتسابه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق. والرأي =

وأبي القاسم[1] بالمشرق قبل شأن الدعوة، وبعثوه من طرابلس إلى أبي عبد الشيعي فأحسن اللقاء والانصراف."[2]فهذه الرواية تفيد أن عليّا اعتنق مذهب الفاطميين وهو بالمشرق ،ولم يدخل إلى المغرب إلا في رفقة عبيد الله المهدي وابنه أبي القاسم، حيث صحبهمافي رحلتهما،وفي معتقلهما بسجلماسة.وكان مبعوثهما إلى الداعي أبي عبد الله الشيعي.وفي المقابل يؤكد محمد بن يوسف الوراق في روايته

الثاني يطعن في نسبه إلى آل البيت ويعتبر أنّ اسمه الحقيقي هو سعيد ولقبه عبيد ،وزوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد بن ميمون القداح.وذكروا قصة زواج الحسين بأم عبيد ،وأنّها كانت متزوجة من يهودي،فتوفي وترك لها ولدا منه قام الحسين بتربيته والعناية به وتعيينه إماما للدعوة الإسماعيلية،وهذا الولد هو المسمى سعيد و الملقب بعبيد الله المهدي، و منهم من يقول إنّه من ولد القداح بن ميمون، ورأي آخر يقول إنّه الإمام المستودع تظاهر بالإمامة وبانتسابه إلى جعفر الصادق لحماية وإبعاد الخطر عن الإمام المستور وهو أبو القاسم محمد الملقب بالقائم والذي يعتبر الإمام الحقيقي و ينحدر نسبه إلى نسل عليّ وفاطمة رضي الله عنهما.ومولد عبيد الله كان بسلمية وقيل ببغداد سنة 260هـ ودخل إلى إفريقية وحكمها في سنة 297هـ.توفي سنة 322هـ عن عمر يناهز 63 سنة.ابن الأثير، الكامل، ج6،صص446،447،448،449،453.ابن خلدون،ج1، من ص27 إلى ص 31.ج4،ص40.ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج3، صص117،118.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،صص22 وما بعدها. القاضي النعمان بن محمد، كتاب المجالس والمسايرات،صص 21،22.ابن أبي دينار،المُؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ص57.

1 القائم الفاطمي (278 - 334 هـ= 891 - 946 م)" محمد بن عبيدالله، أبو القاسم، القائم ابن المهدي العبيدي الفاطمي: صاحب المغرب.ويسمى نزارا.ونشأ في سلمية (بسورية) ودخل المغرب مع أبيه.وبويع بعد موت أبيه (سنة 322 هـ)وهو ثاني ملوك الدولة الفاطمية العبيدية، وأول من تلقب بأمير المؤمنين فيها.مات محصورا بالمهدية." الزركلي،الأعلام،ج6،ص259.وينظر المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص74. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص51. ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج5،ص19. القاضي النعمان بن محمد، افتتاح الدعوة،صص21،22. وقد أثيرت حول هذا الخليفة الفاطمي قضية انتسابه إلى عبيد المهدي،وأنّه إمام المستقر بمعنى أنّه الإمام الحقيقي من نسل عليّ وفاطمة ، أما عبيد فليس والد القائم الحقيقي،وإنّما قد يكون من الأتباع الثقاة له،حمل الإمامة لحماية الإمام الحقيقي،وعندما يأتي الوقت المناسب يُسلم الإمامة له، ويطلق على هذا الإمام غير الحقيقي " الإمام المستودع" وقد ناقش محققوا كتاب" المجالس والمسايرات" هذه القضية و أوردوا نصوصا تاريخية فاطمية تُدعمها.مرمول محمد صالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية،صص86،87،الإحالة رقم264.

2 ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.سِجِلْماسة:مدينة مندرسة في أقصى جنوب المغرب بالقرب من مدينة الريساني في مقاطعة تافيلالت.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،ص138،رقم الهامش2.وللمزيد من التفاصيل ينظر البكري، المغرب،ص من148إلى152.الإدريسي،المغرب العربي ،صص76،77.

أن عليّ بن حمدون دخل إلى المغرب من بجاية مع والده حمدون ،وأنّه تعرّف إلى الداعي أبي عبد الله الشيعي في أثناء رحلته إلى الحج ، و اعتنق مذهب الفاطميين ،وصار من أتباعه المخلصين.

ولكن على الرغم من هذا الاختلاف بين الروايتين إلا أن في رواية الوراق، هناك بعض الفجوات ،قد تساعدنا رواية ابن خلدون في ترميمها . فرواية الوراق تؤرخ لأسرة بني حمدون من بداية دخولها إلى المغرب،أما عن حال هذه الأسرة وهي بالأندلس ، فالرواية لا تذكر عن ذلك شيئا . بينما في رواية ابن خلدون ،يتضح أنه كان لبعض أفراد هذه الأسرة ، اتصالات بزعماء الدعوة الفاطمية ، في سلمية[1] بالمشرق، وهذا قبل ظهور الدعوة بالمغرب.

و مما يعزز رواية ابن خلدون ، أن عبيد الله الفاطمي قد اختار عليّا سفيرا له بالمشرق بعد قيام الدولة الفاطمية[2]. و ترشيحه لهذه المهمة دون غيره ،يدل على أن عنده معرفة سابقة بأحوال المشرق وبلدانه وناسه .و نلاحظ ،أيضا،غيابا تاما لدور عليّ في مرحلة الدعوة بالمغرب انطلاقا من روايتي الوراق و القاضي النعمان بعكس أخيه أبي عبد الله الأندلسي،مما قد يرجح رواية ابن خلدون في أن عليّا كان في رفقة عبيد الله المهدي وولده أبي القاسم بالمشرق،وفي رحلتهما إلى المغرب أثناء قيام الداعي الشيعي ببث الدعوة الفاطمية بين قبائل كتامة ،ومواجهة الجيوش الأغلبية.

وقد ذكر القاضي النعمان وابن الأثير أنّ الداعي أبا عبدالله الشيعي،كان يبعث الرسل من أتباعه في المغرب إلى المشرق بسلمية حيث يوجد عبيد الله المهدي[3]. و عليه يُحتمل أنّه بعد اتصال عليّ بالداعي الشيعي في المغرب ،قد أرسله إلى عبيد وابنه أبي القاسم بالمشرق لتزويدهما بالمعلومات الخاصة بأوضاع المغرب، وتسهيل عملية دخولهما إليه،وبلوغ مكان تواجد الداعي .

ورغم تناقض روايتي الوراق وابن خلدون في الظاهر يبدو أن هناك تكاملا بينهما في الجوهر,وبناءً على رواية ابن خلدون ،فإن أسرة بني حمدون،كان لها اتصال بالفاطميين قبل دخولها إلى المغرب،وكانت لها علاقة بهم بالمشرق.وأن

---

1 سلَمِية: بلد من أعمال قنسرين بثغور الشام على طرف البادية،وهو حصن كالمدينة صغير عامر آهل ،بينه وبين حمص مرحلة. الروض المعطار،ص320. وسلمية تقع على بعد حوالي40 كلم شمال شرقي حمص. محمد بن عميرة،دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،سنة1984،ص162،الإحالة رقم1.

2 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص34.

3 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص126.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص453.

عليّ بن حمدون عرف مذهب الفاطميين قبل اتصاله بالدعوة الفاطمية في قبائل كتامة .

و هذا يفضي إلى إشكالية لها علاقة باتصال بني حمدون بالفاطميين،وهي هل سبق لهذه الأسرة أن عرفت مذهب التشيع قبل انتقالها إلى المغرب ؟ وهل كان لها علاقة بالدعوة الإسماعيلية بالمشرق ؟فمن جهة نجد إشارات من نصوص تاريخية تشير إلى أن بني حمدون لم يعرفوا التشيع حتى اتصلوا بالدعاة الفاطميين بالمغرب . ومن هذه الإشارات قول القاضي النعمان عن أبي عبد الله بن حمدون أنه"..كان معلما بالموضع ، ثم أوطنه ...وتشيع "[1] ومن هذه العبارة يبدو أن أبا عبد الأندلسي لم يكن متشيعا قبل نزوله ذلك المكان ، ولكن بعد أن استوطنه واختلط بناسه ،تأثر بهم واعتنق المذهب المنتشر بينهم ، الذي بثه الداعي الإسماعيلي الحُلْوَاني . وأما الإشارة الثانية ما ذكره ابن حيان في جزئه الخامس من كتاب "المقتبس" أنّ عليّ بن حمدون "افتتن" بالداعي الشيعي "فغوى" واعتنق المذهب الإسماعيلي "بعد رشده" وسلامته من هذا المذهب[2].وهذه الراوية نفسها يوردها في جزء آخر من تاريخه نقلا عن الوراق[3].والإشارة الثالثة ما لمح إليه ابن عذارى ،أن حمدون صحب الداعي أبا عبد الله الشيعي ودخل في مذهبه[4].

ولكن في المقابل نجد ابن خلدون يؤكد أن علي بن حمدون اعتنق مذهب الفاطميين وهو بالمشرق،وقبل ظهور شأن الدعوة بالمغرب،وكان له سابق معرفة بعبيد الله وابنه أبي القاسم .وإلى هذا الرأي مال بعض الباحثين،والذين رجحوا اعتناق أفراد عائلة حمدون للتشيع وهم في الأندلس،وأنهم عملوا على نشر الدعوة الشيعية هناك في كنف السرية،وكانوا على اتصال بمراكز الدعوة الإسماعيلية باليمن أو بسلمية في سوريا[5]،وأن أبا عبد الله الأندلسي كان جاسوسا إسماعيليا بالمغرب[6]،و هو الذي رتب اللقاء بين الحجاج الكتاميين والداعي الشيعي بالحج[7].بل

---

1 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة ، 42.

2 ابن حيان القرطبي،المقتبس(الجزء الخامس)،تحيقي ب.شالميتا وف.كورينطي و م.صبح وغيرهما.مدريد:المعهد الإسباني العربي للثقافة،كلية الآداب بالرباط،سنة 1979،ص259.

3 ابن حيان ،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجي ، ص34 .

4 ابن عذارى،البيان،ج2،ص242.

5فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص85 .عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية،ص131. محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسي،شاعر الدولة الفاطمية،ص84. محمد اليعلاوي. بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص49.

6فرحات المشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص549.

بالحج[1].بل إنّ محمدا اليعلاوي يرى أنّ حمدون كان من دعاة الفاطميين،فاستقر بكورة إلبيرة لما كان يتوقعه فيها من قبول العناصر اليمنية للشعارات الشيعية،ويدعم رأيه في انتساب حمدون إلى الدعوة الفاطمية،ما تذكره المصادر من أنّه أقام مدة بمدينة بجاية بالمغرب الأوسط؛أي على مقربة من موطن كتامة.و كما هو معلوم تعدّ كتامة من الأنصار الأولين للداعي أبي عبد الله الشيعي[2].

والظاهر،أن هناك مجموعة من المعطيات والتساؤلات ترجح اعتناق أسرة بني حمدون لمذهب التشيع،منها ما ثبت من اتصال بعض أفراد أسرة بني حمدون بالدعوة الفاطمية في وقت مبكر ، بما في ذلك أبو عبد محمد الأندلسيّ وأخوه عليّا . وأيضا وجود أبي عبد محمد بن حمدون بنفس المكان الذي كان به الحُلْوَانِي.ومن الطبيعي أن يترتب عن ذلك مجموعة من الأسئلة الأساسية.فما السبب الحقيقي وراء استقرار أبي عبد الأندلسي بسوجمار حيث يقيم الحلواني ، ولماذا استوطنه دون غيره من المناطق؟ وهل كان ذلك بدافع الانضمام إلى أتباع الحلواني والعمل معهم على التخطيط لمجيء صاحب البذر الداعي أبي عبد الله أم لمآرب أخرى؟ ثم لماذا اتخذ التعليم حرفة ، وصار من علماء تلك المنطقة ؟ وهل كان الهدف من ذلك بث الأفكار الإسماعيلية بين سكان المنطقة ؟ وهل في ذلك تكليف له بالدعوة بين قبائل هذا المكان ؟ولاشك أنّ هذه التساؤلات ترجح تشيع هذه الأسرة قبل مجيئها إلى المغرب .

ثم إنّه من غير المستبعد أن أفكار الشيعة كان لها أتباع وأنصار في الأندلس حتى قبل قيام الدعوة الفاطمية بالمغرب[3]،وهذا يفترض وجود بعض الأسر التي كانت تعتنق مذهب التشيع في السر ، ولعل من بينها أسرة بني حمدون الأندلسية.وأما ما أورده القاضي النعمان أن أبا عبد الله الأندلسي تشيع بعدما استوطن المكان الذي دخله،وما ذكره ابن حيان من أن عليّ بن حمدون اعتنق مذهب الفاطميين بتأثير من الداعي أبي عبد الشيعي،فلابد أن نتناوله بنوع من التحفظ، وهذا لأنّ أخبار الدعوة الفاطمية وتحركات دعاتها كانت محاطة بالسرية والكتمان الشديدين[4]،وهذا الأمر قد يمنع المؤرخين من الوصول إلى حقيقة هؤلاء

---

1 المرجع نفسه،ص85.محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي،صص84،85.

2 محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي،ص84.

3 محمود علي مكي ،التشيُّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية.القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية،ط1،سنة2004،صص7،8.عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية،ص128.مرمول محمد الصالح،السياسية الداخلية للخلافة الفاطمية،ص307.

4 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،صص 42،126،127.فرحات المشراوي،الخلافة الفاطمية،ص85. نور =

الدعاة وضبط تحركاتهم.هذا من جهة،ومن جهة أخرى فإن القاضي النعمان نفسه يعطينا إشارة قوية على اعتناق أبي عبد الله الأندلسي لمذهب التشيع،وهذا عندما ذكر أن الداعي أبا عبد الله الشيعي لما نزل سوجمار،واجتمع بأبي عبد الله الأندلسي وصاحبيه،وجد عندهم علما غزيرا بمذهب الإسماعيلي.وأيضا ذكر أن أبا عبد الله الأندلسي كان عالما بهذا المذهب في منطقته،فليس من المستبعد أن هذه المعرفة الواسعة والعميقة لأبي عبد الله الأندلسي بمذهب التشيع قديمة ،وربما تلقاها بإحدى مراكز الدعوة بالمشرق،وهذا قبل أن يدخل إلى المغرب ويصل إلى بلاد سماتة. فهذه التساؤلات والمعطيات تجعل الرأي القائل بتشيع هذه الأسرة وهي بالأندلس،أرجح وأقرب إلى الحقيقة التاريخية.

إذن،فلما دخل بنو حمدون _حسب روايتي القاضي النعمان والوراق_ إلى المغرب اختاروا بجاية مستقرا لهم،وهذا الاختيار للمكان يسّر لهم الاتصال بقبائل كتامةو بالداعيين ؛ الداعي الحلواني الذي أثرت أفكاره في أبي عبد الأندلسي، والداعي أبي عبد الله الشيعيالذي استطاع أن يجذب إليه عليّ بن حمدون ويقنعه باعتناق مذهب الفاطميين ومصاحبته.مع التنبيه على وجود دلائل قوية ، ومنها رواية ابن خلدون، تؤكد على تشيع أفراد هذه الأسرة قبل دخولهم إلى المغرب الإسلامي.

وبعدما صار أبو عبد الأندلسي وأخوه عليّا من أنصار الدعوة الفاطمية، ومن المقربين إلى الداعي أبي عبد الله الشيعي نتساءل عن طبيعة الدور الذي قام به أفراد أسرة بني حمدون في قيام الدولة الفاطمية، والمجهودات التي بذلوها في دعم أركانها ،و بسط نفوذها في المغرب ؟

3_ دور بني حمدون في مرحلة الدعوة الفاطمية بقبائل كتامة:

مما تتميز به أسرة بني حمدون عن غيرها من الأسر العربية التي دخلت في خدمة الفاطميين، أن أفرادها كان لهم السبق في الدعوة الفاطمية بين القبائل البربرية في المغرب ،فقد أشار ابن عذارى دون تفصيل و نقلا عن الوراق أن حمدون جد هذه الأسرة،لما تنقل إلى بجاية ،صحب أبا عبد الله الشيعي الداعي ،ودخل في مذهبه[1].

و نجد أن أحد أبناء حمدون،وهوأبو عبد محمد الأندلسي كان له دور في نشر المذهب الإسماعيلي ببلاد سُمَاتَة بين قبائل البربر حتى قبل مجيء صاحب

=

نور الهدى بو خالفة،أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب،ص485.

1 ابن عذارى ،البيان،ج2،ص242.

البذر الداعي أبا عبد الله الشيعي [1].والظاهر أنّه كان يمارس الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي والتبشير بقدوم صاحب البذر بين قبائل المنطقة التي استقر فيها ،ومن المحتمل أنه كان من كبار الدعاة الإسماعيليين ،والذي انتقلت إليه مهمة الدعوة في قبائل سُمَاتَة وكتامة بعد وفاة الحلواني[2] .

ويدل على ذلك إشارات مهمة ذكرها القاضي النعمان عن شخصية أبي عبد الله الأندلسي، أولها أنّه كان معلما بالموضع الذي استوطنه ،وليس من المستبعد أنه كان يمارس من خلال هذه المهنة ، الدعوة إلى أفكاره الشيعية،كما فعل الداعي أبو عبدالله الشيعي في بث دعوته الفاطمية بين قبائل كتامة[3] . أما الإشارة الثانية ،فإن القاضي النعمان ذكر أن أبا عبد الأندلسي، قد وصل إلى درجة العلماء في منطقته ،وكان يتميز "بالفهم والحدة والمعرفة"[4]،وهذه المواصفات تؤهله ليكون من كبار الدعاة للمذهب الإسماعيلي ببلاد سماتة.

ونتساءل الآن عن لقائه بالداعي أبي عبد الله الشيعي،وكيف تم ذلك وأين ولماذا؟ وقبل أن نجيب عن هذه الأسئلة لابد أن نتعرف على شخصية هذا الداعي الشيعي الذي كانت له علاقة مميزة بأبي عبد الله بن حمدون وأخيه عليّ .والملاحظ أن أقوال المؤرخين قداختلفت في اسمه ،والغالب فإنّ اسمه هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا[5].ويكنى بأبي عبد الله[6].وأيضا تعددت الأقوال في أصله،فمنهم من ينسبه إلى الفرس من رام هرمز أو إلى العرب[7]،والغالب أنّه من الكوفة[8]،ويرى

---

1 القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة ،ص42.

2فرحات الدّشراوي،الخلافة الفاطمية،ص85.

3 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص39.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص85. ابن عذارى،البيان،ج1،ص125.

4 القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص42.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص87.

5 القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة،ص30.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450. ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص36.المقريزي ،اتعاظ الحنفا،ج1،ص51.عند الداعي إدريس:الحسين بن أحمد بن زكريا.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص83. وعند ابن خلدون : الحسين بن محمد بن زكريا.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.

6القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة،ص30.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450.ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص36.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص51. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص83.

7 حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي،من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين.لبنان:العصر الحديث للنشر والتوزيع،ط1،سنة 1412هـ/1992مـ،مج1،ج1،ص461.

8 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص30.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص51.

بعض المؤرخين أنّه من صنعاء اليمن[1] لاشتهاره بلقب الصنعاني[2]،**والبعض الآخر** الآخر يرى أنّه من البصرة[3].

ويُعرف بالمحتسب[4] لأنّه يقال أنه كان محتسبا بسوق الغزل،ويلقب أيضا بالمعلم،لأنّه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية.وكان يطلق عليه أيضا **بالمغرب لقب" المشرقي"** وأتباعه"**بالمشارقة**"[5]لأنّه أتى من الشرق[6].**وقد** وصفه المؤرخون بأوصاف كثيرة منها أنه كان **ذا** علم، وعقل، ودين، **وورع**[7]،ودهاء ومكر[8].**وفصاحة وجدل**[9].

وقد انخرط أبو عبد الله الشيعي في جملة الدعاة وأُرسل[10] إلى داعي اليمن **أبي القاسم بن حوشب**[11]،ليتدرب على يده فنون الدعوة وتجنيد الأنصار. **وقد تلقى**

---

1 ابن الأثير،**الكامل**،ج6،ص450.**ابن عذارى**:**أبو عبد الصنعاني**.**ابن عذارى**،البيان،ج1،ص124.

2 **ابن عذارى**،البيان،ج1،ص124.

3 **ابن حماد**،أخبار بني عبيد،ص36.**ابن خلدون**،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.

4 ويقال**إنّ المعروف** بالمحتسب هو أخوه أبو العباس.ينظر **ابن حماد**،أخبار بني عبيد،ص36.

5 القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،صص52،79.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص94. **ابن** الأثير،**الكامل**،ج6،ص451.**ابن خلدون**،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42.

6 حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته،**مج1**،ج1،ص461.

7 ينظر،القاضي النعمان،**افتتاح الدعوة**،ص30.

8 ابن الأثير،**الكامل**،ج6،ص450. المقريزي،**اتعاظ الحنفا**،ج1،ص55.

9 **ابن عذارى**،البيان،ج1،ص124.

10 عند القاضي النعمان أن الإمام هو الذي أرسله إلى ابن حوشب باليمن،لما رأى أن الدعوة الإسماعيلية تمكنت وظهر أمرها.**القاضي النعمان**،**افتتاح الدعوة**،ص30.**وذكر** ابن الأثير أن أبا عبد الله الشيعي سار إلى ابن حوشب النجار وصحبه بعدن وصار من كبار أصحابه،دون أن يذكر من أرسله. **ابن** الأثير،الكامل،ج6،ص450. و عند ابن خلدون والمقريزي أن أبا عبد الله الشيعي اتصل بمحمد الحبيب،ورأى ما فيه من الأهلية ،فأرسله إلى ابن حوشب،ليأخذ عنه،ثم يذهب إلى المغرب.ابن **خلدون**،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.المقريزي،**اتعاظ الحنفا**،ج1،ص51.

11 **ابن حوشب**:وهو صاحب الدعوة الإسماعيلية باليمن،واسمه أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زَذَان الكوفي،وسمي المنصور باليمن،وهو من أهل الكوفة من أهل علم وتشيع،وأنه كان في **أول أمره** معتنقا لمذهب الإثني عشرية ثم تحوّل إلى مذهب الإسماعيلية،واتصل بالإمام،والذي أرسله **إلى** اليمن، مع رجل من أهل اليمن معتنقا لمذهب الشيعة،في سنة 266هـ،ليقوم بالدعوة للمذهب الإسماعيلي،ويبشر بقدوم المهدي،ويبث الدعاة،فظهر أمر ابن حوشب باليمن،وابتنى حصنا بجبل لاعة،وجيش الجيوش،وافتتح مدائن باليمن،وملك صنعاء،وفرّق الدعاة في نواحي اليمن،وإلى سائر البلدان،إلى اليمامة،والبحرين،والسند،والهند وناحية مصر والمغرب.ينظر،القاضي النعمان،افتتاح **الدعوة**،من صص 2،3،4،9،18.وعند ابن الأثير: رستم بن الحسين بن داذان النجار،وأنه من أهل **الكوفة**،**صحب أحد أبناء القداح**،**ثم أمره بال**توجه إلى اليمن لنشر الدعوة الإسماعيلية والتبشير بقدوم

=

الأمر بعدم مخالفته وتنفيذ كل ما يطلبه منه[1].فصحبه وصار من كبار أصحابه[2] ومن المقربين إليه[3].فلزمه وشهد مجالسه وأفاد علمه[4].

ثم بعدما أنهى هذه الدورة التدريبية على يد ابن حوشب، تم تعيين منطقة المغرب ميدانا لدعوته،وبالضبط طُلب منه التوجه إلى بلد كتامة[5].فبدأ يخطط لدخول المغرب،والاتصال بقبائل كتامة واختراقهم وتجنيدهم للدعوة الفاطمية.فخرج إلى مكة في موسم الحج[6]،في سنة 280هـ أو 281هـ/893-894م[7]،حيث اختلط بحجاج من كتامة، وبدأ يجذبهم إليه ويقوي علاقتهم به ، حتى أثر فيهم ورأوا ما عليه من العبادة والزهد،فتعلقت قلوبهم به،وكان يتردد عليهم في رحالهم ويجالسهم،فتوثقت

المهدي.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص449.وعند ابن خلدون أنه رستم بن الحسن بن حوشب من أصحاب محمد الحبيب من أبناء إسماعيل بن جعفر الصادق.وأنه بعثه مع محمد بن الفضل لإقامة دعوته باليمن. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.وعند المقريزي أنه أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن ذاذان الكوفي_ من رجالات الشيعة_ بعثه جعفر بن محمد والد عبيد الله إلى اليمن مع علي بن الفضل،،في سنة 268هـ،وأظهر الدعوة الإسماعيلية.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،صص50،51،55.

1 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة، صص30،31.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص51.

2 ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450.

3 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص31.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص83.

4 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.

5 ذكر القاضي النعمان رأيين في كيفية إرسال أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب.فالرأى الأول يذهب إلى أنّ الإمام هو الذي أرسله إلى ابن حوشب باليمن،وأمره بطاعته،ثم أعطاه حرية اختيار المكان الذي يريد الدعوة فيه للفاطميين فقال له:"اذهب حيث شئت فادع". والرأي ا لثاني يرى أنّ من أرسله إلى اليمن هو الذي حدّد له بلاد كتامة من المغرب لكي يسير إليها وينشر الدعوة بها.ويرجح القاضي النعمان الرأي الثاني ويقول عنه إنّه "أثبت الأمرين".القاضي النعمان، افتتاح النعمان،ص31.وينظر أيضا المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص51. وذكر ابن الأثير أنّ الذي كلّفه بمهمة المسير إلى المغرب والدعوة بها،هو ابن حوشب،وهذا بعدما علم بوفاة الحلواني وأبي سفيان،فقال لأبي عبد الله الشيعي:"إن كتامة من أهل المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان،وقد ماتا،وليس لها غيرك،فبادر،فإنها موطّأة ممهّدة لك."ابن الأثير،الكامل،ج6،ص45.

6 ذكر القاضي النعمان أن ابن حوشب أرسل مع أبي عبد الشيعي عند خروجه إلى الحج رجلا اسمه عبد الله بن أبي الملاحف ليساعده في أمر الدعوة بالمغرب،ثم استبدله برجل آخر اسمه إبراهيم بن إسحاق الزبيدي من أهل اليمن،ويلقب بالسيد الصغير وبالهواري.القاضي النعمان،افتتاح الدعوة صص31،32.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص84.وعند ابن الأثير والمقريزي أن ابن حوشب أعطى لأبي عبد الله الشيعي عند خروجه إلى المغرب مالا وسير معه عبد بن أبي ملاحف.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص55.

7 Georges Marçais,la Berbérie Musulmane ,p133.

علاقته بهم . ولما قرروا الرحلة إلى بلادهم، طلبوا منه أن يرافقهم،فسار معهم وهو يكتم مذهبه وحقيقة شخصيته عنهم.[1]ولما خرجوا من مصر سلكوا الطريق من طرابلس إلى قَسْطِيلِيّة[2] "لأنها الجادة"[3] جنوبا مجتنبين المرور بالقيروان[4]، حتى ساروا إلى سُوجْمَار من أرض سُمَاتَه[5] ، على مقربة من بلاد كتامة،وقد خرج إلى لقائهم أصحابهم الذين اعتنقوا تعاليم الشيعة وتشبعوا بها على يد دعاة الإسماعيلية[6]، ومنهم ثلاثة من كبار الشيعة في ذلك الموضع ،وهم أبو المُفَتش[7] وأبو القاسم الوَرْفَجُومِي[8] وأبو عبد بن حمدون الأندلسي[9].

وقد كان في صحبة الداعي الشيعي ،وضمن وفد الحجاج الكتاميين[10] شخصيتان من رؤساء الكتاميين[11]هما حُرَيْثُ الجِمَيْلِيُّ [12]، وقد وصفه ابن خلدون

1 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42. ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450.

2 قسطيلية:هي" بلاد الجريد اليوم في جنوب غرب القطر التونسي،وقاعدتها توزرTozeur مقر العمال والولاة.ومن أهم مدنها الحمّة ونفطة وتقيوس". ابن الخطيب،المغرب العربي في العصر الوسيط،ص41،الهامش رقم1.وللمزيد من التفاصيل ينظر،البكري المغرب، صص48،49.

3 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص40.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص85. و ذكرت صباح إبراهيم الشيخلي في دراسة لها عن ابن حوقل أنه قد رسم طريقا يقطع السهل الساحل المغربي ابتداءا من برقة إلى البحر المحيط(المحيط الأطلسي)،ويسميه باسم"طريق الجادة"، وهي تسمية استخدمها البيزنطيون لهذا الطريق فظلت شائعة فيما بعد. صباح إبراهيم الشيخلي،النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م،دراسة من خلال كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل. مجلة التاريخ العربي،المملكة المغربية، الرباط،العدد السادس،ربيع سنة1419/1998م،ص41.

4 ذكر ابن عذارى أن الداعي أبا عبد الله الشيعي دخل إلى القيروان ثم ذهب إلى قبائل كتامة.ينظر،ابن عذارى،البيان،ج1،ص125.

5 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص40.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص85. وذكر ابن خلدون أنهم سلكوا طريق الصحراء وعدلوا عن القيروان.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42.

6 حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية،ص48.

7ويكنى أيضا بأبي حَيُّون.القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص30.

8 عند ابن خلدون:أبو القاسم الورنجومي،وذكر أنّه كان ضمن وفد الحجاج الكتاميين المرافقين لأبي عبد الله الشيعي،وأنه من أحلاف قبائل كتامة.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص41.

9 القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة،ص40الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص86.

10 ذكر ابن عذارى أن عدد وفد الحجاج الكتاميين نحو عشرة رجال،ملتفين على شيخ منهم. ابن عذارى،البيان،ج1،ص124.

11 ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450.

12 عند ابن خلدون:موسى بن حريث.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4، صص 41،42.

بأنّه "كبير بني سكتان ،أحد شعوب كتامة"[1]،وموسَى بن مَكارم[2]، وهما من أتباع الحُلْوَانِي ، قد تشيّعا بسوجمار على يديه[3]، ومن المؤكد أنّهما على معرفة مسبقة بأبي عبد الأندلسيّ وصاحبيه[4].

ومن ثم نتساءل إذا كان اللقاء بين حريث الجميلي و موسى بن مكارم بالداعي الشيعي في الحج بترتيب مسبق لغرض مساعدته في دخول المغرب وتسهيل مهمته؟ وهل ذهابهما إلى الحج تم بتنسيق مع أبي عبد الله الأندلسي ؟ ثم هل استقبال الشيعة الثلاثة* للداعي الشيعي ووفد الحجاج بسوجمار كان أيضا مخططا له ؟وهل كان أبو عبد الله الأندلسي على اتصال بمركز الدعوة في سلمية ،وعلى علاقة بابن حوشب في اليمن؟ثم هل " هو الذي أعد اللقاء في منى بين أبي عبد الله والكتاميين الشيعيين."؟[5]كل هذا قد يكون له نصيب من الحقيقة إذا علمنا مدى اهتمام الشيعة الإسماعيلية بدقة نظام استخباراتهم [6] ،وسرية الاتصالات في في دعوتهم [7]،وحساب كل خطوة يقدمون عليها.و من ثم هناك احتمال في أنّ دور دور أبي عبد الأندلسي في إعداد مهمة الداعي كان كبيرا [8]ومهما .

وبعدما نزل الداعي الشيعي بسوجمار ،تنافس السمَاتِيُون فيمن يكون له شرف استضافته ، فاقترعوا فيما بينهم،فكان الداعي أبو عبد الله في ضيافة أبي عبد الأندلسيّ ،وأماحُرَيْثُ فنزل عند أبي المفتش،وموسى نزل عند أبي القاسم[9]. ثم بعد هذه الضيافة وفي فترة من الليل اجتمع إليه أبو المُفَتِّش وأبي القاسم في بيت أبي

---

1 المصدر نفسه،ج4،ص41.

2 عند ابن الأثير:موسى بن مكاد.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص450.و عند ابن خلدون:موسى بن تكاد.ويضيف ابن خلدون إلى وفد الحجاج الكتاميين أبا القاسم الورنجومي ، ومسعود بن عيسى بن ملال المساكتي.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص 42.

3 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص 34.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص84.ابن خلدون،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ج4،صص41،42. ابن الأثير ،الكامل،ج6،ص451.

4 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص40.المشراوي،الخلافة الفاطمية،ص84.

* الشيعة الثلاثةهم:أبو المفتش، أبو القاسم الورفجومي،أبو عبد الأندلسي.

5فرحات الدّشراوي،الخلافة الفاطمية ،ص85.

6 المرجع نفسه،ص85.

7 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،صص 42،126،127.

8فرحات المشراوي،الخلافة الفاطمية،ص84.

9 القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ،ص40. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص86. ابن الأثير،الكامل،ج6،ص451.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص56.

عبد الأندلسي[1].فوجد الداعي أن لهم "من المعرفة والفهم أكثر مما رآه"[2] ممن صحبهم إلى المغرب، ووجد "عندهم من علم الشيعة وفضل أهل البيت أصلا قويا,فزاد في الكلام معهم والإيضاح لهم "[3]، مما دفع أبا المُفَتّش وهو يريد الانصراف من المجلس أن يعلن أنه صاحب البذر الذي ذكره الحلواني[4] .

ولما انصرف صاحبا أبي عبد الأندلسي ،وبقي هو والداعي الشيعي لوحدهما ،دار بينهما حوار طويل انتهى بأن أعلم الداعي أبا عبد مضيفه دون سواه بحقيقة الغرض من مهمته،والمخطط الذي يريد تنفيذه[5]. فكان أول من أخذ العهد عليه[6] و"ناله شرف "كشف الأمر"..."[7]،وصار بذلك من المقربين إليه وخواصه،ومن رجالات الداعي الأساسيين . ثم لما جاء الصباح طلب من الكتاميين البقاء يومهم بعد عزمهم الرحيل إلى بلدهم ، وهذا بسبب سهر الداعي طول الليل،وقام بضيافتهم[8] .

ثم شرع أبو عبد الأندلسي يستعد لمصاحبة الداعي الشيعي إلى بلاد كتامة، مما أثار استغراب أبي المُفَتش وأبي القاسم الوَرْفَجُومِي،وسألاه عن سبب استعداده للسفر ، فأجابهما موجها كلامه إلى أبي المُفَتّش "أظن أنّ الذي قلت هذا إنّه صاحب البذر كما قلت ؛ وقد رأيت أن أصحبه وأتعرف ما عنده."[9] وهذا الموقف أثر في أبي القاسم ، فقرر هو الآخر مرافقة الداعي الشيعي .أما أبو المفتش ،ورغم حرصه على أن يكون مع صاحبيه،فقد اعتذر عن عدم السفر معهما بسبب كبره وشيخوخته[10] .

وإذا كان ظاهر رواية صاحب "افتتاح الدعوة "يكشف أنّ الداعي أبا عبد الله الشيعي قد أخذ العهد على أبي عبد الأندلسي بعد سهرة طويلة ،فإنّه أيضا

1 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص41.الداعي إدريس،المصدر السابق،ص86.
2 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص41.الداعي إدريس، المصدر السابق،ص86.
3 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص41.الداعي إدريس، المصدر السابق،ص86.
4 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص41.الداعي إدريس،المصدر السابق،ص86.
5 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص42.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص87. وعند ابن خلدون أن أبا عبد الله الأندلسي فاوض الداعي أبا عبد الله الشيعي وتفرّس فيه أنه صاحب الدولة. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون,ج4،ص42.فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص84.
6 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص42.الداعي إدريس، المصدر السابق،ص87.
7 فرحات الدشراوي,الخلافة الفاطمية،ص84.
8 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة.ص42،43.
9 القاضي النعمان،المصدر السابق ،ص43. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص87.
10 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص43. الداعي إدريس، المصدر السابق،ص87.

يحتمل أن يكون قد تخلل هذا الحوار نقاش حول الخطوات التي سيتبعها الداعي مستقبلا، فضلا عن التزود بمعلومات كافية من مضيفه عن طبيعة المكان الذي سيتخذه قاعدة له، وعقلية الناس الذين سينزل بينهم، وعاداتهم ومعتقداتهم، ومعنى ذلك،إنّ هذه الليلة كان لها دور في عملية تسهيل وإنجاح مخطط تجنيد قبائل كتامة لنصرة الدعوة الفاطمية.

وعلى هذا صار أبو عبد الله بن حمدون اليد اليمنى للداعي الشيعي ،فكان في خدمته وصاحب سره ، إذ صحبه في رحلته إلى مضارب كتامة،في رفقة أبي القاسم الورفجومي ،والحجاج الكتاميين .[1] ولما بلغوا أرض كتامة يوم الخميس[2] في في منتصف شهر الربيع الأول[3] سنة 280هـ[4]/3يونيو893م[5]،تهافتت كل منهم على على إنزاله في بيته[6]؛ثم خيّروه[7]،فاختار موضعا من بلادهم يسمى فجّ الأخيار،وهو الأخيار،وهو لبني سكتان[8] ،فسار" أبو عبدالله مع حريث وموسى وأبي القاسم الورفجومي وأبي عبد الله الأندلسي،إلى إيكجان[9] ، موضع موسى وحريث من بني

---

1 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص47.الداعي إدريس، المصدر السابق،ص88.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42.

2 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص47. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص88.

3 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص47. الداعي إدريس، المصدر السابق،ص88.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص451.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص 42.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص56.

4 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص47. الداعي إدريس، المصدر السابق،ص88.ابن الأثير، المصدر السابق،ج6،ص451.وعند ابن خلدون والمقريزي :سنة 288هـ.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص42.المقريزي،المصدر السابق،ج1،ص56.

5 فرحات الشراوي،الخلافة الفاطمية،ص85.

6 حسن إبراهيم حسن،تاريخ الدولة الفاطمية،ص48.

7 القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة ،ص47.وعند ابن الأثير والمقريزي أن الداعي أبا عبد الله الشيعي هو الذي طلب منهم موقع المكان الذي يريد الاستقرار فيه.ابن الأثير،الكامل،ج4،ص451.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص56.

8 القاضي النعمان،المصدر السابق ،ص48.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين صص88،89. ابن الأثير،الكامل،ج6،ص451.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42.المقريزي،المصدر السابق،ج1،ص56.و بنوسكتان عند ابن الأثير:بني سليان.وعند المقريزي: بني سليمان. وعند ابن خلدون:بني سكتان من جبيلة.وهو تحريف لجيملة أحد بطون كتامة.

9 عند ابن الأثير وابن خلدون :انكجان.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص451.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42.المقدسي،وعند المقدسي :إيكجا ينظر Al-Mauqaddasi,Description Musulman,p6.

سكتان"[1]،ولما وصلوا إلى فج الأخيار، اندهش موسى وحريث من علم الداعي بموضع هذا الفج، رغم أنهما لم يذكرا له شيئا عن هذا المكان قبل ذلك ، فأخبرهما أنه تلقى معلومات ووصفا حول البلاد التي دخلها[2] . ومن المحتمل أن تكون بعض هذه المعلومات الجغرافية حول فجّ الأخيار وإيكجان وبني سكتان ، قد تلقاها الداعي الشيعي من مضيفه أبي عبد الله الأندلسي حينما سهرا معا ليلة أخذ العهد . ويرجح هذا الاحتمال أنه الوحيد الذي اتصل به الداعي مباشرة عند نزوله بسوجمار،و حاوره وحدثه حديثا طويلا ،و بالإضافة إلى ذلك معرفته ببلاد كتامةومسالكها.

ومن المؤكد أن أبا عبد الأندلسي قد وقف بجانب الداعي أبي عبد في كل ما عمله من اللحظة التي حل فيها إلى بلاد كتامة ؛ثم نزوله عند بني سكتان بايكجان ،واتخاذها "دار هجرةٍ" له[3] لنشر دعوته بين القبائل البربرية ،حيث اشتهر أمره ،وبدأ الناس ينضمون إليه [4]، وجعل دعوته "التي كان يقوم بها على رؤوس الملأ مشهورة لدى الجميع"[5].ووصل أمره إلى" أمير إفريقية وحاكم الدولة الأغلبية إبراهيم بن أحمد بن الأغلب،فأرسل إليه رسالة يعده ويتوعده فيها ،فلم يجبه أبو عبد الله الشيعي إلى ما طلب،وردّ عليه بكتاب يدل على جرأته واستصغار شأن الأغالبة،وأخبره بأنه سيستمر في دعوته،ومواجهته عسكريا حتى يزيل مملكته ويحقق مخططه في بناء الدولة الفاطمية[6].

1القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص48. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص ص88،89.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص451.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص57.

2 القاضي النعمان،المصدر السابق،ص48. الداعي إدريس، المصدر السابق،ص88.

3 حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية،ص49.

4 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص ص49،53. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص ص89،90،91،94.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص451.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص42.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص57.

5فرحات المشراوي،الخلافة الفاطمية،ص90.

6القاضي النعمان،افتتاح الدعوة، من ص 54 إلى ص 59. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص ص92،93،94. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ق1،مج4 ،ص42.عند ابن الأثير والمقريزي أن أمير إفريقية إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أرسل إليه عامله بميلة يسأله عن أمر الداعي أبي عبد الله الشيعي،فصغره وذكره له أنه يلبس الخشن ويأمر بالخير والعبادة،فسكت عنه.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص451.المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص57.حسن إبراهيم حسن،تاريخ الدولة الفاطمية،ص50.

ثم ازداد نفوذ الداعي أبي عبد الله الشيعي بين القبائل الكتامية ،وظهرت نواياه السياسية ،فبدأ رؤساء المدن كصاحب مِيلَة[1] وسَطِيف[2] وبِلزْمَة[3]،وزعماء قبائل كتامة يشعرون بخطر الداعي على مراكزهم ومصالحهم ،وبخاصة حينما رأوا أن حاكم الدولة الأغلبية إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أغفل أمره ،فشرعوا يعملون على مضايقته ومحاولة تصفيته ،مما اضطره إلى الانتقال صحبة أنصاره من بني سَكْتَان إلى تَازْرُوت[4] للاحتماء ببني عَشْمَان[5] الكتاميين[6]. ولا ريب أنّ أبا أبا عبد الأندلسي كان إلى جانبه في هذه القاعدة الجديدة.

وقد استمر رؤساء المدن والقبائل في ملاحقة الداعي الشيعي وأتباعه بتازروت ، ولكنه استطاع أن يحبط جميع محاولات الإمساك به،و ينجح في عقد

1مِيلة:مدينة صغيرة بأقصى إفريقية بينها و بين بجاية ثلاثة أيام ليس لها غير المزدرع وهي قليلة الماء بينها وبين قسطنطينية يوم واحد.ينظر،ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج4،ص717. البكري،المغرب ،ص64.الإدريسي،المغرب العربي،ص121.

2سَطِيف: مدينة أو حصن، بينها وبين ميلة مرحلة، وهي قديمة أزلية .الحميري،الروض المعطار،ص218.مدينة في جبل كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض البربر ببلاد المغرب وهي صغيرة إلا أنها ذات مزارع وعشب عظيم ومنها خرج أبو عبد الشيعي داعية عبيد المسمى بالمهدي.ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج3،ص90.البكري، المغرب،ص76.الإدريسي،المغرب العربي ،ص125.

3 بِلزْمَة:وهي حصن لطيف،بمقربة من قسنطينة،وبينهما يومان.ينظر،الإدريسي، المغرب العربي،ص127.

4 تازروت:عند ابن الأثير:ناصرون.المقريزي:تاصروت.ابن الأثير، الكامل،ج6،ص451.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص58. وذكر فرحات الدشراوي أن تازروت "قلعة تقع جنوبي شرقي جبل إيكجان في اتجاه ميلة."فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية،ص101.وحدد موسى لقبال موقع "حصن تازروت دار هجرة الداعي "فذكر أنه "قد يكون قرب مركز عين ملوك ويرجح ذلك وجود وادي العثمانية جنوبا نسبة لقبيلة عثمان القديمة،وقد تكون الخرائب القريبة من القريبصة بين الرواشيد وميلة وكلها قريبة من ايكجان.غير أن خرائب القريبصة تبدو أقرب إلى ميلة من عين ملوك والنصوص تشير إلى قرب تازروت من ميلة". موسى لقبال،دور كتامة،ص152،الهامش رقم322.

5 يرى موسى لقبال أنّ صيغة عثمان هي الأقرب إلى الصواب نظرا لوجود بقايا باسم بني عثمان بقرب قلعة تازروت.ثم توجد قرية العثمانية فيما بين جبل غروس وعين ملوك أي بالقرب من تازروت القديمة.ينظر،موسى لقبال،دور كتامة،ص242،الهامش191.

6 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،من ص79 إلى ص87. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،من ص 94 إلى ص97. ابن الأثير،الكامل ،ج6،ص451. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4 صص42،43. المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص58.

تحالف بين قبيلة غمشان المناصرة له ،وقبيلة لهيصة[1] التي صارت من أنصاره بعد أن كانت تعـاديه[2].

وبعد هذا النصر الكاسح الذي حققه الداعي الشيعي في مسيرته الدعوية قرر خصومه تغيير خطتهم، فبدل أن يتحايلوا في القبض عليه،عمدوا إلى تجميع وحشد كل القبائل التي لم تدخل في طاعته ،وزحفوا نحو تازروت للقضاء عليه وعلى أنصاره إذا ما امتنعوا من تسليمه،وبالتالي أصبحت تازروت محاصرة من كل الجهات بواسطة قوات هذا التحالف الجديد[3].وصار الخطر محدقا بالداعي أبي عبد الله الشيعي ،فقرر مغادرة تازروت لعدم حصانتها،وأنشأ بالقرب منها معسكره و جعل حوله خندقا،ودعا جميع أنصاره،فتسابقوا إليه لنصرته[4].وبما أن الوضع كان يزداد خطورة،اقترح عليه أتباعه أن يبعدوه إلى مكان آمن ، ويقاتلوا دونه ، فخطب فيهم يقويهم ويرفع معنوياتهم[5].

وفي هذه اللحظات الصعبة، وأمام هذا الموقف الثابت من أتباع الداعي الشيعي ، برز أبو عبد الأندلسي ، وقد وقف على قدميه مبتهجا بما رأى من الداعي وأتباعه ، ومثنيا على ثباتهم قائلا:"و لقد ثبت أمرُ الله فيكم كما ثبَتَتْ هذِهِ في هذا- أشار إلى أذنِهِ و رأسهِ-" ثم أقسم محرضا على المواجهة والدفاع على مبادئهم قائلا:" و !لو قابلتم هذه الجبال،و- أشار إليها -،بهذه النِّيات،لأنزلتموها! "[6].ويبدو أنّ هذا الموقف الذي سجله صاحب افتتاح الدعوة لأبي عبد الله الأندلسي،يدل على أهمية الدور الذي كان يقوم به في خدمة الداعي أبي عبد الشيعي ،وأنه كُلف بمساعدته على القيام بمهمته منذ وصوله إلى

---

1 لهيصة: عند ابن خلدون:لهيعة.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص43.ولهيصة قبيلة من كتامة.القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص211.

2 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،من ص90 إلى95. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، صص 98،99،100،102.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص43.

3القاضي النعمان، افتتاح الدعوة،ص99.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص 102،103.فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص106.

4 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص100.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص 103.الطالبي،الدولة الأغلبية،ص671.

5القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،من ص99إلى ص102. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص103.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص43.

6 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة ،ص102. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص103.

إيكجان[1]،و مدى المجهود الذي بذله في سبيل إنجاح المخطط لإقامة الدولة الفاطمية بالمغرب.

وبعد أن رأى الداعي الشيعي ثبات أصحابه وتماسكهم،قرر مواجهة جيش المتحالفين.ولكن أراد في أول الأمر محاولة تشتيت صفوفهم ،وثني عزمهم على المواجهة العسكرية،وهذا لتحاشي الاشتباك مع عدو أقوى منه.ولكن محاولته باءت بالفشل،فعزم على الاشتباك معهم،ومهاجمة كل قبيلة لوحدها،حتى لا يترك للقبائل المتحالفة الوقت الكافي للاستعداد والمبادرة بالهجوم.فاستطاع بهذه الخطة أن يكبد خصومه المتحالفين خسائر فادحة،ويرجع محملا بالغنائم إلى قلعته تازروت[2].

ثم تابع الداعي الشيعي مسيرته،فضمّ إليه قبائل كتامة المناوئة له[3]،مما استدعى تنبه الأغالبة للخطر القادم إليهم،فشرعوا في إرسال جيوشهم للقضاء عليه و على أتباعه،ولكنه استطاع أن ينتصر عليهم ،وفي سنة 291هـ/903م بدأ أبو عبد الله الشيعي في أعماله الحربية،فاستولى على مدن[4] عدة[5]،وقد سهّل تقدمه في الفتوح الفتوح موت إبراهيم بن الأغلب ولحاق ابنه أبي العباس[6] به،وتولية ولده زيادة الله الذي مال إلى اللهو والترف.فهذه الظروف قد ساعدت أبا عبد الله الشيعي على هزيمة الأغالبة،وبسط نفوذه على أكثر أجزاء البلاد.حتى استطاع أن يدخل إلى افريقية،ويطرد آخر حكام الدولة الأغلبية،زيادة الله الثاني،ويعلن قيام الدولة التي

---

1 فرحات المشراوي،الخلافة الفاطمية،ص106

2 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص108.فرحات المشراوي،الخلافة الفاطمية،صص108،109.

3 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة ،صص109،110،113،116. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،صص106،108،109.الأثير،الكامل،ج6،ص451.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص43.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص58.

4 وهذه المدن هي:ميلة،سطيف،طبنة،بلزمة،تيجس،باغاية،قسطيلية،قفصة،الأربس.ينظر تفاصيل استيلاء الداعي أبي عبد الله الشيعي على هذه المدن القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،صص 128،135،165،173،178،203،222،227.ابن عذارى،البيان،ح1،من ص 138 إلى ص150.

5 حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ،ص 50.

6 أبو العباس:عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب،استدعاه أبوه أحمد بن إبراهيم وولاه أمر الدولة سنة 289هـ وغادر إلى صقلية للجهاد،فقام أبو العباس في ولايته برفع المظالم عن الرعية، ولبس الصوف،وأظهر العدل، وكان حسن السيرة ،وأيامه صالحة،وحبس ابنه للهوه وميله إلى الملذات وخشيته من أنّ ينقلب عليه،وفي عهده تمكن الداعي الشيعي من إخضاع كافة قبائل كتامة، واستولى على ميلة.و كانت نهايته على يد ابنه زيادة الله المحبوس، فقد تآمر مع بعض الخدم،فقاموا بقتل أبيه أبي العباس ، وذلك في يوم الأربعاء من شهر شعبان سنة 290هـ.ينظرلسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،صص36،37.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص262.ابن عذارى، البيان،ج1، صص133،134.

خطط لها[1]،في يوم السبت غرة رجب سنة 296هـ[2]/25مارس909م[3]. ولعل هذا النصر الذي حققه يرجع أولا إلى سياسة الحزم والعزم التي انتهجها في مسيرته الدعوية والعسكرية[4]،و يعود ثانيا إلى" المجموعة الشيعية الأولى التي كانت تضم علاوة على الحاجين حريث الجيملي وموسى مكارم،والمريدين أبي عبد الله الأندلسي

وأبي القاسم الورفجومي من أهل سوجمار،عددا من العناصر التابعة لمختلف البطون الكتامية،"[5] التي ساعدته بتفان وإخلاص في مهمته التي جاء من أجلها إلى المغرب[6].

1ينظر القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،من ص 135 إلى ص 245. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،من ص110 إلى ص138.ابن الأثير،الكامل،ج6،صص 451،452،456،457،458،459. ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد،صص 38،39.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4 صص 43،45،46.المقريزي، اتعاظ الحنفاء،ج1 صص 62،63. ابن عذارى،البيان،ج1،من ص 138 إلى ص150. حسن إبراهيم حسن،تاريخ الدولة الفاطمية،ص50.وينظر أيضا

Carles-andré Julien ,Histoire de l’afrique du nord,de la conquete arabe à 1830 .Alger :S.N.E.D ,1978 ,p.55.

2 القاضي النعمان، افتتاح الدعوة،ص245. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص 138.عند ابن الأثير والمقريزي :مستهل رجب.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص459. المقريزي،اتعاظ الحنفاء،ج1،ص63.عند ابن خلدون:في رجب سنة ست وتسعين.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص46.وعند ابن عذارى:يوم السبت غرة رجب.ابن عذارى،البيان،ج1،ص150.

3فرحات المشراوي،الخلافة الفاطمية،ص161.

4 حسن إبراهيم حسن،تاريخ الدولة الفاطمية،ص46.

5فرحات المشراوي،الخلافة الفاطمية،ص89.

6 و رغم أن الدولة الفاطمية تدين بظهورها وقيامها إلى الداعي أبي عبد الله الشيعي إلاّ أنّ نهايته كانت على يد سيده و صاحب دعوته عبيد الله المهدي، وسبب ذلك أنّ المهدي لما خضعت له البلاد واستقامت له الأمور،منع أبا عبد الله الشيعي وأخيه أبي العباس من التصرف في شؤون الدولة،فأثار هذا الفعل غضب وحنق أبي العباس فاستمال أخاه إليه،وعملا على إثارة التمرد والثورة على المهدي،وصمما على قتله.فعرف المهدي بمؤمراتهما،ففرق أتباعهما في البلاد ثم أمر بقتلهم،وأتبع ذلك بقتل الداعي أبي عبد الله وأخيه في يوم الاثنين 15 جمادى الثانية سنة 298هـ.ينظر القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،من ص307 إلى216. حسن إبراهيم حسن،تاريخ الدولة الفاطمية،ص56.

وممّا لا شك فيه فإنّ أبا عبد الأندلسي كان دائما إلى جانب الداعي وبقربه ومن مستشاريه ، ومن الناشطين في دعوته وفي المواجهات المسلحة التي كانت تقع بينه وبين خصومه.ولكن الشيء الذي نجهله في حياة أبي عبد الأندلسيّ في هذه المرحلة ،هو المصير الذي انتهى إليه ،فالقاضي النعمان -والذي يعتبر حتى الآن المصدر الوحيد عنه- لم يأت على ذكره في "الافتتاح "إلاّ في مرحلة دخول الداعي الشيعي إلى بلاد سماتة، وعند رحلته إلى مضارب كتامة،وحينما قامت القبائل المتحالفة بتطويق تازروت،وبعد هذه الحادثة انقطعت أخباره فجأة،فهل معنى ذلك أنّه لقي حتفه في إحدى تلك المواجهات المسلحة؟وهذا الاحتمال غير مستبعد،لأنّ القاضي النعمان والمعروف بحرصه على تفصيل الأحداث بدقة،لم يذكر لأبي عبد الله الأندلسيّ موقفا آخر بعد موقعة تازروت.

وعلى ضوء ما تقدم ،يتبين أن أسرة بني حمدون تعتبر من الأسر العريقة في خدمة الشيعة الفاطميين ، وقد تجلى هذا في شخصية أبي عبد الله الأندلسي ، والذي كان له حضور متميز بسوجمار بكونه معلما وعالما بهذا الموضع، وصاحب معرفة وحدة وفهم ، وقد كان في صحبة أبي المفتش أحد تلاميذ الحلواني ،وأحد كبار الدعاة الإسماعيليين، وبكونه أحد الذين استقبلوا الداعي أبي عبد عند نزوله بسوجمار، وهو في طريقه إلى بلاد كتامة، ثم خُص باستضافته في بيته ، وسهره الليل كله معه ،فكان أول من كشف الداعي له أمره ، وأخذ عليه العهد بالخدمة في صفوفه وتنفيذ مراميه السياسية والمذهبية،ثم صحبه ولازمه في حله وترحاله .وهذا إن دل على شيء، إنما يدل على المكانة المرموقة التي احتلتها هذه الأسرة الأندلسية في الدولة الفاطمية،وهذا قد يفسر الرُتب التي ارتقت إليها في هذه الدولة حتى صارت لها إمارة مستقلة تتوارثها .

هذا فيما يتعلق بإسهامات أبي عبد الله بن حمدون في الدعوة بين قبائل كتامة وفي قيام الدولة الفاطمية .أما الشخصية الحمدونية الثانية،عليّ بن حمدون،فيبدو أن المصادر التاريخية لا تعطينا تفاصيل حول الأعمال التي قام بها في أثناء مرحلة الدعوة بين قبائل كتامة ،فلا نجد إلا إشارة عابرة لابن حيان نقلا عن الوراق ذكر فيها أن عليّ بن حمدون لما اتصل بالداعي أبي عبد الله الشيعي،"تقدم في صحابته"[1]. ورواية لابن خلدون أورد فيها أن عليّ بن حمدون كان في صحبة عبيد وولده أبي القاسم في رحلتهما من المشرق إلى المغرب. ومن خلال هاتين الروايتين المختلفتين ،يُحتمل أن عليّ بن حمدون كان من الرسل الذين بعث بهم

1 ابن حيان :المقتبس،تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجي،ص 33.

الداعي أبو عبد الله الشيعي إلى عبيد الله المهدي[1] لينقلوا له أخبار الدعوة بالمغرب ،ويدعوه للمجئ إلى إفريقية.

ويضيف ابن خلدون في روايته أن عبيد الله المهدي وابنه القاسم لما وصلا إلى طرابلس، بعثا عليّا بن حمدون إلى الداعي أبي عبد الله الشيعي[2]،ربما ليأتيهما بالمعلومات التي يحتاجانها في طريق رحلتهما إلى ايكجان[3]. ويبدو أنه قد نجح في مهمته ،" فأحسن اللقاء والانصراف،"[4]لينضم مرة أخرى إلى عبيد الله المهدي وولده أبي القاسم.وابن خلدون لا يذكر الموضع الذي تم فيه هذا اللقاء.ولكن،إذا علمنا أن عبيد الله المهدي سار من طرابلس إلى قسطيلية،ومن هنا كان ينوي المسير إلى إيكجان للقاء الداعي الشيعي.فمن المحتمل أن عليّا بن حمدون خرج من عند الداعي الشيعي ليتجه مباشرة إلى قسطيلية،حيث كان عبيد الله المهدي.وربما كان اللقاء في هذا الموضع مخططا له مسبقا[5] .

وأما عن حقيقة المهمة التي كُلف بها عليّ بن حمدون ،فيظهر أنّها كانت ذات طبيعة إستخبارتية استطلاعية،فهناك احتمال أنّه أُرسل إلى الداعي الشيعي،لكي يطلعه على حقيقة الوضع بالمنطقة التي يريد عبيد الله المهدي اللجوء إليها،ولعل ما يؤيد هذا الاحتمال أن المهدي،وعند وصوله إلى طرابلس،قرر أن يرسل أحد أتباعه ومرافقيه،وهو أبو العباس[6] إلى القيروان للقيام بمهمة

1ينظر القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص126.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص453.حسن إبراهيم حسن،تاريخ الدولة الفاطمية،52.

2 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.

3 القاضي النعمان، افتتاح الدعوة،ص163.

4 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.

5 ويرى جودت عبد الكريم يوسف أن عليّ بن حمدون لمّا انصرف من عند الداعي أبي عبد الله الشيعي توجه نحو سجلماسة.جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط،ص367، الإحالة رقم3.

6 وهو أبو العباس محمد بن أحمد بن زكريا أخو أبا عبد الله الشيعي.ولقب بالمخطوم.وقد كان في رفقة المهدي في رحلته إلى المغرب.فلما وصل عبيد الله المهدي إلى طرابلس،فرق أصحابه التجار،وبعث أبا العباس إلى القيروان،وأمره أن يلحق به إلى كتامة.ولكن كُشف أمره،وقبض جنود زياد الله الثاني الحاكم الأغلبي،فأخذ،وقرّر ،فأنكر،فحبس.القاضي النعمان، افتتاح الدعوة صص162،163. ابن الأثير،الكامل،ج6،ص454.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص45.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص61.

استطلاعية،من باب الحذر،وحرصا منه على اختبار شبكة الاستعلامات الأغلبية والإطلاع على حقيقة الوضع في عاصمة إفريقية،قبل الالتحاق بإيكجان[1].

و على ما يبدو فإنّ المعلومات التي وصلت إلى عبيد الله المهدي،عن طريق عليّ بن حمدون،أو من مصادر إستخبارتية أخرى،وهو بقسطيلية[2]،تشير إلى أن الوضع لم يكن مناسبا له ولرفقته،بالسير إلى إيكجان.فقد وصلته أخبار القبض على أحد أتباعه،وأنّ الأغالبة شرعوا في ملاحقته والبحث عنه[3]. ويحتمل أيضا أنّ الداعي الشيعي حمّل عليّ بن حمدون رسالة للمهدي وهو بقسطيلية مفادها أنّ الجيوش الأغلبية مازالت صامدة وفي كامل قوتها،وأنّه لم يسيطر على المنطقة بصفة نهائية وما زالت المعركة بينه وبين بني الأغلب دائرة،وأنّ هناك أخطارا تحدق به لو ذهب إلى إيكجان[4] .

وبناءً على هذه المعلومات الإستخبارتية ،رأى عبيد الله المهدي أنه لا يمكنه أن يكمل رحلته إلى إيكجان ،ولا يقدر على البقاء في قسطيلية،لأنّه سيقع حتما في قبضة جنود زيادة الله الثاني ،ولهذا عليه أن يبحث عن ملجأ يحتمي فيه، بعيدا عن نفوذ الأغالبة،وداخل منطقة المغرب، منتظرا انتصار داعيته المخلص أبا عبد الشيعي على بني الأغلب[5].ولهذا قرر التوجه مباشرة إلىسجلماسة[6].

و بعد نزول عبيد الله المهدي بسجلماسة استأجر دارا واستقر بها،و تلقى معاملة حسنة من صاحبها[7] ،وكسب وده خاصة بعدما أتحفه بالهدايا،ولكن تغيرت معاملته حينما رأى أن الداعي أبا عبد الله يقترب من سجلماسة بجيشه،وكان أن وصلته رسالة من الحاكم الأغلبي زيادة الله الثاني إليه يعلمه فيها بحقيقة ضيفه، فقام باستجوابه وسأله عن نسبه،فاعترف بنسبه،إلاّ أنّه نفى علاقته بالداعي الشيعي،فسجنه مع ابنه أبي القاسم،غير أنّه حبس كل واحد منهما في دار لوحده.و

1 فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية،ص173.
2 عند ابن خلدون والمقريزي:قسنطينة. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص45.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص61.
3 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،صص162،163.
4 فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية ،صص174،175.
5 فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية،ص175.
6 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،صص163،164.ابن الأثير،الكامل،ج6،ص454. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص45.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص61.
7 هو اليسع بن مدرار.القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص276.

تعرض من كان معهما من الرجال[1] إلى المساءلة والاستنطاق و التعذيب ليقروا بعلاقتهم بالداعي الشيعي،إلاّ أنّهم لم يعترفوا بشيء،فكان مصيرهم الاعتقال[2].

ويبدوأنّ عليّ بن حمدون كان من بين هؤلاء المعتقلين كما ذكر ذلك ابن خلدون في تاريخه[3]،وقد أُطلق سراحهم بفضل الداعي الذي حقق نصرا كاسحا على على الأغالبة ودخل عاصمتهم ،ثم جهّز جيشا كثيفا وأسرع في الزحف إلى سلجماسة،فوصلها يوم السبت ذو الحجة 296هـ/26 أغسطس909مـ،وحرر سيده المهدي وابنه القائم ومرافقيه من الحبس،ورجع معه إلى رقادة[4] في يوم الجمعة 21 ربيع الثاني 297هـ/7 يناير 910مـ ليُعلن تأسيس الخلافة الفاطمية رسميا بالمغرب[5].

و ممّا سبق،نلاحظ أن عليّ بن حمدون ساهم بفعالية في تأسيس الدولة الفاطمية،وواجه المخاطر من أجل إنجاح قيامها[6] ،فقد كان الأقرب إلى الداعي وهو وهو يخطط لتهيئة الأجواء لتأسيس الدولة . وكان إلى جانب عبيد الله المهدي وولده أبي القاسم بسلمية وفي هجرتهما إلى المغرب، وفي اللحظات الصعبة والمهمة ، والتي كان لها دور في وضع الحجر الأساس للخلافة الفاطمية بالمغرب.ولأجل هذا الدور الكبير الذي قام به عليّ بن حمدون ، نجد أن أول حكام الدولة الفاطمية، عبيد الله المهدي وولي عهده أبا القاسم ،قد عملا على تقريبه إليهما،ورشحاه لأعلى المناصب في الدولة .

---

1 منهم جعفر الحاجب وأبو يعقوب القهرمان والطيب المعروف ببُركَان.أما أبو يعقوب فاعترف بعد أيام قليلة عن علاقته بالداعي أبي عبد الله الشيعي.القاضي النعمان، افتتاح الدعوة،ص278،الإحالة رقم1.

2 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة، صص 276،277،278.

3 ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص 107.

4 رَقّادة:على بعد أربعة أميال جنوب القيروان .والذي بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب في سنة 263هـ،واتخذها مقره بدلا عن مدينة القصر القديم (العباسية).واستمرت عاصمة للدولة الأغلبية والدولة الفاطمية إلى أن بنيت مدينة المهدية، فانتقل إليها عبيد الله المهدي الفاطمي،فهُجرت مدينة رقادة وخُربت.البكري،المغرب،ص27.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ المغرب العربي.ص27،الإحالة رقم1.

5 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة ،ص276،279،299.الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب، صص176،177،180.حسن إبراهيم حسن،تاريخ الدولة الفاطمية،ص55.

6 الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمّادي الساحلي.بيروت:دار الغرب ط1سنة 1992،ج1،ص47.

4 سفارة عليّ بن حمدون للفاطميين بالمشرق وخدمته لولي العهد الفاطمي أبي القاسم:

لمّا تولى الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي حكم افريقية،قرّب إليه عليّ بن حمدون وزادت رتبته عنده[1]، فرشحه ليكون سفيره في الخارج ،والمسؤول عن حمل رسائله إلى المشرق[2].بسبب ما كان يتميز به من فطنة وذكاء[3] ،وما أظهره من الخدمة وحسن الأداء والتلقي أثناء قيامه ببعض المراسلات أو" المخابرات"[4] بين عبيد الله والداعي أبي عبد الله الشيعي بالمغرب.وقد استطاع أن ينجح في مهمته كمبعوث رسمي لهذه الدولة بالخارج،ويُحكِم لها شأنها في المشرق،وينال رضا الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي ويزداد عنده رفعة[5] .

ومن خلال هذه السفارة إلى المشرق،نكتشف أن عليّ بن حمدون كان يتميز بذكاء لافت و بمواهب سياسية ومهارة دبلوماسية أهلّته لهذه الرتبة التي نجح فيها نجاحا باهرا ،ممّا دفع عبيد الله المهدي ، بعد استدعائه من مهمته بالخارج، إلى ترشيحه لكي يكون في صحبة ولي عهده أبي القاسم ،فازداد حظوة لديه ولطفت منزلته [6]،وصار من خواصه والمقربين منه.

وقد صحبه في خرجته العسكرية الكبرى لردع ثورات البربر[7] . وعند خروجه في هذه الحملة، ترك زوجته وولديه جعفر و يحيى،في كفالة الخليفة

---

[1]ابن حيان ،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجي، ص. 34.ابن عذارى،البيان،ج2،ص.242. ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص.107.

[2]ابن حيان ،المصدر السابق، ص.34.

[3] المصدر نفسه،ص.34.

[4] المهدي بو عبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،صص.56،66.

[5]ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص. 34.

[6]ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجي،ص.34.ابن عذارى،البيان،ج2،ص.242.

[7]ابن حيان،المصدر السابق،ص34.ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص242.ابن الأثير،الكامل،ج7، ص.36. القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص328.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء =

الفاطمي عبيد الله المهدي[1]،وقد نشأ ببلاط أبي القاسم[2].و كان المسؤول المباشر عن تربيتهما ورعايتهما جوذر[3]،والذي ذكر أنه أيضا تكفل بخدمة أسرة ولي العهد أبي القاسم في أثناء غيابه[4] .

ورعاية الخليفة الفاطمي لأسرة عليّ بن حمدون، تدل على أن ولديّ عليّ ،جعفر ويحيى،قد أتيح لهما أن يتحليا بآداب الملوك،وينشآن نشأة أبناء كبار رجال الدولة [5]،ويختلطا بأفراد الأسرة الفاطمية الملكية،بل يصير المعز _رابع الخلفاء الفاطميين_ أخاهما من الرضاعة[6]،وتكون أمهما أمًا له من الرضاعة [7]ولعل هذه التنشئة لولديّ عليّ بن حمدون،وهذه القرابة التي نشأت بين أسرته و الأسرة المالكة ، لها أثرها في توطيد العلاقة بين هذه الأسرة والدولة الفاطمية ، وفي تميّز إمارة بني حمدون عن غيرها من الولايات التابعة للفاطميين في علاقتهم بالخليفة الفاطمي.

= الفاطميين،ص215.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص50.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص72.

[1] ابن حيان،المصدر السابق،ص34.

[2] ابن خلدون،المصدر السابق،ص107.الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص47. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر،القبائل العربية في المغرب،ص54.

[3] منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر ،صص،129،131.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص353.

[4] منصور العزيزي،المصدر السابق،ص39.

[5] عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية،ص132.

[6] ذكر المقريزي أنّ المعز ولد بمدينة " المحمدية" (المسيلة) مخالفا بذلك بقية المؤرخين الذين يرون أنّ ولادته كانت بالمهدية.وقد دافع محمد بو عبدلي عن هذه الرواية واعتبر تعيين المهدية مكانا لولادة المعز خطأ تاريخي.ويضيف أنّ المعز نشأ بمدينة المسيلة مع جعفر بن عليّ وبلكين بن زيري بن مناد.وممّا يُدعم هذا الرأي هو أنّ ولادة المعز كانت سنة319هـ ،ورواية ابن خلدون تقول أنّه رضع من والدة جعفر والتي كانت في مدينة المسيلة بدءا من سنة 317هـ كما ذكر ذلك ابن حيان نقلا عن الوراق،فهل معنى ذلك أن المعز فعلا وُلد بالمسيلة كما ورد عند المقريزي ونشأ بها مع جعفر وأخيه يحيى؟. ينظر المقريزي،اتعاظ الحنفا، ،ج1،ص93. المهدي بوعبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص136.

[7] ويبدو أنّ ابن خلدون هو المؤرخ الوحيد الذي أشار إلى هذه المعلومة.و الكلمة التي تشير إلى ذلك نجدها واضحة في طبعة بولاق ،وقد حرّفت في طبعة بيروت الرديئة فصارت لا تفهم. ينظر محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص86،الإحالة رقم 2. روجيه إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص47.فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص353. أحمد خالد،ابن هانئ. الجزائر:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،تونس:الشركة التونسية للتوزيع،سنة 1976،ص23.محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص50.

ويلاحظ أيضا أن إشراف جوذر _الشخصية المقربة جدا من الخلفاء الفاطميين الذين تناوبوا على حكم المغرب_ على تربية ولديّ عليّ بن حمدون،جعلته يرتبط بعلاقة متميزة بأفراد أسرة بني حمدون الأندلسية، وبصفة أخص بعليّ وولده جعفر.وقد ظهر أثر هذه العلاقة خاصة في عهد المعز الفاطمي،إذ أنّه وصل إلى مسمع جوذر إشاعات حول ما كان يُظهره جعفر عامل المسيلة ،من الولاء والطاعة له،ودخوله عليه بالمهدية،ممّا دفعه إلى مراسلة الخليفة الفاطمي المعز،ورده على هذه الإشاعات، وتبرئة نفسه، ممّا قد ينسب إليه من منافسته للخليفة الفاطمي في سلطته على عماله.و فسر له طبيعة العلاقة التي تربطه بأمير المسيلة بأنّها علاقة أبوية عاطفية خالية من كل مطمع سياسيّ،تكونت من تكفله بتربيته و رعايته بأمر من الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله ،نيابة عن أبويه الذي شغل بخدمة الفاطميين ،والدفاع عن دولتهم[1].ثم إن الخليفة الفاطمي المعز نفسه،كان يُظهر عطفه على جعفر،ويتغاضى عن أخطائه، بسبب هذه العلاقة الأبوية الخاصة التي كانت تربطه بجوذر[2].

وهكذا ترك عليّ بن حمدون زوجه وأولاده في رعاية الخليفة الفاطمي عبيد الله و جوذر، ليرافق وليّ العهد أبا القاسم في حملته العسكرية الكبرى إلى بلاد المغرب.وفي خلال هذه الحملة ، يُكلَّف بإنجاز مشروع بناء مدينة جديدة بالمغرب وتعميرها[3].و يتعلق بهذا المشروع العمراني عدة أسئلة، ومنها : ماهي طبيعة المكان الذي بنيت عليه هذه المدينة جغرافيا وسكانيا ؟ ومن هو الذي أمر بخطها ومتى كان ذلك ؟ وما هي الأسباب وراء بنائها؟ ومن تولى تعميرها وبناءها ولماذا ؟ ثم كيف كانت عمارتها ؟

[1] منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص131.
[2] المصدر نفسه،ص129.
[3] ابن خلدون :تاريخ ابن خلدون،ج4، ص108.

الفصل الثاني

مساهمة بني حمدون في بنـاء مدينـة المسيلـة

- طبيعة المكان الذي أنشئت عليه المدينة جغرافيا وسكانيا
- إشكاليات تأسيس المدينة:

أ _ المؤسس وظروف تأسيس المدينة

ب _ تسمية المدينـة

ج _ تاريخ التأسيس

د _ أسباب التأسيس

- تكليف علي بن حمدون ببناء وتعمير المدينة

من أهم المشاريع التي أنجزت على يد أسرة بني حمدون بعد قيام الدولة الفاطمية،مساهمتهم في بناء مدينة جديدة تضاف إلى الخريطة الجغرافية والسياسية والثقافية للمغرب ، وهي **مدينة المسيلة** .

ولاستكشاف هذا المشروع العمراني يجدر بنا تحديد الطبيعة الجغرافية والسكانية لهذه المدينة.وتبيّن إشكاليات تأسيسها،ودور علي بن حمدون في تعميرها.

أولا_ طبيعة المكان الذي أنشئت عليه المدينة جغرافيا وسكانيا:

بُنيت مدينة المسيلة[1] بنواحي بلاد الزاب[2] من أرض المغرب[3]،بين سهول الحضنة في الجنوب وجبال المعاضيد في الشمال،وبين طبنة شرقا وأشير غربا[4]. ومن خلال المعلومات التي أوردها الجغرافيون والرحالة العرب عن مكان مدينة المسيلة ، يمكن أن نلحظ أن هذا المكان يتميز بما يلي:

1_ بنيت مدينة المسيلة في الطريق الرابط بين افريقية والمغرب[5]وفي نهاية الحدود الغربية لإقليم الزاب[6].وقد وضح هذه الميزة الرحالة والجغرافي اليعقوبي،الذي ذكر أنّ مدينة أزبة [7]،القريبة من المكان الذي شيدت فيه مدينة

---

[1] المَسِيْلة: "بالفتح ثم الكسر والياء ساكنة و بعدها لام". ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج4،ص534.ويطلق عليها أيضا **"المَزِيلة"**.مرتضى الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس.بيروت:منشورات دار مكتبة الحياة،ط1،سنة 1306هـ،مج8،ص116. و**المسيلة** "مدينة بالجزائر،ارتفاعها 470 **مترا عن سطح البحر**،وتقع شمال شط الحضنة على ضفة نهر يقال له **واد سهر**". لسان الدين بن الخطيب،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،ص66،**الإحالة رقم** 3.

[2] للتعرف على إقليم الزاب ينظر الفصل الثالث:الحدود الجغرافية للإمارة.

[3]ياقوت الحموي ،معجم **البلدان،مج4،ص**330.وينظر Al-Mauqaddasi,Description Musulman ,p8

[4] محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص48.

[5] عبد العزيز الفيلالي،العلاقات السياسية،ص132.**و**لابد من الإشارة هنا أنّ المقصود من مصطلح "إفريقية" **و"ا**لمغرب" في هذا البحث التقسيم الإداري الذي كان معروفا في عصر الولاة والأغالبة،بحيث أن إفريقية حدودها تنتهي عند مدينة أ ربة أو أزبة ،ويليها بعد ذلك ما يطلق عليه **بالمغرب الأوسط** . وهذا التقسيم الإداري لإفريقية والمغرب قد تغيّر في عهد الفاطميين،فقد ذكر **ابن حوقل** أن كورة تاهرت أو ما يُعرف عند الأغالبة بالمغرب الأوسط صارت جزءا من ولاية إفريقية بعدما كانت قسما قائما بذاته منفصلا عن إفريقية في عهد الأغالبة.ابن حوقل،صورة **الأرض،ص**93.حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته،مج1،ج1،**صص**202،203.

[6] Paul-louis Cambuzat ,L’evolution des cités du Tell en Ifrikiya ,p116.

[7]**أزبة: (زابي** Zabi Justiniana) :ذكر موسى لقبال أنّها"المدينة القديمة التي أعطت اسمها للإقليم فيما يبدو". **موسى لقبال،دور كتامة،ص**161 .وهي "قرية تقع على نهر ضغير يسمى الزاب ويصب في شط الحضنة،وهذه القرية كانت في أصلها حصن روماني يسمىZabi ومنه جاءت التسمية العربية للإقليم كله ...تقع إلى الشمال من شط الحضنة وهي إلى الشمال الغربي بقليل من مدينة طبنة وإلى شمالها تقع سطيف وإلى غربها المسيلة". حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته،مج1،ج1،صص199،200،209.ورسمها اليعقوبي وياقوت الحموي **أربة**. اليعقوبي =

المسيلة،هي " آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب ولم يجاوزها المسودة"[8]،أي تمثل حدا سياسيا،عندها ينتهي نفوذ **الأغالبة** والعباسيين.وتبدأ مراكز نفوذ الانفصاليين من الخوارج ومن العلويين أيضا[9].**و** يصرح المقدسي بوضوح عن هذه الخاصية الجغرافية.إذ نجده بعدما يقسم إقليم **المغرب إلى سبع كور**[10] ، منها كورة إفريقية ،والتي تشتمل على عدة مدن منها مدينة **المسيلة**[11] ،يؤكد أنّها**"راس حد افريقية"**[12] من الجهة الغربية، أي أنها المدينة التي تفصل كورة[13] افريقية عن كورة تاهرت غربا.

فتموقع هذه المدينة في هذا المكان الوسط ، جعلها محاطة بالمدن الكبري **والعامرة بالمغرب**.وجعلها أيضا ملتقى المسالك والدروب والطرق التجارية[14] .

،البلدان،وضع حواشيه محمد أمين ضناوي.بيروت:دار الكتب العلمية،ط1،سنة2002 ،ص191.ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج1،ص190. وعندالمقدسي والبكري **ادنة**. البكري،المغرب،ص144. Al-Mauqaddasi,Description Musulman,p8.وعند ابن حماد الصنهاجي **أذنه** ويقول أنّها تعرف بفحص باتنة(وهي غير باتنة الأوراس). وذكر البكري أنها تقع بين طبنة والمسيلة، وجعلها على مرحلتين من طبنة.ينظر البكري،المغرب،ص144. **وذكر ابن** حماد الصنهاجي أنها" مدينة عظيمة خربت،بينها وبين مسيلة اثنا عشر ميلا". ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص71. وعرفها الحميري بأنها "مدينة بالزاب من أرض إفريقية ...**على** مقربة من المسيلة بينهما اثنا عشر ميلاً وبينها وبين مدينة طبنة مرحلتان ..... وهي كثيرة الأنهار والعيون العذبة، وهي مدينة رومية قديمة، وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية للروم كلها عامرة، وهي كانت مملكة الروم بالزاب". الحميري،الروض المعطار،ص20 . ومدينة ازبة أو زابي تبعد بحوالي كيلوا مترين إلى شرق مدينة المسيلة. بوخالفة نور الهدي،القبائل العربية،ص522 ، **الإحالة رقم** 1..

[8] اليعقوبي ،البلدان،وضع حواشيه محمد أمين ضناوي.بيروت:دار الكتب العلمية،ط1 **سنة**2002 ،ص191.

[9] **موسى لقبال،دور كتامة**،ص161.ويرى حسين مؤنس أن تعيين الحد الغربي لبلاد الزاب بمدينة أربة غير دقيق،وأنّ حد الزاب الغربي هو مجرى شلف غربا.ينظرحسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته،مج1،ج1،ص209.

[10] يقسم المقدسي المغرب إلى سبع كُوَر،وهي:كَورة برقة ثم افريقية ثم تاهرت ثم سجلماسة ثم فاس ثم السوس الأقصى،ثم جزيرة صقلية،وناحيتان لفاس طنجة والزاب Al-Mauqaddasi,Description Musulman,p4.

[11] Ibid p. 4

[12] Ibid p.66

[13] **كورة**:"وحدة إدارية أصغر من الإقليم ." صباح إبراهيم الشيخلي،النشاط التجاري في بلاد المغرب **خلال القرن** 4هـ/10مـ ، ص26. ويُعرفها ياقوت الحموي بأنّها "كل صقع يشتمل على عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ،ذلك اسم الكورة".ياقوت الحموي، معجم **البلدان،مج**1،37،36.

[14] ينظرصباح إبراهيم الشيخلي،النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10مـ ، ص43.

ويبدو أن هذا المكان الوسط لمدينة المسيلة كان عاملا في ازدهارها اقتصاديا وثقافيا،وأكسبها أهمية استراتيجية،فجعلها همزة وصل بين غرب المغرب وشرقه.

2_ذكر كل من البكري و الإدريسي **وصاحب كتاب "الاستبصار" أن** المسيلة بنيت في بساط من الأرض[15] ،ومعنى هذا أنها في موقع غير محصن بخلاف مدن أخرى بنيت في أماكن جبلية وعرة كمدينة أشير وقلعة بني حماد التي بنيت بمقربة منها [16]. وذكر صاحب عيون الأخبار أن هذا المكان كثير الزرع ،و فيه فحوص واسعة أي أراضي خصبة صالحة للزارعة[17] . ويلاحظ أنه لم يكن أرضا جرداء خالية من البناء و**العمارة** ، فالبكري يخبرنا أن بهذه الأرض ونواحيها موضعا يُعرف بالقباب ،فيه قباب بنيت من قبل،وأن هناك آثارا باقية لمدينة يقال لها بشلفية[18]**.و ذكر ابن عذارى أن بالقرب من** المسيلة "مدينة للأوّل" يطل عليها جبل الأوراس يطلق عليها **الرمازِيَّة**"[19].

3_ مدينة المسيلة بنيت على نهر يسمى سهر[20]، وكما يصفه لنا ابن حوقل والإدريسي وصاحب " **الاستبصار**" أنه فيه ماء عظيم وكثير منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق[21] ، وذكر البكري أن هذا النهر المعروف بالوادي الرييس، مبعثه من عيون داخل مدينة غدير[22] **الواقعة** بالقرب من المسيلة؛وأورد الإدريسي أنّ ماء هذا النهر "**عذب** ، ويعيش فيه نوع من السمك صغير.فيه طرق حمر

---

[15] **البكري:المغرب** ،ص 59. الإدريسي ،المغرب العربي ،ص 108.**مؤلف** مجهول،كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار ،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد.الدار البيضاء،المغرب:دار النشر العربية،سنة 1985،ص171.

[16] **قلعة بني حماد**:بينها وبين المسيلة اثنا عشر ميلا.الحميري، الروض المعطار ،ص469.

[17] الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص217.

[18] **البكري:المغرب،** ص59.

[19] ابن عذارى، البيان،ج1،ص214.

[20] ويطلق عليه الآن وادي القصب أو وادي المسيلة.ومياه وادي القصب تحولت إلى سد بهذا الاسم. **ناصر** الدين سعيدوني،المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ود ورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامية.مجلة الثقافة،العدد الثامن،السنة الرابعة عشرة،شهر جمادى الثانية_ **رجب**1404هـ/**مارس** _ أبريل 1984م،ص140.موسى لقبال،طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى،ص92.

[21] ابن حوقل،صورة الارض ،ص85.الإدريسي ، المغرب العربي ،ص108.مؤلف مجهول،الإستبصار ،ص171.

[22] الغدير:ويسميها البكري غدير وارّوا،وهي مدينة بقرب المسيلة من البلاد الزابية، وبينها وبين قلعة بني حماد ثمانية أميال، وهي مدينة حسنة أهلها بدو، ولهم مزارع وأرضون مباركة، والحرث بها قائم، والمسافة بينها وبين المسيلة ثمانية عشر ميلاً.وهي مدينة أولية بين جبال، فيها عين ثرة عذبة عليها الأرحاء، وعين أخرى وتحتها عين خرّارة، ومن هناك ينبعث نهر سهر، وبمدينة الغدير جامع وأسواق عامرة وفواكه كثيرة، وهي رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار،وسكانها هوارة يعتدون في ستين ألفا،وهي على مرحلتين من طبنة.البكري،المغرب صص59،60.الإدريسي،المغرب **العربي**،ص117. الحميري، الروض المعطار،ص427.

حسنة.ولم يُر في بلاد المعمورة سمك على صفته،لا شبيه له في البلاد الأخرى ،و أهل مسيلة يفتخرون به .وربما اصطيد منه الشيء الكثير."[23]وهذا النهر كما يصفه ابن سعيد المغربي في القرن السابع *الهجري،هو من* أجلّ الأنهار، و يمر بغربي المدينة وتغوص مياهه في رمال الصحراء[24] .وذكر ابن عذارى أن حول سور مدينة المسيلة ساقية من هذا النهر[25]، و يضيف البكري أن هذه الساقية أو جدول الماء ،له منافذ تسقى منه المدينة[26] .ولاحظ ابن حوقل أن لأهل المسيلة على هذا النهر كروما وأجنة كثيرة تزيد على كفايتهم[27].ومما لاشك فيه أن تواجد مثل هذا النهر الجاري و الغني بالمياه العذبة قد شجع على تعمير مدينة المسيلة وازدهارها اقتصاديا .

4_ ذكر البكري وجود جبل حصين يقع بالقرب من المسيلة وأنه يسكنه ثلاث قبائل بربرية : عجيسة وهوارة وبني برزال[28] ،وهو المعروف بجبل كيانة أو كتامة[29] ،ويقع في شمال شرق مدينة المسيلة[30]،وقد صار اسمه بعد ذلك جبل عياض[31] نسبة إلى بطن عياض من عرب بني هلال[32]،والذين استوطنوه،ومنحوا له اسمهم،والظاهر أن اسم عياض حُرف قليلا،فصار ينطق "معضادا" ،وأصبح السكان في وقتنا يعرفون بـ"المعاضيد"،وصار"جبل عجسية القديم" أو "جبل

---

[23] الادريسي،المصدر السابق ،ص108.

[24] ابن سعيدالمغربي،أبو الحسن علي بن موسى،كتاب الجغرافيا،حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،ط2 سنة1982،ص126.ويسميه ابن سعيد المغربي :نهر سحر.

[25] ابن عذارى المراكشي،البيان ،ج1، ص190.

[26] البكري ، المغرب ، ص59.

[27] ابن حوقل ،صورة الأرض ،ص 85.

[28] المصدر نفسه ، ص59.

[29] الداعي إدريس:جبل كيانة.وابن خلدون:جبل كتامة ويطلق عليه جبل عجيسة.وعند ابن حماد:جبل كياتة. ويطلق عليه ابن عذارى:الجبل المعروف بحصن أبي يزيد .الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص399.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون، ج6،ص227،ج7،ص22.ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،صص 47،72،74.ابن عذارى،البيان،ج1،ص220.

[30] محمد بن عميرة،دور زناتة،ص19،الإحالة رقم 8.

[31] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص22.ويسمى أيضا جبل مزيتة .محمد بن عميرة،دور زناتة،ص19،الإحالة رقم 8.

[32] ذكر ابن خلدون أن عياض "هم أولاد مشرف بن أثبج ... وكان لهم عدد وقوة بين الاثابج ...وبقيت عياض والضحاك بمواطنهم بافريقية، فعياض نزلوا بجبل القلعة، قلعة بنى حماد وملكوا قبائله وغلبوهم على أمرهم، وصاروا يتولون جبايتهم، ولما غلبت عليهم الدولة بمظاهرة رياح صاروا إلى المدافعة عن تلك الرعايا وجبايتهم للسلطان. وسكنوا ذلك الجبل" .ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6، صص33،227.

عياض" الواقع في شمال الحضنة يطلق عليه حاليا"جبل المعاضيد"[33]. وهو جبل منيع و شامخ ومسالكه وعرة ضيّقة[34].ووصفه الإدريسي بأنّه جبل سامي العلو. صعب الارتقاء ..ويسمى تاقرْبُست ،وأعلى الجبل متصل ببسيط من الأرض ، ويبعد عن المسيلة اثنا عشر ميلا [35]. وأيضا هناك جبل آخر يسمى بجبل سالّات[36] ،وقد وصفه صاحب عيون الأخبار أنه "جبل منيع رفيع "،وذكر أنّ فيه" قبائل من البربر على مذهبه،خوارج إباضية."[37]وأكد ابن خلدون أنه موطن لبني برزال[38].وقد كان لهذين الجبليين دور في أحداث ثورة أبي يزيد الخارجي ،حيث اتخذهما حصنا له من ضربات الجيش الفاطمي بقيادة المنصورالفاطمي[39].

و يوجد على المرتفعات الجبلية الواقعة في شمال شرق مدينة المسيلة[40] عدد من القلاع المحصنة القريبة من بعضها البعض [41]،منها قلعة عقار و يصفها صاحب عيون الأخبار أنها منيعة وعرة المسالك صعبة المرام[42]،وقد التجأت إليها جماعة من كتامة وبني كملان وقبائل زناتة ، ممتنعة بها من جيوش أبي القاسم

---

[33] موسى لقبال،دور كتامة،ص71. وينظر أيضا Jean Despois,Réne Raynal,Géogrophie de l’ afrique du nord-ouest.Paris:Payot,1975,p187

[34] الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص 415،411،399.

[35] الادريسي ،المغرب العربي،صص 109،108.

[36] جبل سالّات (بشد لام ألف). في جهة بوسعادة على سبعين كيلو مترا من جنوب المسيلة.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص392،الإحالة رقم 83. مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،دون تاريخ،ج2،ص147.الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص54.

[37] الداعي ادريس ،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص392.

[38] ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج7 ص72.

[39] المنصور الفاطمي (302 - 341ه = 914 - 953م) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي، أبو الطاهر، المنصور بنصر الله: ثالث خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب.مولده بالقيروان.قام بالأمر في المهدية (بافريقية) بعد وفاة أبيه (القائم بأمر)سنة 334 هـ، وبويع سنة 336هـ بعد أن فرغ من حرب أبي يزيد النكار (مخلد بن كيداد) فبنى مدينة بقرب القيروان سماها (المنصورية) ونقل إليها حاشيته وجنده.وكان حازما خطيبا بليغا.تسلم مقاليد الأمر وثورة مخلد بن كيداد (من أهل قسطيلة) في أشد غليانها، والفتن في البلاد قائمة، فقمع الأولى بقتل مخلد، ولم تفل الأخرى من عزمه.توفي بالمنصورية ودفن بالمهدية.الزركلي، الأعلام،ج1،صص323،322.ينظر المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص88.

[40] محمد بن عميرة،دور زناتة،ص19،الإحالة رقم 8.

[41] ويبدو أنّ هذه القلاع والتحصينات من بقايا ما يسمى بخط التحصينات الروماني الشهير باللمس (Limes-Fossotum Africal).ينظر ناصر الدين سعيدوني،المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ودورها الحضاري،ص136.

[42] الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص216.

الفاطمي عند ملاحقته لابن خزر والقبائل المتحالفة معه سنة 315هـ[43]/927م-928م،وبجانبها قلعة شاكر[44]وهي متصلة بقلعة أخرى[45] يطلق عليها قلعة كيانة[46]،ويسميها البكري بقلعة أبي طويل،ويصفها بأنّها ذات حصانة و منعة[47] ،وهي التي تحصن فيها أبو يزيد مخلد بن كيداد الخارجي[48]، وكانت ملجأ الأخير فرارا من جيوش المنصور الفاطمي[49] . و الجبل الذي سمي بها، هو الذي

---

43 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص216.

44 عند ابن حماد" قلعة تناكر وتقول البربر للموضع الآن شيكر." ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص73. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص411.

45 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص411.

46 قلعة كِيَّانة: عند ابن الأثير و ابن خلدون والمقريزي: قلعة كتامة.ابن الأثير، الكامل،ج7،ص200. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص85.عند ابن حماد:قلعة كياتة،وذكر أن البربر تطلق عليها "قلعة المري"،وعرّفها بأنها تاقربوست المطلة على قلعة حماد. ابن حماد.أخبار بني عبيد،صص72،73.وعند القاضي النعمان و الداعي إدريس:كيانة. القاضي النعمان، افتتاح الدعوة،ص333. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص411،415. وفي "سيرة الأستاذ جوذر":تعرف القلعة بكفانة..وتقع القلعة جنوبي سطيف بين تاهرت والقيروان. منصور العزيزي الجوذري ،سيرة الأستاذ جوذر،ص48، الإحالة رقم4

47 البكري، المغرب،ص49.

48 واسمه أبو يزيد مخلد بن كيداد: ذكر ابن عذارى أنّه مَخْلَد بن كَيْداد بن سعد بن مُغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان اليفرني الزناتي، وعند ابن خلدون أنّه ينتسب إلى بني واركو... من بطون بني يفرن"الزناتيين، ومولده بكوكو من بلد السودان حوالي 270هـ/884-883م،وأصل أبيه من مدينة توزر وأمه بربرية تدعى سبيكة. وأتى به أبوه إلى المغرب فتعلم القرآن العظيم وخالط جماعة من النكار فتعلم مذهبهم.وكان يعلم الأولاد وسكن تقيوس وامتهن تعليم الصبيان بها. وقد عُرف بصاحب الحمار،ومذهبه النكارية ،من فرق الخوارج الإباضية،وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء والخروج على السلطان،وقد بايعه أهل جبل الأوراس في سنة 332هـ/943م،على الثورة في وجه الدولة الفاطمية الشيعية، وعمره ستون سنة ،فسانده كثير من قبائل البربر سواء كانوا على من الخوارج أو من زناتة المعاديين للفاطميين،وأيضا مشيخة المالكية،واعتمد في مهمته على أبي عمار الأعمى،فحقق انتصارات كبرى على الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله واستولى على كثير من مدن المغرب وحاصر المهدية،وقد استمرت هذه الثورة إلى عهد الخليفة الفاطمي الثالث المنصور الذي استطاع القضاء عليها بالقرب من مدينة المسيلة في سنة 336هـ.ينظر:ابن الأثير،الكامل،ج7،ص188،189.ابن حماد الصنهاجي، أخبار بني عبيد،صص53،54،55. ابن عذارى، البيان،ج1،ص 216.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص52.ج7،ص18.الداعي إدريس ،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص264.أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر،كتاب سير الأئمة وأخبارهم،تحقيق إسماعيل العربي.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،ط3،سنة1984،ص175مؤلف مجهول،مفاخر البربر،صص141،142.ابن أبي دينار،المُؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ص58.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص248. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام.الجزائر،ج1،ص216.

49 البكري، المغرب،ص49.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص415،422،426.

انتقل إليه حماد بن بلكين[50] مؤسس الدولة الحمادية بعد تركه لمسيلة،وأسس فيه قلعته المشهورة المعروفة بقلعة بني حماد[51].

وبعد هذا التوصيف الجغرافيّ للمكان نحاول تبيان طبيعة سكانه؛حيث إنّ **الموقع** الذي بنيت عليه مدينة **المسيلة كانت** تسكنه **مجموعة من القبائل** البربرية ،وهي بنو برزال وبنو زنداج وهوارة[52] ومزاته[53] **وعجيسة و صدراته**[54] ،و بني كملان أو بني كهلان[55].

و أول ما نلاحظه أن هذه القبائل في جملتها ذات ميول خارجية إباضية [56]، فقبيلة هوارة ذات النزعة الخارجية [57]،هي التي بايعت أبا يزيد الخارجي،وفي مضاربها أعلن ثورته على الفاطميين [58] .وكان لها دور في تقويته

---

[50]**حَماد بن بُلُكِّين**(ت419هـ/1028):حماد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، مؤسس الدولة الحمادية بقلعة بني حماد وما إليها بالمغرب الأوسط.بدأ حياته السياسية سنة 387هـ/997مـ حين ولاه باديس بن المنصور الزيري أعمال الجزائر وأقطعه مدينة أشير ونواحيها. وقد طمح أن تكون تكون له دولة مستقلة ،فأنشأ القلعة المعروفة باسمه على جبل عجيسة أو كيّانة سنة 398هـ/1007مـ، **وقد أعلن** انفصاله النهائي عن الدولة الزيرية ونقض البيعة سنة 405هـ/1014مـ، **واستمر في الحكم إلى توفي** بتازمرت ، وقيل بالقلعة سنة 419هـ/1028مـ.ينظر لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ ا **لمغرب العربي** ،ص85.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص227.ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص286. **عادل** نويهض،معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر.بيروت:مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر،ط3**سنة** 1407هـ/1983،ص .

[51]الإدريسي ، المغرب العربي ،117 .

[52] هوارة:من بطون البرانس،من ولد هوّار بن أوريغ بن برنس،وبطون هوارة فكثير وأكثرهم بنو نبه وأوريغ،وكانت مواطنهم لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة.ابن خلدون،تاريخ ابن **خلدون**،ج6، صص184،185.

[53] **مزاتة من البرابر البتر.ابن خلدون**،ج6،ص153.

[54] عند ابن حوقل:بني برزال.بني زنداج،هوارة،مزاته.ابن حوقل،صورة الأرض،ص58.عند البكري:عجيسة وهوارة وبني برزال. **البكري، المغرب**،ص59.الإدريسي:بني برزال وزنداج وهوارة وصدراتة ومزاتة.الإدريسي،المغرب العربي،ص108.عند صاحب" **الاستبصار**":عجيسة وهوّارة، وبني برزال.مؤلف مجهول، الاستبصار،ص172.عند ابن عذارى:بني برزال. **ابن** عذارى،البيان،ج1،ص190.

[55] **عند ابن حزم وابن عذارى**:بني كهلان.ينظر ابن حزم الأندلسي،أبو محمد علي بن سعيد،جمهرة أنساب العرب،تحقيق عبد السلام هارون.مصر:دار المعارف،سنة1962،ص496.ابن عذارى، البيان،ج1،ص65،190.وذكر ابن خلدون الصيغتين معا:بني كملان وبني كهلان.ابن خلدون،ج4،ص51.ج6،ص183.وعند ابن الأثير وابن حماد:بني كملان. ابن الأثير،الكامل،ج7، صص36،192،193.ابن حماد، أخبار بني عبيد،صص55،77،81.

[56] جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9 _ 10مـ).**الجزائر**:ديوان المطبوعات الجامعية،دون تاريخ،ص365.

[57] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج6،ص185.

[58] الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص264.ابن خلدون، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ج6،ص185.

ونصرته[59]،خاصة هوارة المستقرة بمدينة الغدير القريبة من المسيلة[60]. وأما بنوكملان والذين هم بطن من هوارة[61]، فقد عُرف عنهم خارجيتهم ومساندتهم لثورة أبي يزيد الخارجي[62] ،وغدرهم لقائد الفاطميين ميسور الفتى وكانوا السبب في هزيمته وقتله ، وفي ترجيح الكفة لأبي يزيد[63]،وقد كانوا آخر من بقي معه وكان اعتماده عليهم[64]،وبسبب ما كان يظهر منهم من تمرد وثورة ضد الدولة الفاطمية ، عمل ولي العهد أبو القاسم في حملته الكبرى سنة 315هـ/927م - 928م على نقلهم إلى فحص[65] القيروان لمراقبتهم عن قرب،وقد كانوا قبل نقلهم قد اختطوا المكان الذي بنيت عليه مدينة المسيلة[66].وأما بنو برزال فهم أيضا من الخوارج الإباضية النكارية[67] ،وقد كانوا على اتصال بأبي يزيد الخارجي قبيل الإعلان عن ثورته[68]، وقد التجأ إليهم بجبل السالات فرارا من جيوش المنصور الفاطمي[69] .

---

59 ابن الأثير،الكامل،ج7، صص194،196.

60 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء بالمغرب،صص406،407.

61 ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب،ص496.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج6،ص183. عند ابن حوقل:أن كملان من زناتة،ينظر ابن حوقل،صورة الأرض،ص103.

62 ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،صص55،71.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص51.ج6،ص185،186.ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج4،ص330.

63 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص296،297،298.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج7،ص20.

64 ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص71.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص252.

65 الفَحْصُ:كُلُّ مَوْضِعٍ يُسْكَنُ وهو في الأصْلِ اسمٌ لِمَا اسْتَوَى من الأرْضِ والجَمْعُ فُحُوص. مرتضى الزبيدي،تاج العروس ،مج4،ص414.

66 ابن الأثير،الكامل،ج7،ص36.ابن عذارى،البيان،ج1،ص190.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص51.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص72.Paul-louis Cambuzat ,L'evolution des cités du Tell en Ifrikiya du Vll au Xl siècle.Alger :office des publication universitaires, p117.

67 اليعقوبي ، البلدان ، ص192 .ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج7، ص72. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص392.

68 ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج7، ص20.والنكارية:وهم اتباع يزيد بن فندين،وسموا بالنكار لأنّهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وثاروا ضده. وهي فرقة انشقت عن الإباضية الأم. وأُطلق على هذه الفرقة ألقاب أخرى منها نجوية لأنّ أتباع هذه الفرقة صاروا يجتمعون ويتناجون،و بالشغبية لإدخالهم الشغب في الإسلام،وبملحدة لإلحادهم في أسماءالله،ونكاثة لكنثهم بيعة الإمام بغير حدث. ينظر أبو زكرياء ، كتاب السير،صص88،96.ابن الصغير،أخبار الأئمة الرستميين،تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز.بيروت:دار الغرب الإسلامي،سنة 1406هـ/1986م،ص43،الإحالة رقم2.محمدبن عميرة، دور زناتة،ص123، الإحالة رقم 1.

69 ابن الأثير،الكامل،ج7،ص199.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص22،72.الداعي إدريس،تاريخ =

و يلاحظ أن في هذه القبائل من ينتمي إلى زناتة ، وعلى رأسها قبيلة بني برزال ،وذكر اليعقوبي موقع هذه القبيلة ونسبها ومذهبها فيقول :" إذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا صار إلى قوم يقال لهم بنو برزال ، وهم فخذ من بني دمر من زناتة،وهم شراة كلهم ."[70] وذكر صاحب "مفاخر البربر" نقلا عن أبي مروان عبد الملك بن موسى الوراق أنّهم فخذ من زناتة من بني يفرن،ومواطنهم بالزاب الأسفل من إفريقية[71]،و أما البكري فيخبرنا أن أرض المسيلة كانت لبني برزال ، و كانوا يسكنون جبلا بالقرب من المدينة المذكورة سابقا[72] . ويوضح ابن خلدون أن بني برزال كانوا "بأفريقية ،وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما إليها من أعمال مسيلة . وكان لهم ظهور ووفور عدد ، وكانوا نكارية من فرق الخوارج. "[73]

ومن خلال ما سبق، فإنّ الطبيعة الغالبة على القبائل المستقرة بأرض مسيلة ، إما أنها قبائل خارجية إباضية نكارية ، أو قبائل زناتية .ولعل هذا ما يفسر ذلك العداء الشديد منهم للفاطميين وكثرة ثوراتهم وتمردهم عليها[74].ومدى اهتمام ولي العهد أبي القاسم في حملته العسكرية الكبرى بأرضهم حيث أمر بأن تبنى عليها مدينة المسيلة.

وقبل أن أنهي الحديث عن هذه القبائل لابد من الإشارة إلى قبيلة كان لها صلة ببني حمدون ، وهي قبيلة عجيسة ،والتي ذكر البكري أنها تسكن في جبل بالقرب من المسيلة[75]،ويعرّف ابن خلدون هذه القبيلة بأنّ أفرادها ينتمون إلى "بطن من بطون البرانس من ولد عُجَيْسَة من بُرْنُس."[76]ويصفهم بأنهم كانوا من أقوى القبائل البربرية وأكثرها عددا،وكانت مضاربهم مجاورة لصنهاجة[77] الشمال[78] ،ثم يُحدد

الخلفاء الفاطميين،ص392،393.

[70]اليعقوبي ، البلدان ، ص191.

[71] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،تحقيق عبد القادر بوباية.الرباط:دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ط1،سنة2005،ص135. ويقيمون أيضا في سطيف و طبنة وميلة.ينظر الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج2،ص92.

[72] البكري،المغرب،ص59.

[73]وذكر ابن خلدون أنهم من ولد ورنيدين بن وانتن بن وارديرن بن د مّر .ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج7، ص72.

[74] جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط،ص365.

[75] البكري،المغرب،ص59.

[76] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص192.

[77] صنهاجة:ذكر ابن خلدون أنهم من أوفر قبائل البربر،وهم أكثر أهل المغرب،ونسبهم فإنهم من ولد صنهاج ،وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس، وعند نسابة العرب من حمير ،وبطونهم كثيرة، ومن أبرزهم تلكاتة(عند ابن خلدون :بلكانة) وأنجفه و شرطة ولمتونة ومسوقةوكدالة ومندلسة وغيرهم.ومن أعظم بطونهم تلكاتة، وكان فيهم الملك،ومواطنهم ما بين المغرب الأوسط

أماكن تواجدهم في عهده،فذكر أنهم يقيمون بـ"بضواحي تونس والجبل المطلة على المسيلة"[79]، وبعضهم "يسكنون جبل القلعة".وأضاف بأنّ الثائر أبا يزيد لما انهزم أمام المنصور التجأ إليهم وتحصن بقلعة كيانة،وهي إحدى حصونهم.ثم لما قام حماد بن بُلِكّين ببناء قلعته بينهم،أدى هذا إلى إضعافهم وخفوت دورهم في المغرب[80].

أما عن طبيعة العلاقة بين هذه القبيلة وبني حمدون فذكر صاحب "عيون الأخبار" أن أبا القاسم وفي أثناء حملته على القبائل المتمردة على الدولة الفاطمية سنة 315هـ/927م - 928م، أمر ببناء مدينة المسيلة ،وكلّف عليّ بن حمدون ببنائها وأمره أن يستوطنها "وينزلها مع عجيسة "[81] ، ومعنى هذا أن هذه القبيلة قد أسلست قيادها للفاطميين وأدت دورها كاملا في مناصرتهم[82].ولهذا يختارها أبو القاسم لكي تبقى بجانب عليّ بن حمدون تساعده في بناء مدينة المسيلة وتعميرها والدفاع عن النفوذ الفاطمي بإقليم الزاب.

بعدما تعرفنا على طبيعة مكان المسيلة جغرافيا وسكانيا ،ننتقل إلى البحث عن إشكاليات تأسيس هذه المدينة.

ثانيا_إشكاليات تأسيس المدينة :

أ_المؤسس وظروف تأسيس المدينة: إنّ أغلب المؤرخين يتفقون على أن مؤسسها الفعلي هو ولي العهد الفاطمي محمد القائم أبو القاسم[83]، إلا أن ابن

=

وأفريقية،يجاورهم في الشرق قبيلة كتامة(من بجاية إلى قسنطينة)ومن الجهة الغربية قبائل زناتة، وبالخصوص مغراوة الزناتية، وهم أهل مدر.وإليهم ينتمي زيري بن مناد.وأما مواطن مسوقة ولمتونة وكدالة وشرطة بالصحراء، وهم أهل وبر. ينظر ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،صص202،201. وينظر الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،32. Gaid Mouloud,Les Berbers dans l' histoire ,de la kahina à l' occupation Turque.Alger :Edition Mimouni,tome2,p49.

[78] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص192.

[79] المصدر نفسه،ج6،ص 192.وذكر موسى لقبال أن عجيسة مازال لها بقايا في وقتنا الحالي،ومن أبرزها قبيلة في منطقة الحضنة الشرقية، لها نفس الإسم القديم (عجيسة)،وهي تقع بالضبط في دوار الجزار_(مشتى)مركز أولاد سليح الآن بقرب مدينة بريكة الحالية،أو مدينة طبنة القديمة. ينظر موسى لقبال،دور كتامة،ص70.

[80] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص192.

[81]ادريس القرشي ، تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ص141.

[82] موسى لقبال، دور كتامة،ص70.

[83]ابن حيان ، المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص34 .البكري ، المغرب ،ص59 . ابن الأثير ، الكامل ،ج7،ص 36 . ابن حماد الصنهاجي ، أخبار بني عبيد ،ص46 .ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج4،صص107،51.إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص217 .ياقوت الحموي ،معجم البلدان،مج4، صص334،330.ابن أبي دينار،المُؤنس ،ص 57.أحمد بن أبي الضياف،إتحاف أهل

=

عذاري هو الوحيد الذي ذكر أن عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي هو الذي أمر بخطها[84] .ثم نجده بعد ذلك يعود في موضع آخر من تاريخه فيورد أن ولي العهد أبي القاسم هو المؤسس لمدينة المسيلة[85].

وقد تم تأسيس هذه المدينة في أثناء الحملة العسكرية الكبرى التي قادها ولي العهد أبو القاسم سنة 315هـ/927مـ - 928 مـ ، لإخماد ثورات القبائل البربرية وهجماتها على مناطق نفوذ الفاطميين في المغرب[86] ،وعلى رأس هذه القبائل مغراوة الزناتية بقيادة محمد بن خزر[87]المغراوي[88] الذي استطاع أن يقتل قائديين بارزيين من قادة الفاطميين[89] .

ولا أريد هنا أن أطنب في شرح أسباب هذه الحملة بقدر ما يهمني أن أفصل في أحداثها،خاصة التي لها صلة بظروف وملابسات تأسيس هذه المدينة ،وسنعتمد في هذا على كتاب " عيون الأخبار" للداعي إدريس،والذي انفرد بذكر تفاصيل كثيرة ومهمة عن هذه الحملة ،وقد أورد أن أبا القاسم بعدما جهز جيشا كبيرا وحلشدا ، وبدأ زحفه يوم الخميس من شهر صفر سنة 315هـ/927مـ - 928مـ ،ومر بالأربس[90] وانضم إليه خليل بن اسحق التميمي[91] بعساكر افريقية ،فبلغ مجموع الجيش أربعين ألف .وقبل تحركه بلغه أنّ ابن خزر هرب عندما سمع بخبر خروجه . لكنّه واصل سيره إلى باغاية ، و جاءته "هناك مزاتة

=

الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار.تونس:الدار التونسية للنشر،سنة 1976،ص157.

[84] ابن عذاري ،البيان،ج1،ص190.

[85] المصدر نفسه،ج1،ص215.

[86] القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،328.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص215.

[87] محمد بن خزر:وهو من بني خزر بن حفص بن صولات بن ونزمار وهو أمير مغراوة إحدى بطون زناتة.وكان مواليا لبني أمية بالأندلس والمدافع عن دولتهم بالمغرب،و كان يصارع نيابة عنهم خصومهم الفاطميين وبني زيري الصنهاجيين. توفي سنة 350هـ بالقيروان.ومن أبنائه الذين لهم علاقة مباشرة بأسرة بني حمدون محمد الخير بن محمد بن خزر .وابنه الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر والذي قاد زناتة مع جعفر بن عليّ وثأر لمقتل أبيه فقتل زيري. ينظر ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7، من ص33 إلى 38.ابن حيان القرطبي،المقتبس(الجزء الخامس)،تحقيق ب.شالميتا وف.كورينطي و م.صبح وغيرهما.مدريد:المعهد الإسباني العربي للثقافة،كلية الآداب بالرباط،سنة 1979،ص257.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص396،الإحالة رقم94.

[88] ابن الأثير،الكامل،ج7،ص36.

[89] وهما "أبو عروس" و"إسحاق بن خليفة". ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص45.

[90] الأربس: "مدينة بينها وبين قيروان إفريقية مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين باجة مرحلتان".الحميري،الروض المعطار،ص24.

[91] قتله أبو يزيد صبرا بالقيروان.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص290.

وقبائل هوارة وصدينة وعجيسة ،وأهل تجيس[92] وقصر الإفريقي[93] و زناتة وغيرهم" ،فأمر "وجوه رجالهم بعيالهم" أن يتنقلوا إلى المهدية للسكن بها [94].

ثم ارتحل إلى مدينة سطيف وهنا أقبلت إليه كتامة من كل مكان ، و"أنفذ كتبه إلى القبائل كافة،وأعذر إلى مزاته وكيانة وبني كملان ، فتمادوا في بغيهم" ، ورفضوا الانصياع له ، فأنفذ إليهم الجيوش ،وجعل قيادتها لجعفر بن عبيد،وكان ذلك "لأربع عشرة بقيت من جمادى الأخرى"،فالتجأت جماعة كبيرة "من كيانة وبني كملان وقبائل زناتة"[95] إلى قلعة عقار،وهي "قلعة منيعة وعرة المسالك صعبة المرام فتحصنوا في قلعة منيعة وعرة المسالك صعبة المرام ". فقصدتهم العساكر في قلعتهم فأحاطوا بهم من كل ناحية ...وقتلوهم شر قتل،ولم ينج منهم إلا عدد قليل[96].

وبعد هذا النصر عاد جعفر بن عبيد إلى أبي القاسم ليبشره بالنصر.فجاءت إليه قبائل كثيرة من كتامة طالبة الصفح فعفا عنهم. و"كتب إليه بنو كملان يطلبون الأمان فأمنهم وعفا عنهم ،وأمرهم أن يلحقوا بالعسكر إلى تاهرت".وفي هذه الأجواء أمر أبو القاسم ببناء مدينة المسيلة[97]،وكلّف علي بن حمدون ببنائها وأمره أن يتخذها دارا.ثم ذكر الداعي إدريس أن أبا القاسم رحل نحو مكان يسمى بلبل

---

[92] تجيس:" بمقربة من تيفاش بقرب وادي الدنانير عند قصر الإفريقي، وهي مدينة أولية شامخة البناء كثيرة الكلأ والربيع." الحميري،الروض المعطار،ص146.و ذكر محمد اليعلاوي أنها " اليوم قرية قعين البرج" الواقعة جنوبي عين عبيد على نحو عشرين ميلا شماليّ عين فكرون" ولاية أمّ البواقي).الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص120،121،الإحالة رقم 71.

[93] قصر الإفريقي:جعله البكري غربي تيفاش في طريق تيجس.البكري،المغرب،ص53. وذكر محمد اليعلاوي أنّه "لعله اليوم "قصر صباحي" على ثلاثين ميلا واد زناتي في اتجاه عين بيضة. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء لفاطميين،ص126،الإحالة رقم 126.

[94] الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص215،216.

[95] عند ابن عذارى:"وتقدم إلى جبل فيه بنو برزال وقوم من مَكْلاتة".ابن عذارى،البيان،ج1،ص191.

[96] الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص 216،217. ابن عذارى،البيان،ج1،ص191.

[97] وقد خلد الشاعر الراجز أحمد بن محمد المروذي اللحظة التي حل فيها أبو القاسم بأرض المسيلة بجيشه الجرار،وقد بسط نفوذه على المنطقة كلها ، وكان الوقت ضحى ، وأعطاها اسم المحمدية بدل المسيلة. البكري،المغرب،ص59.ابن عذارى، البيان،ج1،ص215.

ثـم إلــى المدينــة مرضيـــه	اســت علــى التقــوى محمديــه
أقبـل حتــى حلهــا ضــحيه	بـــالنور مـــن طلعتـــه المضـــيه
فحـل فـي عسـكره المسيله	فـــي هيئـــة كاملـــة جميلـــه
للنصـر فـي ارجائـه مخيلـه	بنعمـة مـن ذي العلـى الجليلـة

"لثلاث بقين من شهر جمادى الآخرة".وعمل على تقويم" أمر الزاب كله، وأصلح أمر هوارة... وأمر بقطع الميرة عن زناتة،ثم واصل سيره نحو تاهرت من خلال بلد صنهاجة[98] .

ولابد هنا من التوقف قليلا مع رواية الداعي إدريس ، **والتي ترسم لنا** الملابسات التي تم فيها تأسيس مدينة المسيلة .و أول ما نلاحظه هو أنّ القبائل التي استمرت في تمردها أمام حملة أبي القاسم هي قبائل بلاد الزاب،وبالتحديد المستقرة في الناحية التي شُيدت فيها المسيلة ، ومن ثم اختيار هذا المكان كان بدافع التحكم في أيّ عصيان قبلي.

وقد انفرد الداعي إدريس عن غيره من المؤرخين في روايته في أن الأمر ببناء المدينة كان في أثناء الحملة عند مسيره إلى تاهرت،أما عند كثير من المؤرخين كابن حماد و ابن الأثير وابن خلدون وياقوت الحموي كان الأمر ببنائها عند عودته من حملته وهو في طريقه إلى افريقية [99].

و ذكر الداعي إدريس أنّ أبا القاسم أمنّ بني كملان وعفا عنهم وألحقهم بجيشه دون أن يشير إلى ما أورده ابن الأثير وابن خلدون وياقوت الحموي أن أبا القاسم أمر بنقلهم من أرض المسيلة وكانت خطتها لهم،فأخرجهم منها ونقلهم إلى فحص القيروان كالمتوقع منهم أمرا،فلذلك أحب أن يكونوا قريبا منه[100] .

ويلاحظ أن الداعي إدريس في روايته لم يذكر الكيفية التي خط بها أبو القاسم مدينة المسيلة، بينما نجدها مفصلة عند غيره من المؤرخين كابن حماد و ابن الأثير والمقريزي وياقوت الحموي ،حيث ذكروا أنّ أبا القاسم أخذ رمحه،فخط به على الأرض صفة المدينة وهو راكب فرسه[101].

ونخلص من ذلك كله، أن مدينة المسيلةأو المحمدية أُسست في أثناء الحملة العسكرية الكبرى ، التي قادها ولي العهد الفاطمي أبو القاسم لإخماد ثورات البربر.

ب_ تسمية المدينة : لما أمر أبو القاسم ببناء المدينة سماها **"المحمدية"[102]** تخليدا لشخصه كما فعل أبوه في تسمية المهدية[103] **وولده في**

[98] الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص217.

[99] ابن الأثير ، الكامل ،ج7،ص 36.ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص 45.ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص51. ياقوت الحموي ، معجم البلدان،مج4،ص330 .

[100] ابن الاثير،الكامل ،ج7،ص36. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ص51.ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج4،ص330.

[101] ابن الأثير ،الكامل، ج7،ص 36. ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، صص45،46.المقريزي،إتعاظ الحنفا،ج1،ص72.ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،مج4، ص330 .

[102] ابن الأثير،الكامل،ج7،ص36.المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص72.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.ابن حماد،بني عبيد،ص46. ابن أبي دينار،المُؤنس في اخبار إفريقية وتونس =

تسمية المنصورة[104].وابن حماد الصنهاجي رأى أن هذه التسمية للمدينة دليل على أن اسم أبي القاسم محمد، وليس عبد الرحمن.وقد سُمي أحد بابي المدينة بالقاسمية نسبة إلى كنيته أبي القاسم[105].

ويبدو أنّ **اسم "المحمدية"** الذي أطلقه الفاطميون على هذه المدينة لم يشتهر كثيرا، فقد غلب عليها اسم **"المسيلة"**،وقد أشار صاحب عيون الأخبار أنّ هذا الاسم كان يطلق على قوم يسكنون بين باغاية وسطيف،وهم **"أشراف مسيلة بني عيسى"**وقد نزل عندهم أبو القاسم في أثناء حملته الكبري بالمغرب[106].**وقد اعتبر صاحب** "تاج العروس" **أنّ " مسيلة"** هي في الأصل اسم **قبيلة من البربر**[107]بينما نجد ابن حيان يشير إلى أنّ الموضع الذي بنى فيه الفاطميون مدينتهم كان يقال له" **المَسِيلة** "[108]،ويرى الهادي روجي إدريس أنّ المدينة بنيت على أساس بلدة صغيرة تسمى المسيلة[109].

ج_ تاريخ التأسيس:ورغم أن أغلب المؤرخين يُرجعون تأسيس المدينة إلى ولي العهد الفاطمي أبي القاسم ، إلا أنهم اختلفوا في تاريخ تأسيسها **، فمعظمهم جعلها في سنة** 315هـ يوم الأحد 9 **صفر**/15 أفريل 927م -928م[110] ، بينما يحدد الداعي إدريس **صاحب** "عيون الأخبار" الشهر الذي أُسست فيه المدينة

=

،ص57.

103 المهدية: "مدينة محدثة بساحل إفريقية، كان يقال لتلك الناحية: جمة، بناها عبيد الله الشيعي ، وهو سماها المهدية نسبها إلى نفسه، وكان ابتداء بنيانها في سنة ثلثمائة". الحميري،الروض **المعطار**،ص561.

104 المنصورية:ويطلق عليها صبرة،وهي مدينة بإزاء القيروان كبيرة بناها الخليفة الفاطمي المنصور إسماعيل العبيدي وسماها المنصورية سنة سبع وثلاثين وثلثمائة تفاؤلا بانتصاره على أبي يزيد الخارجي. الحميري، الروض المعطار،ص354. ابن أبي دينار،المُؤنس في أخبار إفريقية **وتونس**،ص62.

105 ابن حماد الصنهاجي، أخبار بني عبيد،ص46.

106 الداعي ادريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين ، ص216.

107 مرتضى الزبيدي،تاج العروس ،مج8،ص116.

108 ابن حيان القرطبي،المقتبس(الجزء الخامس)،تحقيق ب.شالميتا و ف.كورينطي و م.صبح وغيرهما.ص259.

109 الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص47.

110 ابن الأثير ، الكامل،ج7 ،ص36.ابن حماد ، أخبار بني عبيد ،ص45.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص73. ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج4،صص330،334. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص215. ابن أبي دينار،المُؤنس ،ص57.وينظر أيضا مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في **بلاد المغرب الإسلامي.الجزائر**:ديوان المطبوعات الجامعية،سنة 1983،ص296. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام، ج1،ص220.

بشهر جمادى الثانية،أما شهر صفر فيجعله بداية حملة أبي القاسم في بلاد **المغرب**[111]. ولم يشذ عن هذا الرأي إلا ثلاثة مؤرخين ،**اثنان اتفقا على أن سنة**313هـ/926مـ هي سنة التأسيس ،وهما البكري وابن عذارى[112]،**والثالث** أرجع تأسيسها إلى عهد إدريس الأكبر ،أي في القرن الثالث الهجري،وهو الإدريسي[113].

وهناكمن الباحثين من يذهب إلى أنّ **سنة** 313هـ/925مـ - 926مـ هي سنة التأسيس بينما **سنة** 315هـ /927مـ -928مـ هي سنة الانتهاء من بناء المدينة[114] ،وهذا الاجتهاد يتوافق مع ما أورده **ابن عذارى عن إنشاء** مدينة المسيلة،**فقال**: "...**ابتدأ** عبيد الله الشيعي ببناء مدينة **ا**لمسيلة،وسماها المحمدية ."[115] ويبدو أنّ هذا الرأي يعارضه **أمران استنادا على** بعض الروايات التاريخية**أ**ولهما أنّ ابن حيان نقل عن محمد بن يوسف الوراق نصا واضحا،أكد فيه أنّ سنة الانتهاء من بناء **ا**لمسيلة وتعميرها كانت سنة 317هـ[116]/930_931**مـوالأمر الثاني أنّ** النصوص التاريخية تثبت أنّ ولي العهد أبا القاسم قام بخط المدينة برمحه في السنة التي خرج فيها لملاحقة محمد بن **خزر** ،وهي سنة 315هـ/927_928مـ إيذانا منه ببناء المدينة .**ولو افترضنا أن سنة** 313هـ/925 – 926مـ هي سنة التأسيس فما الفائدة من الحركة التي قام بها أبو القاسم الفاطمي في خط مدينة **ا**لمسيلة وهو راكب فرسه .**وأعتقدأنّ الرأي الذي** عيّن سنة 315هـ /927مـ - 928مـ تاريخا لتأسيس مدينة المسيلة هو الأرجح لأنّه رأي جمهور المؤرخين[117]**ثم إنّ ابن عذارى** وهو ممن قال بأنّ ابتداء بناء مدينة المسيلة كان سنة 313هـ / 927مـ - 928مـ _**ذكر أنّ أبا القاسم الفاطمي خرج في** حملة عسكرية إلى بلاد المغرب في سنة 315هـ / 927مـ - 928مـ ،وبالتالي فهو وافق ضمنيا **على**ما ذهب إليه معظم المؤرخين في أنّ تأسيس مدينة المسيلة تم **فيسنة** 315هـ / 927مـ - 928مـ [118].

د _ أسباب التأسيس:

---

[111] الداعي إدريس،تاريخ **الخلفاء** الفاطميين،صص215،216.

[112] ابن عذارى ،البيان،ج1،**صص**190،215.**البكري،المغرب،ص**59.

[113] الادريسي،المغرب العربي، ص108.

[114] المهدي بوعبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي عبر التاريخ والخلاف بين زيري بن مناد وجعفر بن علي أمير **ا**لمسيلة.مجلة التاريخ، الجزائر،العدد6،شهر جويلية،سنة 1978،**ص**135.الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،**ص**47، **الإحالة رقم** 22.

[115] ابن عذاري،البيان،ج1،**ص**190.

[116] ابن حيان،المقتبس، عبد الرحمن الحجي،ص34.

[117] ينظر**مرمول محمد ص**الح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية،ص296.

[118] ابن عذارى، البيان،ج1،صص191،215. مرمول محمد صالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية،ص296.

من خلال ما سبق ذكره عن طبيعة مكان مدينة المسيلة جغرافيا وسكانيا وعن المؤسس وظروف وتاريخ التأسيس ،تتضح لنا أكثر الأسباب الكامنة وراء إنشاء هذه المدينة .فنلاحظ أنها أنشئت في خلال الحملة العسكرية الكبرى التي قادها ولي العهد الفاطمي أبو القاسم لملاحقة الثائر محمد بن خزر المغراوي الزناتي إلى ما وراء تيهرت،وقد كثف هذا الثائر الزناتي من هجماته على المناطق الداخلة في سيطرة الفاطميين في المغرب الأوسط وفي إقليم الزاب ،حتى أنه استطاع أن يسيطر على هذه المناطق ،وقد حاولت الجيوش الفاطمية مرارا رد هجمات محمد بن خزر المغراوي،ولكن استطاع هذا الأخير أن يهزم هذه الجيوش ويقتل قادتها العسكريين[119]،ولعل ممّا ساعده على تحقيق النصر عليهم مناصرة القبائل البربرية المعتنقة للمذهب الخارجي المعادية للدولة الفاطمية وانقيادها له،وقد ذكر صاحب "عيون الأخبار أنّ السبب الحقيقي وراء خروج ولي العهد **أبي القاسم في حملة عسكرية كبرى هو** "اجتماع قبائل البربر جميعا مع زناتة حول تيهرت وغيرها من الأعمال"[120] معلنة الثورة على الفاطميين.

وبالتالي ،فهذه القبائل سواء تمثلت في قبيلة محمد بن خزر المغراوي الموالية للأمويين بالأندلس، أو في القبائل الساكنة بالمغرب الأوسط والزاب ذات الميول الخارجية الإباضية صارت تشكل خطرا حقيقيا ودائما للوجود الفاطمي بالمغرب عامة،وبإقليم الزاب خاصة .ومعنى هذا لابد للخليفة الفاطمي بافريقية أن يجد حلا نهائيا وجذريا لإبعاد الخطر الأموي الزناتي الخارجي أو إضعافه على الأقل .

ولهذا الغرض جهّز عبيد الله المهدي حملة عسكرية كبيرة وجعل عليها ولي عهده أبي القاسم ،والذي لم ينس أن يضم إليه في هذه الحملة ذوي الخبرة والحنكة العسكرية ،ومن بينهم علي بن حمدون .ولعل خروج ولي عهد الخليفة الفاطمي إلى بلاد المغرب لم يكن الغرض منه ملاحقة جيوش المغراويين والانتقام منهم فقط ،وإلا كان يكفي أن يقود هذه الحملة أحد كبار

قادة الفاطميين وعدم المغامرة بأحد الخلفاء المستقبليين للدولة الفاطمية ، و عليه أعتقد أنّ هذه الحملة كانت تهدف إلى البحث عن استراتيجية أو إجراءات معينة

---

[119] ينظر ابن حماد الصنهاجي ، أخبار بني عبيد ،ص 24. ابن الاثير ، الكامل ،ج7، ص36. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص215.القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة،ص328. الهادي روجي إدريس ،الدولة الصنهاجية،ج1،ص42. محمد بن معمر ، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين.وهران:كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران،رسالة دكتوراه(مخطوط)،السنة الجامعية2001/2002،ص118.

[120] الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص215.

على الأرض لمنع نجاح أو قيام أي تمرد مستقبلي على السلطة الفاطمية وشله في الحل ،وأيضا التعرف على الأسباب الداخلية التي ساعدت العدو اللدود للفاطميين محمد بن خزر المغراوي السيطرة علي كل المنطقة الخاضعة للفاطميين بالمغرب.

وفعلا اكتشف أبو القاسم الفاطمي أن المسافة التي تقطعها الجيوش الفاطمية من افريقية إلى المناطق الثائرة كمدينة تيهرت _ والتي كانت القاعدة العسكرية الأولى للفاطميين بالمغرب الأوسط _ طويلة وشاقة بحيث لا يجد الجيش مكانا ليستريح فيه ويتزود منه ، ولقد ذكر اليعقوبي" أن من القيروان إلى بلاد الزاب عشر مراحل "[121]، وهذا البلد من المناطق الثائرة والمعادية للفاطميين ، بالإضافة إلى الصعوبات التضاريسية من جبال ومسالك وعرة وأمطار وبرد قارس ،مما قد يضعف الجيش ويعرضه للهلاك ،وقد اتضح هذا لأبي القاسم الفاطمي عند ما خرج في حملته العسكرية لملاحقة محمد بن خزر المغراوي الى ما وراء تيهرت ،وقد تعرض أثناء الطريق لمشاق وصعوبات مناخية من أمطار ووحل وبرد قارس ونقص في الأطعمة والزاد ،حتى ُظن أنه هلك.

ويصف ابن عذارى حال أبي القاسم وجيشه في هذه الحملة ،حيث لما نزل بموضع يطلق عليه سوق إبراهيم، فبقي في ذلك المكان "أكثر من شهر لكلب الشتاء ، وكثرة الوحل "[122] فتوقف عن إرسال الرسائل إلى الخليفة المهدي ممّا جعلا الجميع يعتقد أنّه مات،ولكن استطاع أن يبعث إلى الخليفة رسالة يصف فيها معاناته،ويذكر له أنّه " أقام في مناخ واحد شهرا كاملا ، وعليه المطر كل يوم بالغدو والآصال ، وأنه مشى عقابا كثيرا راجلا ، إذ لم يستطع الركوب فيها لوعرها ويقتات كل يوم ببيضة أو نحوها لكثرة الذباب في العسكر ."[123]فهذه الرواية تدل على أنّ المسافات الطويلة التي يقطعها الجيش الفاطمي للوصول إلى مناطق التمرد والنزاع تسببت في إصابته بتعب وإنهاك ونقص في الأطعمة.

ونجم عن هذه العوائق تأخر ولي العهد الفاطمي عن العودة إلى افريقية مما أقلق الخليفة الفاطمي وظن الجميع أنه هلك في الطريق،وهذا ما جعل قائد الحملة العسكرية يفكر في إيجاد حل لمشكل المسافة الطويلة والإجهاد الذي يلحق الجيوش الفاطمية أثناء مطاردتها للثائرين،وفعلا كان الحل بناء قاعدة عسكرية في صورة مدينة تكون قريبة من المناطق الثائرة ومن مدينة تيهرت ،بحيث يتمكن الجيش الفاطمي بالرجوع إلى هذه القاعدة والتزود منها بالأطعمة والراحة ويتقوى بها من مشاق الطريق ووعثائه،سواء في طريق المسير إلى العدو أو في طريق العودة،

---

[121] اليعقوبي ، البلدان ، ص190.

[122] ابن عذارى ، البيان، ج1،ص191 .

[123] المصدر نفسه ،ج1، ص191 ، 192.

فكان الموضع الواقع على حدود إقليم الزاب وعلى مقربة من تيهرت،والذي يجري فيه نهر جرار يسمى "سهر" أفضل مكان في نظر ولي العهد أبي القاسم لبناء هذه القاعدة العسكرية الشيعية، والتي هي في حقيقتها مدينة المسيلة أو المحمدية ؛ والملاحظ جغرافيا أن موضع هذه المدينة هو الذي يمر عليه أقصر الطرق وأسهلها ما بين القيروان وتيهرت[124] .

إذن،إنّ الغرض من تأسيس مدينة المسيلة أو المحمدية هو تقصير المسافة على الجيوش الفاطمية في حركتها في المغرب[125] ،و إعطاء الفرصة لها للراحة والتزود بالأطعمة ،ولتكون خطا دفاعيا متقدما،وقاعدة للانطلاق نحو المغربين الأوسط والأقصى[126] ،ورباطا للجيش[127] ،وخزانا للعتاد الحربي والمؤن الضرورية في حالة حصار أو حرب دائمة[128] وصعبة.

وقد ظهرت المسيلة كقاعدة عسكرية ،من اللحظة التي أمر فيها ولي العهد أبي القاسم عليّ بن الأندلسي ببنائها واتخاذها دارا ،حيث ترك معه جزءا من جيشه،وتمثل في "جماعة من العبيد" [129] ، كماطالب منه أن يدخر الأطعمة ، ولا ينفق منها شيئا مهما كان الأمر ، استعدادا لأي ثورة قد تنفجر في أي لحظة[130] .

و أثبتت المسيلة فيما بعد أنّها قلعة الخلافة الفاطمية بإقليم الزاب،فقد كان لها دور مهم في القضاء على ثورة أبي يزيد الخارجي،وفي إيواء الجيش الفاطمي،والتخفيف من خطر المجاعة التي كانت تعاني منها المنطقة[131]. وهذا يؤكد أنّ قائد الحملة العسكرية أبا القاسم،كان يريد من وراء تأسيس هذه المدينة وضع خطة استراتيجية مستقبلية دائمة ،تفيد الجيوش الفاطمية في سرعة حركتها وتنفيذ مهامها العسكرية بسهولة ودقة ،داخل منطقة المغرب الشاسعة،والوعرة تضاريسيا.

والملاحظ أنّ السبب الآخر لإنشاء مدينة المسيلة، هو تعزيز مدينة تيهرت التي كان يستعملها الفاطميون في بسط نفوذهم على بقية المغرب ،وكانت القاعدة الوحيدة لهم في المغرب الأوسط ، ولمّا رأوا أنها لا تكفي لوحدها في صد هجمات وثورات القبائل الزناتية المغراوية ، ومنع محمد بن خزر أن ينجح في بسط سيطرته على المغرب الأوسط والزاب كله ، تأكد لهم أنه لابد من إنشاء قاعدة أخرى لتكون

---

[124] ناصر الدين سعيدوني،المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ،ص136.

[125] مرمول محمد الصالح،السياسية الداخلية للخلافة الفاطمية ،ص295.

[126] محمد بن معمر، العلاقات السياسية والروابط الثقافية،ص110.

[127] جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط،ص365.

[128] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص85.

[129] الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص217.

[130] ابن حماد ، أخبار بني عبيد ،24. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107. ابن أبي دينار،المُؤنس ،ص57.

[131] موسى لقبال،دور كتامة،ص432.

نقطة اتصل بين إفريقية وتيهرت [132]، ولحماية حدودهم الغربية[133]،وهي مدينة المسيلة أو المحمدية،لكونها أقرب إلى تيهرت من طبنة عاصمة الزاب في عهد الأغالبة[134]،ثم نجدهم بعد ذلك يضيفون مدينة أخرى كقاعدة عسكرية تساهم في إبقاء السيطرة الفاطمية على مناطق المغرب ، وهي مدينة أشير ، والتي أسسها زيري بن مناد[135] سنة324هـ/936مـ، لتكون حاجزا أمام الزحف الزناتي في المغرب الأوسط [136] ولدعم قاعدتي المسيلة وتيهرت.

وتكشف سياسة الفاطميين في بناء المدن /القواعد العسكرية بالمغرب عن الهاجس الأمني الذي كان يسيطر عليهم ،والميل إلى سياسة التوسع وبسط النفوذ ، وكيف أن دخولهم إلى المغرب فجّر الثورات والحروب الطاحنة ، ومحاولات التمرد الدائمة ، مما اضطرهم إلى التفكير والتخطيط في بناء قواعد لهم بمناطق معينة من المغرب ، رغبة منهم في السيطرة الكلية على المغرب من أدناه إلى أقصاه ، باعتبارهم الخلافة الشرعية ،وأنّ مذهبهم هو الأحق بالإتباع . وبالتالي فبناء مدينة المسيلة جاء في سياق محاولة الفاطميين إحكام السيطرة علي أقاليم المغرب والتوسع فيها ، وإبقاء إقليم الزاب خاصة تحت نفوذهم وفي قبضتهم[137] .

وعليه ،فإنشاء مدينة المسيلة أو المحمدية أولا كان بهدف تزويد وتموين الجيوش الفاطمية بالميرة والطعام ،ولإعطائها قسطا من الراحة عند تحركها جهة تيهرت وسجلماسة وتقصير المسافة بينها وبين المناطق الثائرة ، وتعزيزا لقاعدة تيهرت الواقعة في المغرب الأوسط ،وحماية النفوذ الفاطمي في منطقة الزاب.

والسبب الآخر والمهم من إنشائها هو لمراقبة تحركات القبائل البربرية ومضاربها[138]،والتي كثر خروجها على الفاطميين وصارت تشكل تهديدا كبيرا

---

132 محمد بن معمر، العلاقات السياسيةوالروابط الثقافية،صص110،121.

133 ينظر. Paul-louis Cambuzat ,L'evolution des cités du Tell en Ifrikiya,p116.

134 مرمول محمد الصالح،الساسية الداخلية للخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،ص295.

135 زيري بن مناد:هو زيري بن مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر،من تلكاتة فرع من قبيلة صنهاجة،وكان من أعظم ملوك البربر،وأول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط،وكانت بينه وبين مغراوة الزناتيين حروب كثيرة.ولما قامت الدولة الفاطمية،نَاصر زيري الفاطميين وساندهم في ثورة أبي يزيد الخارجي،وواجه خصومهم بني خزر الزناتيين. ينظرابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص202،203،204. مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص144.ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج2،ص343.الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص39.عادل نويهض،أعلام الجزائر،ص174.

136 محمد بن معمر،العلاقات السياسية والروابط الثقافية،صص111.

137 موسى لقبال،دور كتامة،ص356.

138 يلاحظ هناك تشابه بين ما يقوم به الفاطميون في إقليم الزاب من مراقبة سكانه المتمردين وبناء التحصينات به وبين السياسة الدفاعية والتحصينية التي كان الرومان يطبقونها في هذا الإقليم.فقد قد سبق لهم واستخدموا مدن الحضنة الرئيسية أو إقليم الزاب القديم: طبنة مقرة زابي وقاسي هونا =

لدولتها بالمغرب وخاصة منهم: القبائل الخارجية النكارية المستقرة ببلاد الزاب كهوارة وبني كملان و بني برزال الزناتية[139] وبني خزر الموالين للأمويين بالأندلس[140]. فيلاحظ أن الحملة التي قام بها أبو القاسم بالمغرب ، جعلته ينتبه إلى أن إقليم الزاب الواقع غرب إفريقية والمؤدي إلى تيهرت خال من أي قاعدة عسكرية تحد من هجمات بني خزر الزناتيين،مما جعل من هذا الإقليم ثغرة كبيرة يتسلل إليها الزناتيون وينجحون في بسط نفوذهم على المنطقة[141]،ولهذا أصدر أمرا إلى عليّ بن حمدون ببناء مدينة المسيلة لمنع تقدم الزناتيين[142] وتكون سدا مانعا أمام زحفهم نحو مناطق النفوذ الفاطمي[143].

أما فيما يخص القبائل الخارجية الزناتية الثائرة المستقرة في بلاد الزاب البعيدة عن السلطة الفاطمية بالمهدية،فإنّها كانت في عهد الأغالبة محافظة على استقلالها ولكن وجدت نفسها في مواجهة مع الدولة الفاطمية التي كانت تحرص على إخضاعها والسيطرة عليها،وبالتالي كان ردها على ذلك بإعلان الثورة والتمرد على هذه الدولة[144]. ولهذا واجه أبو القاسم في أثناء حملته العسكرية مقاومة شديدة من تلك القبائل،حيث إنّه لما نزل بسطيف ، وصلته أخبار رفضها الخضوع له ، واستمرارها في التمرد والعصيان. لهذا،وبعد أن حاصرها واضطرها إلى الاستسلام ، أمر ببناء مدينة المسيلة قبل أن ينتقل إلى تيهرت ، بل وبقي أياما وهو يعمل على إصلاح شأن بلاد الزاب و أمر هوارة ، وتأديب زناتة بقطع الميرة عنهم[145].

دفاعية ، ومراكز مهمة لمراقبة سكان أودية الأنهار وسفوح الجبال،الذين كانوا دائمي التمرد عليهم."فكانت مدينة طبنة تراقب من يأتي من منخفضات جبال أوراس، ومدينة نقاوس كانت بدورها تراقب ممرين يؤديان إلى منطقة الزبيان ومقرة كانت تتحكم بسبب موقعها، في ممر وادي سوبلا القريب منها؛ومدينة زابي كانت تتحكم في ممر وادي القصب(وادي المسيلة الآن). ..وحظيت طبنة ،وزابي باهتمام البيزنطيين فجددت استحكامات الأولى وسُورت،كما جددت الثانية أيضا بعد شبه خراب،وسميت " مدينةجستنيان"(زابي جستنيانة)". موسى لقبال،طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، صص87،88.

139 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص216.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص51.موسى لقبال،دور كتامة،ص356.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص523. مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ،ص295.

140 عبد العزيز الفيلالي،العلاقات السياسية،ص132. محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص49.

141 محمد بن معمر ، العلاقات السياسيةوالروابط الثقافية،ص 121.

142 الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج1،ص47.

143 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ص220.

144 جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط،ص365.

145 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص217.

ويبدو أنّ أبا القاسم توقع ازدياد خطر هذه القبائل في المستقبل ،فعمد إلى تأسيس مدينة المسيلة كقاعدة عسكرية ثابتة في مضاربها للتحكم فيها و مراقبتها عن قرب وضبطها وشل حركتها والتقليل من خطرها[146].وزيادة على هذا الإجراء طبّق سياسة التهجير على بعض هذه القبائل، و التي تدعم بقوة سياسة التمرد على الفاطميين و الثورة عليهم .حيث إنه وجد أنّ بني كملان قد يشكلون خطرا على الدولة الفاطمية ،بسبب نزعتهم الخارجية النكارية، فقام بنقلهم إلى مكان قريب من القيروان كإجراء وقائي من أي تمرد مستقبلي .وقد أثبتت الأيام فعلا أن القبائل التي ساندت ثورة أبا يزيد الخارجي بقوة للقضاء على الدولة الفاطمية هي التي بُنيت في مضاربها مدينة المسيلة[147] ممّا يُوضح أن السبب القوي وراء إقدام أبي القاسم على تأسيس مدينة المسيلة بنفسه ،هو ما لمسه من تمرد هذه القبائل وعداوتها الشديدة للفاطميين.

وممّا سبق نخلص إلى أنّ الأسباب التي أدت إلى إنشاء مدينة المسيلة (المحمدية) تتمثل في إيجاد قاعدة لتموين الجيش الفاطمي بالأطعمة وإراحته أثناء خروجه من افريقية لمواجهة الثائرين في المناطق البعيدة والمدن النائية. وفي إنشاء مدينة تكون قريبة من تيهرت بحيث يسرع هذا الإجراء عملية وصول الجيوش الفاطمية إليها عند استيلاء الزناتيين أو غيرهم عليها. وأيضا يُسهم في المحافظة على النفوذ الفاطمي في إقليم الزاب. وإيجاد سدا مانعا أمام التوسع الزناتي الأموي في المغرب ومراقبة القبائل الزناتية والخارجية المتمردة وشل حركتها.وهذه الأسباب كلها تشترك في كونها ذات طابع عسكري أمني.بمعنى أن المهمة الموكولة لمدينة المسيلة هي عسكرية بالدرجة الأولى[148] ولأنّ بناءها يعتبر جزءا من خطة استراتيجية أمنية انتهجتها الدولة الفاطمية لتشديد قبضتها على مناطق المغرب والاستمرار في سياسية التوسع نحو الغرب.

ثالثا _ تكليف علي بن حمدون ببناء وتعمير المدينة:

اختار ولي العهد أبو القاسم في حملته العسكرية الكبرى ، خادمه على بن حمدون ببناء مدينة المسيلة[149] وتحصينها وتحسينها[150]،و أن يتخذها دارا وينزلها

---

146 مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ،ص297.

147 جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط،ص365.

148 جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط،ص366. مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ،ص297.

149 ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص34.ابن حوقل،صورة الأرض،ص58.البكري،المغرب،ص59.ابن خلدون،ج4،صص 51، 107.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص36.ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص46.ابن عذارى،البيان،ج1،صص190، 215.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،1946،ص66.الإدريسي،المغرب العربي،ص108.

مع عجيسة وجماعة من العبيد [151]. ولعل السبب وراء هذا الاختيار قد يعود _كما ذكر محمد بن يوسف الوراق_ إلى ما أظهره عليّ من الطاعة والإخلاص والخدمة لأبي القاسم في أثناء خدمته ،و تأكده من أنّه الرجل المناسب بعد أن اختبر أدبه[152] ،ووثق في ولائه[153] ؛بالإضافة إلى أنّه يعتبر من الأوائل الذين دخلوا في خدمة الفاطميين ، وهو ينتمي إلى أسرة عربية كبيرة ،لا يمكن أن تميل للقبائل البربرية المتواجدة في مدينة المسيلة ونواحيها.ثم إن عليّا أعرف الناس بمنطقة المغرب ،وسكانها خاصة بلاد الزاب،حيث عاش في إحدى نواحيه وتزوج من إحدى نساء قبائله.

وذكر ابن حيان نقلا عن الوراق أنّ عليّ بن حمدون بعدما استقر بمسيلة وأقام بها،وأتم بناءها وحصنها بالسور وذلك في سنة 317هـ/930م ، أرسل عبيد المهدي إليه زوجته الكتامية وولده جعفر[154] ،وبناء على ذلك يمكن تحديد مدة بناء مدينة المسيلة بسنتين ، أي من سنة التأسيس 315هـ / 927م - 928م إلى سنة تمام بنيان المدينة 317هـ/ 930م.

وبعد تجلية المشروع الحمدوني الأول والمتمثل في بناء وعمارة مدينة المسيلة ،و تتبع تاريخها وملابسات تأسيسها، وأسباب ذلك،نتبيّن أنّ دور عليّ بن حمدون لم يقف عند حدود المساهمة في بنائها وتحويلها إلى قاعدة عسكرية شيعية ،بل تطور الأمر إلى أن نُصّب أميرا عليها وعلى إقليم الزاب كله ،و من ثم ترقت المسيلة في عهده وعهد ابنيه جعفر ويحي من مجرد مدينة عسكرية إلى عاصمة سياسية واقتصادية وثقافية لإقليم الزاب الواسع . ولهذا من الضروري أن نتتبع تأسيس إمارة بني حمدون ، وأحوالها في عهد عليّ بن حمدون وابنيه جغرافيا وسياسيا وعسكريا.

=
[150] ابن حيان،المقتبس ،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص34. ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص 46 .

[151] الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص217.

[152] ابن حيان ، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص 34 .

[153] ابن حيان القرطبي،المقتبس(الجزء الخامس)،تحيقي ب.شالميتا وف.كورينطي و م.صبح وغيرهما،ص259.

[154] ابن حيان ، المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي ، ص 34.

الفصل الثالث

إمـارة بني حمـدون ودورهـا السياسي والعسكري

- الحدود الجغرافية لإمارة بني حمدون
- طبيعة نظام الإمارة
- الإمارة على عهد علي بن حمدون
- الإمارة على عهد جعفر بن علي بن حمدون

وبعد الوقوف على بناء مدينة المسيلة وعمارتها بوصفها المشروع الأول لأسرة بني حمدون في ظل خدمتها للدولة الفاطمية،نتتبع الآن الدور السياسي والعسكري لبني حمدون من خلال الإمارة التي تولوها نيابة عن الفاطميين.

1_الحدود الجغرافية لإمارة بني حمدون:

إنّ الإقليم الذي حكمته إمارة بني حمدون هو المعروف بالزاب [1] عند المؤرخين والجغرافيين المسلمين،ولعل أقدم جغرافي مسلم قدم لنا معلومات مهمة حول هذا الإقليم هو ابن واضح اليعقوبي ، وذلك في القرن الثالث الهجري .وهو يتعامل مع هذا الإقليم على أنه ولاية إدراية تابعة للأغالبة من الجهة الغربية ، ويحدد المسافة بينه وبين القيروان بعشر مراحل ، وذكر أن له عاصمة إدارية ينزلها ولاة الدولة الأغلبية ، وهي مدينة طبنة ، ويصفها بالكبرى ، وتقع في وسط هذا الإقليم . ويؤكد أن الزاب بلد واسع يضم مدن كبيرة عامرة بالسكان، فأول مدنه من الناحية الشرقية مدينة باغاية [2] ، وآخر مدنه غربا مدينة أدنة،و عندها تنتهي سلطة الأغالبة،وتبدأ سلطة الخوارج الإباضية حكام تيهرت ، ويعدد اليعقوبي عشر مدن[3] تقع ضمن إقليم الزاب ، ويصفها بالعمران والازدهار الاقتصادي خاصة من الناحية الزراعية والرعوية ، حيث تكثر بها المحاصيل الزراعية كالحبوب والشعير والحنطة و القطن ، وتتوفر على الأنهار الكثيرة المياه ،و المراعي والماشية الوفيرة [4].

وذكر أن سكان هذه المدن خليط من القبائل البربرية ذات الميل الخارجي أو الأصل الزناتي[5] ، وهناك أسر عربية تحكم بعض هذه المدن ، ومنها من يوالي الأغالبة [6] وبعضها[7] مستقل عنها [8] .وعلى ضوء هذا التوصيف لإقليم الزاب في

---

1 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 4،ص107.ابن عذارى،البيان،ج 1،ص215.لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،ص66.

2 باغاية: "مدينة بإفريقية أولية جليلة بقرب مسكيانة، وهي على مقربة من جبل أوراس ". الحميري، الروض المعطار،ص 76.وينظر أيضا البكري،المغرب،ص50.وهي على بعد حوالي 50 كلم إلى الجنوب الغربي من عين البيضاء. ينظر عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج1،ص217.

3 هذه المدن هي:باغاية،تيجس،ميلة،سطيف،بلزمه،نقاوس،طبنة،مقرة،أحه،أربة.اليعقوبي،البلدان،صص190،191.

4 المصدر نفسه، صص190،191.

5 والقبائل البربرية التي ذكرها اليعقوبي ضمن إقليم الزاب هي:هوارة،نفزة،مكنانة بطن من زناتة،أورية،بنو زنداج،كزبرة،سارسة،بني برزال. ينظر اليعقوبي،المصدر السابق، صص190،191.

6 من الأسر العربية الموالية للأغالبة بإقليم الزاب:موسى بن العباس بن عبد الصمد، وهو رجل من بني سليم،و يحكم حصنا تابعا لمدينة ميلة.وبسطيف قوم من بني أسد بن خزيمة. ينظر اليعقوبي، المصدر السابق،ص190.

7 والأسر العربية المتمردة على بني الأغلب:قوم من بني تميم وموالي لبني تميم بمدينة بلزمه.وقوم من بني تميم من بني سعد يقال لهم بنو الصمصامة ببعض الحصون القريبة من مدينة مقرة.وقد ظفر ابن الأغلب ببعضهم فحبسهم.اليعقوبي،البلدان،صص190،191.

8 المصدر نفسه،صص 190،191.

عهد الأغالبة ، والذي رسمه لنا اليعقوبي ، يتضح أنه ذو مدلول واسع [1]،يشمل ولاية افريقية ،والأراضي التي تلي القيروان غربا،وتبدأ من الطرف الجنوبي الغربي لأوراس إلى ماوراء مدينة أزبة[2].و هو منطقة جغرافية شاسعة تشتمل على على مدن وأقاليم عديدة،وعاصمتها طبنة[3] .

وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في تحديد المنطقة التي يشتمل عليها إقليم الزاب،وتعددت تقسيماتهم له[4]. فنجد ياقوت الحموي يصف إقليم الزاب بالكبير ، وذكر من مدنه بسكَرة[5] وتوزر[6] وقُسنطينية[7] وطَولَقة [8] وقفصة [9] ونفزاوة [10] ونفَطة [1] وبادس [2].و هو" كورة عظيمة عظيمة ونهر جرّار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى

---

1 ويحدد حسين مؤنس خريطة الزاب الواسع فيرى أنّه يشتمل "على إقليم القبائل الحالي وإقليم وَرْسَنِيس إلى جنوبه ثم منطقة جبال الأوراس، ويضم نهر قسطينية المسمى بالوادي الكبير أونهر رمل.وأيضا على المجاري العليا التي يتكون نهر مَجَردة.وفيه كذلك نهيرات أخرى كثيرة منبعها من جبال الأوراس ومصبها في البحيرات الضحلة العديدة في جنوب هذا الإقليم وهي التي يطلق عليها الشطوط،و أبرزها شط الحضنة الواقع في جنوب غرب الإقليم وشط ملغير في جنوب شرقه،ومن هذه النهيرات واحد يسمى الزاب ويصب في شط الحضنة ".حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته،مج1،ج1،ص199.

2 موسى لقبال،دور كتامة،ص161.

3 حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته،مج1،ج1،ص206.

4 ويميز جورج ايفر بين الزاب الشرقي والغربي والشمالي.موسى لقبال،دور كتامة،ص 161،الإحالة رقم 353.ويقسم الهادي روجي إدريس الزاب إلى ثلاث مناطق: منطقة الزاب الشرقية،وأهم مدنها بادس، ومنطقة الزاب الوسطى أو إقليم بسكرة، وأهم مدنها بسكرة (فسكيرا في العصور القديمة)، ومنطقة الزاب الغربية وتعتبر طولقة أهم بلدة فيها. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج2،صص 87،88.

5 بسكرة : ذكر الحميري بأنّها" من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد"،ووصفها البكري بأنّها كورة فيها "مدن كثيرة،وقاعدتها بسكرة،وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وعليها سور وخنادق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال، وتعرف هذه البلدة ببسكرة النخل، وبسكرة دار فقه وعلم كثير وفيها العلماء وأهلها على مذهب أهل المدينة. وحولها من قبائل البربر سدراتة ومغراوة".البكري،المغرب ،ص 52.الحميري، الروض المعطار، صص113،114.

6 توزر:يصفها البكري بأنّها "من أكبر مدن بلاد قسطيلية،وأنّها مدينة حصينة وهي أكثر بلاد إفريقية تمرا".البكري،المغرب،ص48.وذكر الحميري بأنّها "قاعدة كورة قسطيلية من البلاد الجريدية".الحميري،الروض المعطار،ص144.

7 قُسنطينية: "من مشاهير بلاد إفريقية، بين تيجس وميلة، وهي مدينة أولية كبيرة آهلة فيها آثار للأول، كثيرة الخصب رخيصة السعر، على نظر واسع وقربعامرة".الحميري،الروض المعطار،ص480.ينظر البكري،المغرب،ص63.الإدريسي، المغرب العربي،ص121 .

8 طَولَقة: من بلاد الجريد بجوفيّ بنطيوس. البكري،المغرب،ص72.الحميري،الروض المعطار،ص400.

9 ققصة:" مدينة من البلاد الجريدية، بينها وبين تقيوس مرحلة وهي كبيرة قديمة أزلية". الحميري،الروض المعطار،ص477.ينظر البكري، المغرب،ص48.الإدريسي،المغرب العربي،ص38. وتقع في الشمال الشرقي لمدينة توزر في جنوب القطر التونسي.وكانت تسمى عند الرومان قبصة.لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي،ص40، الإحالة رقم4.

10 نفزاوة: بينها وبين القيروان ستة أيام،وبينها وبين قابس ثلاث مراحل، ومن نفزاوة تسير إلى بلاد قسطيلية.الحميري الروض المعطار،ص578.ينظر البكري، المغرب،ص47.الإدريسي،المغرب العربي،ص145.

متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها ."[3] وأما ابن عذارى فيذكر أنّ الزاب يشمل منطقة شاسعة تلي إقليم طرابلس و تنتهي حدودها إلى إقليم تيهرت غربا،وهي تتكون من قسمين،القسم الأول يطلق عليه الزاب الأعلى [4] ويضم بلاد الجريد أو قسطيلية، ويليه القسم الثاني ويعرف بالزاب الأسفل [5] وحدّه ينتهي إلى إقليم تيهرت[6].

ويقدم عبد الواحد المراكشي تقسيما آخر للزاب،فهو يعتبر أن هذا المصطلح يقع فقط على بسكرة وأعمالها،وأنّه قسمٌ من بلاد الجريد،وهو بذلك يُخرج منطقة قسطيلية عن مسمّى الزاب [7]. ويتفق صاحب الاستبصار مع هذا التقسيم،فهو يحدد ويصف بلاد الزاب بأنها"على طرف الصحراء في سمت البلاد الجريد،وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخلها وهي مدن كثيرة ،وأنظار واسعة وعمائر متصلة،فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة." [8] ويحصر مدن الزاب في مدينة المَسْيلة ونِقَ َاوُس[9] وطُبنَة وبَسْكِرَة وتَهُودة[10] وبادِس[11].

---

[1]نفَطة:يصفها الإدريسي بأنّها:" مدينة متحضرة عامرة بأهلها،لها اسواق وتجارات وغلات ومياه جارية،وبينها وبين مدينة قفصة مرحلتان صغيرتان." الإدريسي، المغرب العربي،ص 140.وذكر الحميري أنّها تقع "في قسطيلية من بلاد الجريد في إقليم إفريقية." الحميري، الروض المعطار،ص578.وذكر البكري بأنّها :"مبنية بالضخر عامرة بها جامع ومساجد وحمامات كثيرة وهي كثيرة المياه السايحة...وجميع أهلها شيعة، وتسمى الكوفة الصغرى."البكري،المغرب،صص74،75.

[2] بادس:يرسمها البكري والإدريسي "باديس". البكري،المغرب،ص74. الإدريسي،المغرب العربي،ص121.وذكر الحميري أنّها" مدينة بينها وبين تهودة بالمغرب مرحلة." الحميري،الروض المعطار،ص75. و ذكرالبكري أنها " حصنان لهما جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة". البكري،المصدر السابق،ص74. ووصف الإدريسي بادس بأنّها حصن يقع "في أسفل جبل أوراس ثلاث مراحل.وهو حصن عامر بأهله،والعرب تملك أرضه.ومنه إلى مدينة المسيلة أربعة أميال." الإدريسي،المصدر السابق،ص121.

3 ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج2،صص 903،904.

4 يطلق عليه ابن الأبار بلاد الزاب الأكبر، ويعتبر مدينة مسيلة من مدنه.ينظر ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص305.

5 يطلق عليه لسان الدين بن الخطيب الزّاب الأسفل.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانيا الإسلامية،ص237.

6 ابن عذارى،البيان،ج1،ص5.

7 عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد سعيد العريان.القاهرة:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة إحياء التراث،سنة1383هـ/1963مـ،ص440.

8 مؤلف مجهول،الإستبصار،ص171.

[9]نِقَ َاوُس: من بلاد الزاب، وهي مدينة صغيرة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع كثيرة شجر الجوز، منها يحمل إلى قلعة حماد وبجاية وإلى أكثر تلك البلاد، ويتجهز بفواكهها إلى ما جاورها من الأقطار، ولها سوق ومعايش كثيرة، ومنها إلى المسيلة أربع مراحل، وقيل ثلاث، ومنها إلى بسكرة مرحلتان،ومنها على طبنة مرحلتان. الإدريسي،المغرب العربي،ص120،الحميري،الروض المعطار،ص579.

[10] تهودة:دكر الحميري أنّها" من بلاد الزاب بالقرب من بسكرة، وهي مدينة أولية بنيانها بالحجر الجليل وعليها سور عظيم،ولها ربض ويدور بجميعهاخندق، ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس،وهي كثيرة البساتين والنخيل والزرع وجميع الثمار". الحميري،الروض المعطار.ص142.

11 مؤلف مجهول،الإستبصار، من ص 171 إلى ص175.

وأما عن حال هذا الإقليم في العصر الفاطمي ، وبالذات في زمن إمارة بني حمدون خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، يلاحظ أن مدينته العظمى صارت مدينة المسيلة أو المحمدية بدلا عن طبنة. [1] و من الجغرافيين المعاصرين لهذه الفترة نذكر المقدسي الذي أعطى وصفا جغرافيا خالصا لإقليم الزاب. فهو بعدما قسم المغرب إلى سبع كور،ذكر أن الزاب ناحية من كورة فاس ،ومدينتها المسيلة والمدن التابعةلهاهي:مقرة[2]،طبنة،بسكرة،بادس،تهوذا،طولقا،جم ميلا،بنطيوس[3] ادنة،اشير[4].

ونلاحظ أنّ العرض الذي قدمه المقدسي لسرد أسماء المدن الرئيسية وبعض مقاطعات إفريقية لا يتطابق تماما مع التقسيم الإداري للبلاد [5]. فهو مثلا يجعل مدينة أشير من مدن الزاب ،قد يكون هذا صحيحا من الناحية الجغرافية ولكن من الناحية السياسية والإدارية فهي مدينة خارجة عن هذا الاقليم ، وتمثل في عهد الفاطميين مدينة بني زيري وعاصمة ولايتهم [6].وأيضا،يلاحظ عليه الاضطراب في سرد مدن الزاب، فهو مرة يذكر مدنه ضمن كورة إفريقية، ومرة أخرى ضمن كورة فاس[7].

ومن خلال ما أورده المقدسي عن إقليم الزاب،وحسب تقسيم ابن عذارى لهذا الإقليم ،يلاحظ أن أغلب المدن التي ذكرها تندرج فيما يطلق عليه بالزاب الأسفل أو الأصغر والذي يلي بلاد الجريد،وهو بذلك يتفق مع عبد الواحد المراكشي وصاحب الاستبصار في التحديد الجغرافي لإقليم الزاب. ويظهر أيضا أن مساحة هذا الإقليم تقلصت،وأن مدنا لم تعد منه كمدينة باغاية وتجيس وميلة بالمقارنة إلى الوصف الذي قدمه اليعقوبي قبله في القرن الثالث الهجري .

وإذا ذهبنا إلى الرحالة الجغرافي ابن حوقل ، فإنه أقرب الجغرافيين إلى منطقة المغرب في القرن الرابع الهجري ، وكان شاهد عيان على هذه المنطقة في ذلك العصر،وقد اهتم برسم حدود إقليم المغرب بدقة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ،أكثر من أي جغرافي أو كاتب عاصره،ودَوّن وصفا شاملا لمدن

1 موسى لقبال،دور كتامة،ص161.

[2] مقرة: يصفها البكري بأنّها" بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع." البكري، المغرب،ص51. ويذكر الإدريسي أنّ " بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة، وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب، وأهلها يزرعون الكتان، وهو عندهم كثير، وبين مقرة وطبنة مرحلة". الإدريسي، المغرب العربي،ص119.

[3] بطينوس:ذكر البكري أنها من مدن كورة بسكرة،وفي موضع آخر ذكر أنّها ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض.أحدها يسكنها قوم من الفرس والثانية يسكنها المولدون والثالثة يسكنها البربر.ينظر البكري،المغرب،صص50،71.

4_ Al-Mauqaddasi,Description Musulman ,pp4.8

5 الدشراوي،الخلافة الفاطمية،ص466.

6 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص59.

7_ Al-Mauqaddasi,Description Musulman ,pp4.8

المغرب،صغيرها وكبيرها،قراها ومحطاتها ولم يترك شيئا منها إلا وصفه [1] واهتم بذكر المسالك والدروب والمسافات [2]،إلاّ أنّه لم يذكر التقسيمات الإدارية لبلاد المغرب بصورة دقيقة [3]، ولهذا فكتابه لا يعطي معلومات واضحة حول إقليم الزاب ، ولكن فائدته تتجلى في وصفه لبعض مدن هذا الإقليم من الناحية الجغرافية والاقتصادية ، وأيضا سجل بعض الاصطلاحات الإدارية مثل الكورة والناحية والقرية،وقسمها إلى صغيرة وكبيرة[4].

وذكرأن تيهرت صارت كورة تابعة لإفريقية بعدما كانت مستقلة عنـها،وأن الأقاليم الخاضعة للفاطميين تنقسم إلى كور ونواحي وأصقاع [5] . وأمـا الجغرافي البكري والذي ينقـل معظم مادة كتابه من محمد بن يوسف الوارق المعاصر لإمارة بني حمدون ،فيبدو أنه كابن حوقل مسالكي [6]،لا يزودنا بمعلومات كافية عن حدود إقليم الزاب جغرافيا وسياسيا،وهو يورد إشارات عن هذا الإقليم ولكنها غير واضحة، ومن ذلك أن مدينة ميلة من "غرر مدن الزاب" [7] دون أن يحدد أسماء هذه المدن بوضوح.كما ذكر أن بسكرة كورةٌ فيها مدنا كثيرة وقاعدتها بسكرة،ووصفها بأنها مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار،ومن مدنها جَمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلى ومدينة بنطيوس [8]،ولكن دون أن يصرح باندراجها ضمن إقليم الزاب. ورغم أن كتابه لا يهتم بالتقسيمات الإدارية والسياسية لأقاليم المغرب إلاّ أنه يحتوي على معلومات غزيرة حول المدن المغربية ،خاصة من الناحية الاقتصادية والجغرافية.

وهنالك تلميحات عن إقليم الزاب ،ذكرتها شخصيتان مهمتان في الدولة الفاطمية ، أولهما الأستاذ جوذر ، والذي وصف إقليم الزاب بمصطلحين،أولهما له قيمة إدراية ثابتة،وهو عبارة " **العمل**" [9]،و الثاني له مدلول جغرافي،وهو مصطلح " **البلد**" [10]،ويطلق على منطقة ممتدة الأطراف [11]. وأما الشخصية الثانية فهو القاضي النعمان ، والذي يستعمل في تعيين إقليم الزاب مصطلح "**الناحية**"،فهو يصف مرة هذا الإقليم بالناحية [12]،ومرة أخرى يقسمه إلى نواحي عدة،وأشار بأن

1صباح إبراهيم الشيخلي،النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10مـ ، ص26.
[2] حسين مؤنس، تاريخ المغرب،ج1،ص203.
3 صباح إبراهيم الشيخلي، النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10مـ ،ص27.
4المرجع نفسه،ص27.
5 ابن حوقل،صورة الأرض،صص93،94.
6 حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته،مج1ج1،ص203.
[7] البكري، المغرب،ص64.
[8] المصدر نفسه،ص52.
9 أبو منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص129.
10 المصدر نفسه،صص129،130.
11 فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية،ص465.
12 القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص333.

الخليفة المعز قد استعمل على ناحية من هذه النواحي رجلا مسؤولا عن إد ارتها [1].وهذا يفيد أن مصطلح " **الناحية**" يعني قسما من مقاطعة كبيرة يديره أيضا عامل[2].

وممّا سبق،يلاحظ أن هناك صعوبة في تبيين الحدود الجغرافية والإدارية لإقليم الزاب ولإمارة بني حمدون في عهد الفاطميين . ويبدو أن هذه الصعوبة قد ترجع _ بالإضافة إلى الغموض الذي نجده في النصوص التاريخية _ إلى الأوضاع السياسية التي عاشتها دولة الفاطميين منذ قيامها ،إذ أنها واجهت الثوارت تلوى الثوارت ، و كانت الأوضاع لا تهدأ حتى تضطرب مرة أخرى بدءا بعبيد الله المهدي إلى ولده القائم الذي واجه ثورة أبي يزيد العارمة ، وقد مات وهو يحاول إخمادها ، ثم جاء ولده المنصور ، والذي واصل مواجهته لهذه الثورة ، واستطاع وبعد مشقة أن يقضي عليها ، ولم يلبث أن مات . وتلك الثورات و الاضطرابات منعت الفاطميين من تنظيم أقاليمهم بالمغرب إداريا ، وحتى ولاياتهم بالمغرب كانت معرضة للتغيير الدائم في حدودها [3].ولعل "تركيز مؤسسات الخلافة الفاطمية،الذي كان من المفروض أن يرجع تاريخه إلى عهد مؤسس الدولة،لم يتم في الواقع بصورة منتظمة إلاّ بعد ذلك بنصف قرن،أي في عهد المعز" [4]، بسبب الاستقرار السياسي الذي عرفه المغرب في عهده [5] ، وهذا قد ساعد على تنظيم أقاليمه الخاضعة للفاطميين إداريا بطريقة واضحة وثابتة ودائمة.

ولعل الإشارة التي يقدمها لنا ابن خلدون حول التقسيمات الإدارية لأقاليم إفريقية والمغرب في عهد المعز تعتبر مفيدة في التعرف على حدود إمارة بني حمدون بالتقريب ،فذكر أن الخليفة الفاطمي المعز استقام أمره "في بلاد أفريقية والمغرب، واتسعت إيالته وكانت أعماله من ايفكان خلف تاهرت بثلاثة مراحل إلى زناتة التي دون مصر، وعلى تاهرت وايفكان يعلى بن محمد اليفرني، وعلى أشير وأعمالها زيرى بن مناد الصنهاجي، وعلى المسيلة وأعمالها جعفر بن علي الأندلسي، وعلى باغاية وأعمالها قيصر الصقليّ[6].وكان على فاس أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي، وعلى سجلماسة محمد بن واسول المكناسي. "[7] فمن خلال هذا النص نلحظ أن بلاد المغرب في ظل الدولة الفاطمية كانت مقسمة إلى قسمين

1القاضي النعمان بن محمد،كتاب المجالس والمسايرات،ص496.

2 فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية،ص466.

3 مرمول محمد الصالح،السياسية الداخلية للخلافة الفاطمية،ص201.

4 فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية،ص414.

5 ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص59. ابن أبي دينار،المؤنس في أخبار افريقية،ص63.

6 عند ابن أبي دينار :نصير الصقلي.ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية،ص63.

7 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص59. وذكر ابن أبي دينار رواية ابن خلدون نفسها ولكن مع بعض الزيادات وهي" أن المعز عقد إلى مولاه قيصر بولاية المغرب كله،وعلى قابس ابن عطاء الله الكتامي وعلى مدينة سرت باسيل الصقلي وعلى اجدابية ابن كافي الكتامي وعلى برقة وأعمالها أفلح الناسب" .ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية،ص63.

رئيسيين:أولهما يشمل إفريقية،والقسم الثاني يشمل سائر بلاد المغرب التابعة للفاطميين،وبلاد المغرب بقسميها تتكوّن من عدة ولايات ، ولكل ولاية مدينة هي بمثابة العاصمة لها ومقرا للوالي المعيّن من الفاطميين ،و منها يُشرف على سائر جهات ولايته[1].

و المهم في هذه الخريطة الإدارية في عهد الفاطميين ، هو ولاية مسيلة وأعمالها ، أو بعبارة أخرى إمارة بني حمدون بإقليم الزاب ،والتي كان يتولاها جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي . فنلاحظ أن هذه الإمارة تحيط بها من الشرق ولاية باغاية والتي كان يتولاها قيصر الصقلي ،ومن الشمال الغربي ولاية أشير وأعمالها وكان واليها زيري بن مناد ، ومن الغرب ولاية تاهرت وايفكان وكان وليها يعلى بن محمد بن محمد اليفرني ، ثم صارت بعد ذلك مندرجة في ولاية زيري بن مناد [2].

و لكن هناك بعض الإشكالات تتعلق بحدود إمارة بني حمدون، **أولها** ما أورده القاضي النعمان في "المجالس والمسايرات" من أنّ المعز عزل عاملا كان قد استعمله على ناحية من نواحي الزاب ثم عيّن عاملا آخر مكانه بسبب شكوى من الرعية.فهذا الحدث يؤكد من جهة أنّ للخليفة المعز لدين الله سلطة تعيين عمال الأقاليم ،ولكن في الوقت نفسه يثير سؤالا عن السلطة الإدارية لجعفر بن عليّ على إقليم الزاب. وعلى هذا هل هناك بعض النواحي من الزاب ليست مندرجة في حدود إمارة بني حمدون؟

يبدو أنّ تدخل الخليفة المعز في هذه الناحية من نواحي الزاب وممارسة سلطته على عاملها لا يدل على أنّها ليست تابعة لولاية عامله بالمسيلة، وإنما تعزز سياسة المعز القائمة على التدخل المباشر في الشؤون الداخلية للولايات ،فكان كثيرا ما يعين بنفسه عمال المدن في هذه الولايات ،ويشرف على أعمالهم ويتصل بهم ويراقب تصرفاتهم [3].

والإشكال **الثاني** أنّ جميع الروايات التاريخية تتفق على أن الدولة الفاطمية عقدت لبني حمدون إقليم الزاب [4]،ولكن دون أنّ توضح حدود هذا الإقليم ،وهل يشتمل فقط على الزاب الأسفل أو ما يعرف بأرض الحضنة أم أنّه يضم أيضا الزاب الأعلى أو ما يطلق عليه "بلاد قسطيلية "،والتي تعتبر كورة من كور الدولة الفاطمية،وقسما إداريا قائما بذاته،وقاعدتها توزر،والتي كانت مقرا لولاة الخليفة. [5]

---

[1] حسن إبراهيم حسن،طه أحمد شرف، المعز لدين الله،ص154.

2 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص60. حسن إبراهيم حسن،طه أحمد شرف، المرجع نفسه،ص155.

[3] حسن إبراهيم حسن،طه أحمد شرف، المرجع السابق،ص155.

[4] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 4،ص107.ابن عذارى،البيان،ج 1،ص215.لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،ص 66.النويري،تاريخ المغرب في العصر الوسيط،ص308.

[1] ؟فإذا أخذنا بتقسيم ابن عذارى لإقليم الزاب فإنّ إمارة بني حمدون تشمل كورة قسطيلية وأرض الحضنة معا أو الزاب بأعلاه وأسفله،وابن عذارى نفسه يُصرح في تاريخه أن بني حمدون كانوا يديرون "الزاب كله"[2].

و إذا اعتمدنا على ما ذكره المقدسي و عبد الواحد المراكشي وصاحب "الاستبصار" من أنّ إقليم الزاب ينحصر فيما يسمى بالزاب الأسفل أو أرض الحضنة،فإنّ هذا يدل على أن إمارة بني حمدون لا تتعدى حدود هذا القسم من الزاب،وعلى ضوء هذا التقسيم يتأكد أن هذه الإمارة تشمل الزاب الأسفل أو ما يعرف بأرض الحضنة ،وتبقى الشكوك تحوم حول ضم الزاب الأعلى أو بلاد الجريد إلى هذه الإمارة .

وعلى العموم،إن حدود إمارة بني حمدون تشمل تقريبا إقليم الزاب الذي يمتد جنوبا إلى الواحات وإلى صنهاجة بأشير غربا وشمالا وشرقا إلى ولاية باغاية وقسما من الأوراس[3]،وهي تضم مواطن زناتة بالزاب والحضنة،ومواطن عجيسة ما بين سطيف وقلعة بني حماد[4].

وبعد تتبعنا حدود إمارة بني حمدون، نتساءل كيف سمحت الدولة الفاطمية لأمرائها بأن يتمتعوا باستقلالية وصلاحيات كبيرة؟ ثم ماهي الشخصيات التي حكمتها من هذه الأسرة ؟وماهي إسهاماتها السياسية والعسكرية في بناء صرحها ؟وما هي علاقاتها السياسية سواء مع الدولة الفاطمية أو مع القبائل والقوى السياسية المحيطة بها؟

2_ طبيعة نظام الإمارة:

يتمتع حكام إمارة بني حمدون بصلاحيات واسعة و نوع من الاستقلالية ،وهذا يعود إلى القاعدة التي اتبعها الفاطميون في إدارة الأعمال،و تتمثل في **"الاستكفاء"**[5]، وهي تندرج تحت ما يسمى **بالإمارة العامة**[6].

---

[1] فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية،صص467،521.

[2] ابن عذارى،البيان،ج1،ص215

3مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،دون تاريخ،ج2،ص154.محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة،ص49.

4 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج 1،ص216. رابح بونار،المغرب العربي تريخه وثقافته.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ص182.

5 فرحات الدشراوي،الخلافة الفاطمية،ص470.

6 قسم الفقهاء الإمارة إلى نوعين:إمارة خاصة وإمارة عامة.أما الإمارة الخاصة مقصورة على تدبير الجيش وسياسة الرعية والدفاع عن كيان الدولة.وليس لمثل هذا الأمير أن يتعرض للقضاء والأحكام ولا لجباية الخراج والصدقات.أما الإمارة العامة فجعلوها هي الأخرى إمارتين : إمارة استيلاء وإمارة استكفاء. وإمارة الاستيلاء كانت بعقد الاضطرار،أي أن الأمير كان يأخذها كرها فيضطر الخليفة إلى إقراره عليها. صبحي الصّالح،النظم الإسلامية نشأتها و تطوّرها.بيروت:دار العام للملايين،ص 311.وللمزيد من التفاصيل عن الإمارة وأنواعها وأحكامها ينظر الماوردي علي بن محمد حبيب البصري،الأحكام السلطانية والولايات الدينية.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،سنة1983،من ص 27 إلى31.

وتعتبر ولاية بني حمدون بإقليم الزاب من بين الولايات الفاطمية التي خُصت بهذا النوع من الإمارة ،فقد ذكر صاحب كتاب"سيرة الأستاذ جوذر" أن جعفر بن عليّ "كان مستكفيا بلا عقد حسب ما تقدم به رسمهم ." [1] ويُعرّف هذا النوع من الإمارة بأنّه عقد عن اختيار،أي أن الأمير يتوّلاها باختيار من الخليفة ورضاه ،و يمنحه في هذه الإمارة سلطات مطلقة [2] ،ومنها النظر في تدبير الجيوش ،ووضع الخطط الحربية، وتقليد القضاة، وجباية الخراج وقبض الصدقات ،وإقامة الحدود ،وتسيير الحجيج ، وجهاد الأعداء وتوزيع الغنائم بين المتقاتلين [3].و هذه الصلاحيات الواسعة في النواحي العسكرية والقضائية والمالية والدينية الممنوحة للعامل على ولاية من ولايات الأقاليم تلقي عليه مسؤولية الحفاظ على النظام في إمارته وجمع الضرائب وإرسالها إلى خزينة دولته[4] .

و كان أمراء بني حمدون يتمتعون أيضا باستقلال في التصرف بأموال إمارتهم ،بحيث كانوا غير ملزمين بأن يدفعوا مسبقا مبلغا معلوما لخزينة الدولة أو ما يطلق عليه بنظام **"لزمة"** الضرائب والذي كان مطبقا فقط على كورة برقة[5].وهذا لأن الدولة الفاطمية كانت تدير الشؤون المالية لأقاليمها في جميع المغرب**"بالأمانة من غير ضمان"** كما عبّر عن ذلك ابن حوقل [6].وهذا النظام الإداري الاستقلالي سمح للأمراء الحمدونيين وغيرهم من عمال الدولة الفاطمية بالمغرب أن يتمتعوا بمزية كبرى تتمثل في عدم دفع الأموال الطائلة التي كان عليهم تسديدها لو كان نظام "لزمة" الجباية مطبقا في أعمالهم، وهذا يشجعهم على جمع أموال باهظة من دافعي الضرائب وتجاوز السلطات لأغراض قد تخص الدولة الفاطمية أو عاملها على الإقليم.[7]

والسؤال هو لماذا منحت الدولة الفاطمية لعمالها من أسرة بني حمدون بولاية مسيلة وأعمالها هذه الاستقلالية في تسيير شؤون إقليم الزاب ،ومكنتهم من أن يمارسوا سلطات مطلقة إلى حد الظهور بمظهر نواب الخليفة،رغم أن الخليفة الفاطمي بالمغرب كان يميل إلى الاستبداد المطلق في تسيير دولته؟ [8] ويبدو أنّ

---

1 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص129.

2 و من الصلاحيات الممنوحة لمتولي إمارة الاستكفاء أنّه يُسمح له أن يتخذ لنفسه وزيرا بأمر الخليفة وبغير أمره،بشرط أن يكون وزير تنفيذ لا تفويض.وليس مسموحا له بزيادة في أرزاق جيشه بغير سبب."وإذا فضل من مال الخراج فاضل عن أرزاق جيشه حمله إلى الخليفة ليضعه في بيت المال العام المعد للمصالح العامة،وإذا بقي له فائض من مال الصدقات من عمله لم يلزمه حمله إلى الخليفة وصرفه" للمستحقين للصدقات من عمله.وإذا مات الخليفة فلا ينعزل بموته إذا كان التعيين من قبله. الماوردي علي بن محمد حبيب البصري،الأحكام السلطانية والولايات الدينية.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،سنة1983،ص28.

3 الماوردي،الأحكام السلطانية،ص27.صبحي الصّالح،النظم الإسلامية نشأتها و تطوّرها،ص311.

4 فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص471.

5ابن حوقل،صورة الأرض،ص103. فرحات الدشراوي،المرجع السابق،ص471.

6 ابن حوقل،المصدر السابق،ص103.

7 فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص471.

8 فرحات الدشراوي،المرجع السابق،صص 419،471.مرمول محمد الصالح،السياسية الداخلية للخلافة

سبب ذلك يعود إلى ما تتميز به منطقة المغرب من الشساعة في مساحتها، ووعورة تضاريسها، وكثرة تمرد قبائلها،ووجود الخطر الزناتي الأموي من الجهة الغربية، ممّا عقّد على الدولة الفاطمية مهمة السيطرة على هذه المناطق وإخماد الثورات بها،وإخضاعها لسلطتها.وتنفيذ مخططها في التوسع وبسط النفوذ سواء نحو الشرق باتجاه مصر أو الغرب باتجاه الأندلس.

فلهذا استعانت في بسط نفوذها والتحكم في قبائل المغرب الثائرة،على أسر عربية كأسرة بني حمدون وقبائل بربرية كقبيلة صنهاجة،وعينتهم عمالا على أقاليم المغرب،وأعطتهم حق توارث الحكم فيها، والحرية في إدارتها، وتسيير الجيوش فيها، وفي المقابل يعمل حكام هذه الولايات في إبقاء هذه الأقاليم تحت سلطة الدولة الفاطمية،والالتزام بجباية الأموال من ولاياتهم،وإرسالها إلى الخليفة الفاطمي.وعلى هذا، فإنّ المهام التي سيضطلع بها عامل الفاطميين على الزاب ذات طبيعة عسكرية بالدرجة الأولى،فهو في وقت السلم سيعمل على الدفاع عن منطقته،ومراقبة قبائلها وإحكام سيطرته عليها؛ وسيقوم أثناء الحرب بدعم جيوش الدولة الفاطمية عند مرورها بإقليمه،أو إرسال النجدات إلى المناطق المعرضة للحصار أو الخطر[1].

إذن، فالدولة الفاطمية وضعت لحكم ولاياتها بالمغرب نظاما إداريا عُرف **بإمارة الاستكفاء**.وهذا النوع من النظام الإداري جعل إمارة حمدون بإقليم الزاب أشبه بالخلافة من حيث تمتع أمرائها بجميع ما يتمتع به الخليفة من سلطة في تسيير شؤون دولته[2].

و رغم أن الروايات التاريخية لا تعطي تفاصيل وافية عن المهام الإدارية بإمارة بني حمدون إلاّ أنها أوردت إشارات سريعة عن ثلاث شخصيات توّلت مناصب إدارية مهمة في هذه الإمارة،وبالتحديد في عهد الأمير جعفر بن عليّ،اثنان منهم كانا يمارسان وظيفة الكتابة، أولهما يدعى الوهراني،وهذه نسبته والتي تشير إلى أنه من مدينة وهران ،وقد عرفناه من خلال قصيدة هجاه فيها الشاعر ابن هانئ الأندلسيّ حينما منعه من الدخول على جعفر بن عليّ في مجلسه[3].وهذه القصيدة تفيد أن الوهراني كان له نفوذ في بلاط الأمير جعفر بن عليّ، وكان مقربا منه ،حيث مارس وظيفة الحجابة إلى جانب وظيفة الكتابة.

وأما الكاتب الثاني للأمير جعفر فقد انفرد بالإشارة إليه ابن حيان وابن عذارى نقلا عن محمد بن يوسف الوّراق ،واسمه عليّ البغدادي.وقد كان هذا الكاتب في رفقة جعفر عند خروجه من مسيلة و رحيله إلى الأندلس، ومبعوثه إلى

الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،ص201.

1 الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،صص524،525.

2حسن إبراهيم حسن،طه أحمد شرف، المعز لدين الله،ص155.

[3] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ابن هانئ،شرح وتعليق حمدو أحمد طمّاس.لبنان:دار المعرفة،ط1،سنة1426هـ/2005، ص199.

الخليفة الأموي الحكم المستنصر ،فكان بذلك أول داخل إلى الأندلس من أصحاب جعفر اللاجئين عند زناتة [1]،وأيضا كان أول من استقبل يحيى بن عليّ عند دخوله إلى الأندلس برفقة رؤساء من زناتة.[2]

وقد وردت الإشارة إلى الشخصية الثالثة في رسالة الخليفة الفاطمي المعز إلى خادمه جوذر، واسمها **ابن رماحة**[3] ،ومن مضمون الرسالة يتبدى أنّ له مكانة مرموقة ومنصبا مهما في البلاط الحمدوني.فالمعز يذكر أنّه كان يلبي كل مطالب أحد الموالين للدولة الأموية بإمارة بني حمدون،"فلا يقف له في حاجة ويعنى بأسبابه ورباعه وأملاكه العانية الوكيدة." [4] ورغم أهمية هذه الشخصية في إمارة جعفر بن عليّ إلاّ أننا لا نعرف شيئا عن وظيفته بهذه الإمارة، ويمكن أن نستنتج من وصف المعز له بأنه كانت له اهتمامات بالشؤون المالية والاقتصادية ، ومن ثم لن تكون وظيفته بعيدة عن هذا الاختصاص.

أما فيما يخص حاشية الأمير وخواصه في إمارة بني حمدون، فإن الروايات التاريخية أشارت إلى وجود قبيلتين بربريتين كانتا مقربتين من حاكم هذه الإمارة،وربما أُ سندت إليهما مهام سياسية أو مالية أو عسكرية مهمة ،أولاهما قبيلة عجيسة،حيث ذكر الداعي إدريس أن ولي العهد الفاطمي أبا القاسم في حملته الكبرى في المغرب ،قد كلّف هذه القبيلة بأن تستقر مع عليّ بن حمدون [5] في مدينة المسيلة لتعينه على بناء هذه المدينة وتعميرها.وثانيهما قبيلة بني برزال،والتي عُرف عنها تمردها على الفاطميين ومساندتها القوية لأبي يزيد الخارجي في ثورته ،ثم أظهرت الخضوع لهم بفضل مجهودات الأمير جعفر بن عليّ،والذي استطاع أن يعقد معها حلفا وصداقة استمرت إلى ما بعد رحيله إلى الأندلس[6].

ومن خواص الأمير الحمدوني وحاشيته، فئة العبيد [7] أو الغلمان الذين كان لهم دور في مساعدة عليّ بن حمدون في بناء المسيلة [8]،ويُعتبرون نواة جيش الإمارة،والقوة العسكرية التي يستند عليها الأميرالحمدوني،و "كان أكثرهم يركب الخيل."[9] و يلاحظ أن الأمير جعفرا كان مهتما بهذه الفئة،ومعتنيا بها بدليل أنه لما

---

1 ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص39 . ابن عذارى، البيان،ج2،ص242.
2 ابن حيان،المصدر السابق،ص40
3 منصور الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر،ص124.
4 منصور الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر ،ص124.
5 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار،ص217.
6 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،صص72،73.
7 Lèvi-Provençal,Histoire de l’Espagne Musulmane,le siècle du cordoue.Paris: C.P. Maisonneuve,1953,tome3,p81.
8 الداعي إدريس، المصدر السابق،صص217،730.
9 المصدر نفسه،ص730.

أراد الرحيل إلى الأندلس،والتخلي عن إمارته بمسيلة،كانت ضمن من أخذهم معه [1].

ونلاحظ أن هناك شخصيتين لهما علاقة خاصة بإمارة بني حمدون ،أولهما يكنى بأبي القاسم الغساني، ويبدو من نسبته أنه عربي الأصل، وهو سني المذهب، وقد تزوج عزيزة بنت عليّ بن حمدون أخت جعفر،والثاني اسمه محمد بن مهنا البجاني،ويظهر أنه قادم من مدينة بُجانة الأندلسية،وقد تزوج هو الآخر بأخت لجعفر تدعى زينب بنت عليّ،وكلا الرجلين خرجا برفقة زوجتيهما مع جعفر من المسيلة إلى مواطن زناتة ثم الدخول إلى الأندلس[2].

3_ الإمارة على عهد علي بن حمدون:

يمكن تقسيم الشخصيات الحمدونية التي تولت الحكم بإمارة مسيلة إلى ثلاث شخصيات :

الشخصية الأولى كان لها دور التأسيس وإرساء القواعد. و يمثلها **عليّ بن حمدون**.أما الثانية فهي التي عملت على تطوير هذه الإمارة واستقلالها سياسيا وازدهارها حضاريا ويمثلها **جعفر بن عليّ بن حمدون** . أما الثالثة فقد كانت تشارك في حكم الإمارة ولكن في الظل وكان دورها خافت غير بارز وثانوي، ويمثلها **يحي بن عليّ بن حمدون** ، والذي كان يعاون أخاه جعفر في حكم الإمارة . ولهذا سيكون التركيز أكثر على شخصيتين : عليّ بن حمدون المؤسس ، وابنه جعفر المطور للإمارة سياسيا وحضاريا.

من الملاحظ أن الفاطميين لم يهتموا بتنصيب عامل لهم على إقليم الزاب بعد تأسيس دولتهم،فالروايات التاريخية لا تذكر أن هناك شخصية معينة أُسندت لها مهمة إدارة هذا الإقليم من قبلهم.ولكن يبدو أنّ الحملة التي قادها أبو القاسم إلى المغرب،كشفت الأهمية الإستراتيجية لهذا الإقليم و الخطر الذي قد يسببه عدم التحكم في قبائله،وهذا ما دفع حكام الدولة الفاطمية على أن يبحثوا عن شخصية شديدة الولاء لهم ،و لها القدرة على الإدارة وضبط الأوضاع ،لكي تعقد لها ولاية هذا الإقليم،فوقع الاختيار على عليّ بن حمدون[3].

وتمثلت أول خطوة في إعادة تنظيم إقليم الزاب إداريا وسياسيا وعسكريا بتغيير العاصمة التي منها يدير العامل ولايته ،حيث أمر أبو القاسم ببناء مدينة جديدة بهذا الإقليم لتكون بمثابة العاصمة العسكرية والسياسية له،وهي مدينة المحمدية أو المسيلة بدلا عن مدينة طبنة والتي كانت العاصمة في عهد الأغالبة[4].

الأغالبة[4].

1 نفسه،ص730.

2 ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص53.

3 الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص47.

4 ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج 4،ص421.محمد الطمار،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة 1983،صص109،110. عبد الرحمن بن محمد

وقد اختار ابن أبي القاسم عليّ بن حمدون لبناء هذه العاصمة الجديدة لإقليم الزاب،ثم أمره أن يتخذها دارا وينزلها مع عجيسة ،وجماعة من العبيد [1]،وولاّه عليها[2] عند إتمام بنائها وتحصينها بالسور [3]،وذلك في سنة 317هـ[4]/930م. فاستقر بها،ووجه إليه عبيد الله المهدي زوجته وابنه جعفر،ليجمع شمله[5].

و يبدو أن ولي العهد أبا القاسم ما كان ليختار عليّ بن حمدون دون سواه ليكون واليا على إقليم الزاب إلا بعد أن جرب أدبه ،ولمس إخلاصه وتفانيه في خدمته[6].ويضاف إلى ذلك ما لوحظ عليه من الذكاء والمهارة والنشاط ونجاحه في المهمات التي أسندت إليه في الدولة الفاطمية[7].وأيضا لكونه من أسرة عربية عريقة في ولائها للمذهب الشيعي الإسماعيلي.

وبعد أن عيّن ولي العهد أبو القاسم عليّ بن حمدون واليا على إقليم الزاب ،أمره بتعمير مدينة المسيلة وتحسينها وتحصينها [8].ثم كلفه بإتباع سياسة اقتصادية تقشفية تتمثل في إدخار الأقوات وأنواع المأكولات وكل ما تنضم إليه الضرورة ففعل وزاد[9].وكان "إذا ارتفعت الأسعار وقلت الأمطار يكتب إلى أبي القاسم وهو ولي عهد أبيه وبعد إفضاء الأمر إليه يستأذنه في البيع ويعلمه بما في ذلك من الزيادة والنفع فيأباه وينهاه ويأمره بالاستكثار والادخار ويعلمه أنه سيحتاج إليه"[10]تحسبا لأي حصار يقع على المدينة أو تمرد ينفجر في المنطقة .و هذه السياسة التقشفية قد أفادت الخليفة الفاطمي المنصور،في أثناء محاصرته لأبي يزيد الخارجي عند تحصنه بجبل كيّانة،فقد كان يعتمد على الأطعمة المخزونة بمدينة المسيلة في تموين جيشه بالزاد،إذ لم يكن بذلك المكان مدينة سواها[11].

الجيلالي،تاريخ الجزائر العام.الجزائر،ج1،ص220.ويرى المهدي بوعبدلي أنه بدءا من ولاية جعفر سنة 334هـ تحوّلت مدينة مسيلة إلى عاصمة الزاب، ونُقلت إليها معظم إطارات الدولة الذين كانوا بمدينة طبنة.المهدي بو عبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص144. مرمول محمد الصالح،الساسية الداخلية للخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،ص299.

1 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص217.

2ابن حيان،المقتبس،ص 34. ابن عذارى،البيان ،ج1،ص215.ج2،ص242.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص51،107.

3 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص 34.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص51،107.

4 ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص34.

5 المصدر نفسه،ص34.

6 نفسه،ص34.

7 نفسه،ص34.

8 نفسه،ص34.ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص46.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص51.

9 ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص 46. ابن الأثير،الكامل،ج 7،ص36.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص51،107. ابن أبي دينار،المُؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ص57.

10 ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص46.

11 ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص 47.ابن الأثير،الكامل،ج 7،ص36.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص51،107.

ومن الخدمات التي قدمها عليّ بن الأندلسي للدولة الفاطمية في عهد عبيد الله المهدي ، ما ذكره صاحب عيون الأخبار أنه في سنة 317هـ قدم إلى المهدية وبرفقته فلفل بن خزر أحد زعماء بني خزر المعادين للفاطميين ،ورؤساء من زناتة وأشرافهم،ليعلنوا ولاءهم للخليفة الفاطمي.فاستقبلهم بالترحيب والتكريم ،"وأمر لهم بالكُسَى والصلات والحُملان فكسوا في القصر." [1] وقد كان لهذا الحدث صداه عند الدولة الأموية،حيث ذكر ابن حيان في مقتبسه أن محمدا بن خزر أخا فُلْفُل بعث برسالة إلى الخليفة الأموي الناصر ،يستنكر فيها فعلة شقيقه،ويؤكد ولاءه للأمويين رغم أنّ الفاطميين طلبوا منه أن يقتدي بأخيه وينضم إليهم ورغبوه في ذلك؛ثم ذكر أنّ أخاه فلفل كان يكن له الحسد والبغض ،وهذا هو السبب الذي دفعه إلى معاداته و موالاة خصومه الفاطميين،فقرر الرحيل عن مضارب قبيلته مع ولده وجماعة من أتباعه متظاهرا بأنّه يبحث عن المرعى لماشيته،فسار بعائلته إلى أطراف أعمال الفاطميين،ليلتحق ببلاط الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي [2].وابن خزر لا يذكر في رسالته أنّ أخاه فلفل اتصل بعليّ بن حمدون في مدينة المسيلة،ولكنه يشير إلى أنّ فلفل جاء بنفسه إلى عامل الفاطميين بالمسيلة،و التي هي على طرف ولاية إفريقية،ليُعلن موالاته لعليّ بن حمدون وليُسهل له مهمة الوصول إلى الخليفة الفاطمي.

ويبدو أنّ عليّ بن حمدون كان يواجه مخاطر جمة في ولايته بمدينة المسيلة،خاصة من الهجمات التي كان يقوم بها محمد بن خزر على إقليم الزاب،فقد ذكر ابن حيان أن هذا الأمير المغراوي وجه أخاه عبد الله بن خزر ليشن هجوما على مدينة المسيلة،ويظهر أنّه استطاع أن يستولي عليها بعدما فرّ منها صاحبها عليّ بن حمدون إلى جبل قريب منها ليتحصن بقلعته المنيعة؛ثم قام عبد الله بن خزر بمحاصرته في هذا الجبل، وأخضع القبائل المستقرة بذلك الموضع ،وأخذ منهم رهائن، وعسكر في موضع يقال له "سوق ابن ماها" ليمنع وصول الميرة والدعم إلى تيهرت قاعدة الفاطميين بالمغرب الأوسط [3]. وابن حيان في هذه الرواية لا يحدد تاريخ هذا الهجوم على مدينة المسيلة.

وقد ذكر ابن عذارى في تاريخه أن عبد الله بن خزر قد قام بعمل عسكري في منطقة نفوذ الفاطميين بالمغرب وحقق بعض الانتصارات ولكن ذلك كان في سنة 314هـ،أي قبل تأسيس مدينة المسيلة بسنة [4]؛.وفي رواية أخرى للمؤرخ نفسه يورد فيها أنّ في سنة 317هـ "تغلب محمد بن خزر على الزاب كله، وملكه

---

1 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص231.وينظر ابن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص36.

2 ابن حيان القرطبي،المقتبس(الجزء الخامس)،تحقيق ب.شالميتا وف.كورينطي و م.صبح وغيرهما،صص303،304.

3 ابن حيان القرطبي،المقتبس(الجزء الخامس)،تحقيق ب.شالميتا وف.كورينطي و م.صبح وغيرهما،ص259.

4 ابن عذارى،البيان،ج1،ص191.

جملة."[1]، وأيضا فإنّ ابن حيان أورد حادثة هجوم عبد الله بن خزر على مدينة المسيلة ضمن أحداث هذه السنة[2]،وبالتالي يمكن أنّ نفترض أنّ تاريخ استيلاء بني خزر على مدينة المسيلة ومحاصرة عاملها بجبل كيانة قد يكون في سنة 317هـ، وبناء على ذلك يمكن أنّ نفسر عجز عليّ بن حمدون على المواجهة والتجائه إلى قلعة كيّانة وعدم بقائه بمدينة المسيلة وتحصنه بها إلى أنّه مازال في مرحلة تجهيز مدينته الجديدة وتحصينها،و أنّه لم يكن جاهزا بالقدر الكافي الذي يمكنّه من خوض حرب مع عدوه المغراوي الأكثر منه عددا وعُدة.

وبعد وفاة عبيد الله المهدي في سنة 322هـ/934مـ، ذهب عليّ بن حمدون إلى الخليفة الجديد القائم بأمر الله أبي القاسم ،معزيا عن أبيه ومهنئا له بالولاية،وأقام عنده شهورا[3].ثم بعد ذلك ، وكما ذكر ابن حيان نقلا عن الوراق، أنّه كان يقضي فترة ولايته بين تسيير شؤون إمارته بمسيلة،وبين الذهاب إلى المهدية ليكون في خدمة القائم بأمر الله عن قرب.وكان في أثناء غيابه الذي قد يطول، يستخلف ولده جعفرا في حكم الإقليم[4].والملاحظ أن استخلافه لولده في حكم الإمارة، يشير إلى رغبته في توريثه ولاية المسيلة وأعمالها بعده،وتحويل هذه الولاية إلى إمارة حمدونية،وأيضا إلى تلك العلاقة المميّزة والخاصة بينه وبين الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله .

ولعل من أسباب كثرة تنقل عليّ بن الأندلسيّ إلى المهدية وملاقاته للخليفة الفاطمي القائم بأمر الله ما ورد في توقيعات جوذر أنه كان حريصا على حاجة من أمور الدين[5] تتعلق بترقيته مذهبيا،وكان يلح عليها إلحاحا،وقد كان يشترك معه في طلبها جوذر ورجلا آخر اسمه ناصر.وقد أجاب القائم بأمر الله طلبه ،فخرجت

---

1 المصدر نفسه،ج1،ص194.

2 ابن حيان القرطبي،المقتبس(الجزء الخامس)،تحقيق ب.شالميتا وف.كورينطي و م.صبح وغيرهما،ص245.

3 ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن عليّ الحجي ،ص34.

4 المصدر نفسه،ص34.

5 وهذه "الحاجة من أمور الدين " لم يبينها مصنف كتاب "سيرة الأستاذ جوذر" ،ولم ترد إشارة توضحها إلا ما جاء في إحدى فقرات الكتاب أنها" الإختصاص بالفضل على غيره في **درج الآخرة** كما فضله وشرفه في هذه الدنيا". وقد افترض محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة في تقديمهما للكتاب على هذه الإشارة أن الحاجة المراد بها مرتبة دينية تعتبر في المذهب الإسماعيلي من أعلى مراتب الحدود الدينية بعد مرتبة الإمام وولي عهده(حجته)،وهي مرتبة **"الباب"**. وعرفها صاحب رسالة البيان " وحد الباب الذي هو من الحدود الصفوة واللباب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة ولا ينتمي إلى ذلك إلاّ الآحاد والأفراد وذلك مجمع الثقلين من الصور الشريفة المرتقبة في المعاد ولم يبق فوقه إلاّ حد الإمام". ولكن عاد المحققان بعد ذلك إلى استبعاد أن تكون هذه الحاجة هي مرتبة "الباب" ،لأن الذين طلبوا هذه الحاجة أكثر من واحد. ومرتبة "الباب" لا تكون إلاّ لشخص واحد. ولهذا فهما لا يقطعان في حقيقة هذه الحاجة،لأن النصوص لا توضح أمر هذه الحاجة الدينية.منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جُوذَر،صص 24،25،26،84.ويميل الهادي روجي إدريس إلى أنّها رتبة " الباب".الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص65.

الحاجة إليه على يد شخص يسمى أبا الفرات [1].وهذا يدل على مدى ارتباطه بالفاطميين سياسيا ومذهبيا ، وأن ولاءه لهم كان قبل كل شيء ولاءا مذهبيا وعقيديا.

وقد أشار البكري أن علي بن حمدون،وفي خلال ولايته لإقليم الزاب، قام بتخريب مدينة_ أدنة كما رسمها_أزبةالقريبة من مسيلة سنة 324هـ/936مـ في أثناء رجوع ميسور الفتى من حملته العسكرية من المغرب الأقصى،مما تسبب في خلوها من السكان [2]. والسؤال،لماذا قام بتخريبها وترحيل سكانها منها؟ هل يعود هذا إلى وجود حركة تمردية بهذه المدينة ضد السلطة الفاطمية، خاصة ترافق هذا التخريب مع مرور حملة ميسور الفتى بها؟ أم أن عليّا كان راغبا في تحويل مدينة المسيلة إلى مدينة كبيرة،وعامرة بالسكان،بحيث لا تكون هناك مدينة أخرى تنافسها، خاصة إذا كانت قريبة منها كمدينة أزبة؟ونلاحظ أيضا،أن سنة هذا التخريب تتوافق مع سنة بناء مدينة أشير،فربما أراد عليّ بن الأندلسيّ أن يسهم في تعمير هذه المدينة الجديدة،فقام بترحيل سكان مدينة أربة إليها.فكل هذه الاحتمالات واردة.

ويبدو أنّ الاحتمال الأخير أقواها و أرجحها، لأنه حينما شرع زيري في بناء مدينته سنة 324هـ،لقي تشجيعا كبيرا ودعما من الخليفة الفاطمي ،حتى أنّه أمده بالحرفيين وأسعفه بمهندس معماري لا نظير له في إفريقية.وزوّده بجميع معدات البناء وخاصة الحديد[3].فهذا الاهتمام الفائق من الخليفة بمدينة زيري ربما هو الذي جعل عليّ بن حمدون الشديد الولاء للخليفة القائم بأمر الله وعامله على المسيلة المجاور لولاية زيري أن يعتني بهذا المشروع العمراني الجديد ويعطيه كل اهتمامه.

من هنا لا يستبعد أنّ عليّ بن حمدون قد تلقى أوامر خاصة من الخليفة الفاطمي بمساعدة زيري في بناء مدينته،وإمداده بالبنائين من مسيلة وطبنة وغيرهما،ثم بمساعدته على تعمير مدينته بالسكان،فكان إقدامه على تخريب مدينة أزبة لغرض ترحيل سكانها إلى مدينة زيري الجديدة.

ولعل من الأمور التي تدل على النجاح الكبير الذي حققه عليّ في ولايته، وقدرته على ضبط الأوضاع بعمله،ما صرح به الخليفة الفاطمي المعز لخادمه جوذر من أنّ عليّا:" عظمت حاله وذكرت آثاره ورضى عنه مواليه بما ظهر من

---

[1] منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص75

[2] البكري،المغرب،ص 144.الحميري،الروض المعطار،ص 20. وعند ابن عذارى أنه في سنة 324هـ"خرّب عليّ بن حمدون المعروف بابن الأندلسيّ مدينة مسيلة". ابن عذارى،المغرب،ج1،ص214.وينظر الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج 1،ص47، الإحالة رقم 24. وربما يقصد ابن عذارى بالمدينة المخربة مدينة أزبة_أدنة_ الواردة عند البكري.

[3] الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص44.

سعيه في هذا البلد ومحمود قيامه، وقد كان أهله إذ ذاك أعظم غلظة وأكثر سفها وحمقا فأذلهم الله بمحمود سياسته، وكان مع ذلك له ثمرات النية الصالحة ما قد لقيه في عاجل أمره وآجله."[1] ثم أن المعز لما رأى من جعفر بن عليّ ما يزعجه منه ، ذكّره أن من أهم الأسباب في توليته عاملا على الزاب،وتقريبه إليه ورضاه عنه،هو تلك الخدمات الكبيرة التي قدمها والده في أثناء ولايته،فهو ينبهه إلى أن "لا يجعل سلم والده الذي ارتقى به إلى رضانا وأبقاه له بعده سلمه هو إلى انحطاط."[2] ونستخلص مما سبق أنّ الخليفة الفاطمي المعز قد شهد لعليّ بالمنزلة العالية التي بلغها لدى الفاطميين،و قدرته على تحقيق الاستقرار السياسي في أثناء ولايته على المسيلة والزاب، وهذا بسبب المجهودات التي بذلها في إخضاع قبائل إقليم الزاب،والتي وصفها المعز بالغلظة والسفه والحمق لكثرة تمردها وثوراتها ،و قد وصفه بحسن التدبير وجودة الأداء السياسي في إدارة ولايته،وبإخلاصه للفاطميين، والذي تجلى في تضحيته بحياته من أجل إنقاذ الدولة الفاطمية،وأيضا في مكافأة الفاطميين له بتولية ولده بعده على مسيلة وأعمالها.

أما فيما يخص نهاية عليّ بن حمدون، فقد كانت في خضم الثورة العارمة،التي واجهتها الدولة الفاطمية في عهد القائم بأمر الله، وكانت بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي النكاري.والذي أعلن ثورته بجبال الأوراس بمساندة من قبائل خارجية كهوارة وبني كملان و بني برزال [3]،وذلك في سنة 323هـ[4]/935مـ .فبدأ بأول هجوم ناجح على باغاية سنة 332هـ/943_944مـ وقام بحصارها ولكنه هزم وانسحب عنها [5]، ثم شرع في الاستيلاء على مدن إفريقية الواحدة تلو الأخرى، فاستولى على تبسة و مرماجنة [6] و سبيبة فأربس ، ثم دخل إلى باجة وبعدها تونس فرقادة ثم القيروان [7].وتمكن من قتل ميسور أحد كبار

1منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص141.

2 المصدر نفسه،ص141.

3 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص264. ابن حماد،أخبار بني عبيد،صص 54،55.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج7،ص19.ابن عذارى،البيان،ج1،ص216.

4 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص 264. عند ابن الأثير و ابن خلدون: أن أبا يزيد بدأ دعوته التمردية، وصارت له جماعة يعظمونه وذلك في أيا م المهدي سنة 316هـ.ابن الأثير، الكامل،ج7،ص189.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص52.ويؤرّخ المقريزي بداية خروجه على الدولة الفاطمية بسنة 303هـ.المقريزي، الاتعاظ،ج1،ص70.وعند ابن حماد:بداية من سنة332هـ.ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص 53. وعند ابن عذارى أنّ أمره بدأ سنة 316هـ ولكنه اشتد سنة 332هـ.ابن عذارى، البيان،ج1،صص193،216.

5 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، من ص 266إلى 271.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،صص19،20.ابن الأثير ، الكامل،ج7،ص189.

6 مرماجنّة: بإفريقية قريبة من الأربس، وبينها وبين مجانة مرحلتان.الحميري،الروض المعطار،ص 540. وحدد الطالبي موقعها بأنّها تقع على مرحلة من سبيبة ،على طريق هذه المدينة إلى مسكيانة، أي في ضواحي موقع تالة حاليا.محمد الطالبي،الدولة الأغلبية،ص361،الإحالة رقم85.

7 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،من ص 271 إلى ص 295.ابن الأثير،الكامل،ج7،صص189،190.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 7،ص20.ابن أبي دينار،المُؤنس في

كبار القادة الفاطميين،وصار بذلك قريبا من المهدية [1]،فقام بالهجوم عليها وتشديد الحصار عليها[2]،وكان القائم كتب إلى عماله بالأقاليم [3] وإلى رؤساء كتامة والقبائل وزيري بن مناد الصنهاجي يحثهم على المسير إلى المهدية [4]،وبعث يجمع العساكر من المسيلة وغيرها[5]، ويبدو أنّ هذه الرسائل ونداءات النجدة قد وصلت إلى عليّ بن حمدون عامله على الزاب،فقد ذكر ابن الأثير وابن خلدون أن القائم بأمر الله كتب إليه يطلب منه المدد و يأمره بتجنيد القبائل،وجمع العساكر وما قدر عليه من مسيلة، ومن غيرها، فقام بحشد جيش كبير من القبائل،ومن المدن [6] التي مرّ بها،قاصدا المهدية، وذلك في سنة 334هـ[7]/946مـ.

وهناك رواية مفصلة عن تحرك عليّ بن حمدون بالعساكر من مدينته المسيلة متوجها إلى المهدية لمساندة القائم ومن معه، وهي التي أوردها الداعي إدريس في كتـابه "عيـون الأخبار" ويذكر فيها أن عليّ بن حمدون حشد العساكر وشرع في المسير إلى المهدية بعدما علم بفك الحصار عنها،وهروب أبي يزيد[8] . فتحرك بجيشه الكبير من المسيلة،فمر في طريقه " على بلد وزداجة إلى سطيف إلى القسنطينة ثم إلى لواتة،وصار معه منهم إلى بني هراش [9].ووافاه حسن بن منصور مقدّم بني هراش،وثوبان بن أبي سلاس في جماعة من الجند الذين كانوا معه بقلعة شقبنارية[10] ثمّ رحل إلى بلطة،"[11] وعسكر في هذا المكان[12].

أخبار إفريقية وتونس،ص58.

1الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص 296،297،298.ابن الأثير، الكامل،ج 7،ص191.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص20.ابن عذارى، البيان،ج1،ص218.

2 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،من ص 304 إلى ص 322. ابن الأثير،الكامل،ج 7،صص 191،192.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 7،ص21.ابن أبي دينار،المُؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ص60.

3 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص302.

4 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص53.

5 المقريزي، إتعاظ الحنفا،ج1،ص81.

6 ذكر ابن الأثير من هذه المدن سطيف،وأن قوما من بني هراس انضموا إلى جيش عليّ بن حمدون. وأما ابن خلدون ذكر أن عليّا مرّ بالأربس وقسطنية وشقنبارية،و ذكر من القبائل كتامة وزواودة.ابن الأثير،الكامل،ج7،صص195،196.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.ج7،ص21.

7 ابن الأثير،الكامل،ج7،صص195،196.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص107،108.

8 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص333.

9 عند ابن الأثير:بني هراس.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص196.

10 عند ابن خلدون:شق بنارية. وفي موضع آخر شقنبارية.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107،108.ج7،ص21.

11 بلطة:ذكرها البكري ضمن منطقة باجة،وأشار إلى شهرتها بما تنتجه من العنب.البكري، المغرب،ص57.هي اليوم قرية مشرفة على سهل بو سالم بولاية جندوبة.وتقع على عشرين ميلا غربي باجة.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص333.الإحالة رقم 199.

12 الداعي إدريس،تاريخ الفاطميين بالمغرب ،ص 333.ابن الأثير،الكامل،ج 7،صص 195،196.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص107،108.

ووصلت الأخبار أن الحسن بن عليّ الكلبي [1] أحد القادة الفاطميين ،قد سيطر على تونس وهزم البربر أتباع أبي يزيد.فكتب إليه يُعلمه بوصوله إلى الموضع الذي هو فيه. ويطلب منه القدوم عليه [2]. وهو لا يعلم بوجود أيوب بن أبي يزيد بمدينة باجة،ولا يشعر به، ويبدو أن تمركز هذا الجيش الخارجي كان بأمر من أبي يزيد بقصد قطع الطريق المؤدية إلى المهدية على عامل الزاب وجيشه [3].

فاغتنم أيوب غفلة عليّ عنه [4]، وغيابه عن معسكره بغرض طلب النجدة من بعض القبائل [5]،فشن عليه هجوما مفاجئا في الصباح الباكر [6]، وقد كان الجو غائما غائما ومظلما ،فاستباح عسكره،وشتت جنوده [7]،واشتبك معه،واشتد القتال بينهما.فانهزم عليّ [8] وقد أصيب ببعض الجراح [9] و استطاع أن ينجو بنفسه ويفلت ويفلت من هذا الكمين [10]،برفقة ابن أبي سلاس [11].

و يتفق المؤرخون حول ما حدث لعليّ بن حمدون من بداية تحركه بعساكره متوجها إلى المهدية،إلى نزوله بمدينة باجة،ثم الكمين الذي تعرض له من أيوب بن أبي يزيد ،ممّا تسبب في تشتت جيشه وهروبه.أما عن المصير الذي انتهى إليه،فقد اختلفت الروايات التاريخية حوله.

وهناك رواية تذهب إلى أنّه بعد أن نجى بنفسه،وقع له حادث تسبب في موته، وهذه الرواية ذكرها خمسة من المؤرخين وهم ابن حيان وإدريس القرشي وابن حماد وابن عذارى وابن خلدون،وقد اتفقوا أن عليّ بن حمدون كان بموضع

---

[1] الحسن الكلبي:الحسن بن علي بن أبي الحسن الكلبي رأس أسرة الكلبيين ولاة صقلية من قبل الفاطميين، وكان الحسن أحد صنائع الفاطميين وقادتهم العسكريين.منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص173،التعليق رقم76.

2 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص333.

3 الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص267.

4 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، صص 333،334.ابن الأثير،الكامل،ج 7،ص196.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص21.

5 الداعي إدريس،تاريخ الخفاء الفاطميين،ص334.

6 ذكر ابن خلدون أن جيش أيوب وجيش عليّ تناورا قبل أن يقوم أيوب بهجومه المفاجئ على معسكر عليّ.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.

7 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص334. ابن الأثير،الكامل،ج7،ص196.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107،ج7،ص21.وأجمل ابن حيان ما حدث لعليّ بن حمدون من الهجوم المباغت الذي تعرض له من أيوب بن أبي يزيد الخارجي الذي ثار على الفاطميين في قوله "فصليّ عليّ بن حمدون من حروبه نهابير مهولة".ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص35.

8ذكر ابن حماد أن هذا الاقتتال بين الفريقين كان في بفحص على وادي وجرة .ابن حماد الصنهاجي، أخبار بني عبيد،ص 55.واقترح الهادي روجي إدريس تصحيح الكلمة الأخيرة كما يلي:" مجردة أو بجردة".الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص51،الإحالة رقم 36. و ذكر المقريزي أن أيوب بن أبي يزيد هاجم على حين غفلة عساكر كثيرة جاءت لنصرة القائم من مسيلة وغيرها،فقتل منهم، وغنم أثقالهم ولكن دون أ ن يأتي على ذكر عليّ بن حمدون.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص81.

9 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص334.

10 المصدر نفسه،ص334.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص196.ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص55.

11 ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص55.

وعر،فتردى به فرسه،وسقط من مكان عال،وانكسرت عظامه، ورجلاه ويده،وانتهى به الأمر إلى الموت [1]. وهناك بعض الزيادات في رواية كل واحد منهم،فابن حيان ذكر أنه مات في شهر ربيع الآخر في سنة 334هـ[2]. وحدد الداعي إدريس المكان الوعر الذي لجأ إليه،وهو ناحية من بني ديارة [3].وذكر أنه مات بعد أيام[4].أما ابن حماد فيسلط الضوء على السبب الذي كان وراء موته بتلك الكيفية المفجعة.فذكر أنه لجأ "إلى موضع وعر ليلا،ومعه ابن أبي سلاس قائدا أيضا .فانحل وثاق فرس من خيولهم ،فوثب على فرس آخر فتضاربا وصهلا ، فوثب القوم بعد أن هجعوا وظنوا أن أيوب غشيهم، فركبوا الخيل في ظلام الليل ،وتبددوا في تلك الأوعار فسقط على بن حمدون من ج رف عال، فانكسرت يداه ورجلاه وظهره وأكثر عظامه"[5].

وأما الرواية الثانية ،فإنّها تنفي موته،و تصرح بأنه لجأ إلى بلاد كتامة،ثم خرج مرة أخرى بجيشه ليخوض معارك مع أبي يزيد الخارجي وابنه أيوب،ويحقق نصرا كبيرا عليهما.وقد أوردها ابن الأثير في تاريخه [6]، ومحتواها أن أيوب سيرّ قطعة من جيشه لمواجهة جماعة من جند الفاطميين خرجت إلى تونس،فحدث القتال بين الفريقين واشتد،وكادت الهزيمة تلحق بالجند الفاطمي ولكنهم ثبتوا وتمكنوا من هزيمة جند أبي يزيد الخارجي ودفعهم إلى الفرار إلى القيروان والتحصن بها،بل وصل الأمر بأبي يزيد أن فكر في الهروب من هذه المدينة مخافة أن يباغت بهجوم كاسح من الجند الفاطمي[7].وكل هذه الأحداث وقعت وقعت في شهر ربيع الأول من سنة334هـ/945مـ[8].

---

1 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص 35.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين، صص 333،334.ابن حماد،أخبار بني عبيد، صص 55،56. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،صص107،108.ج7،ص21.ابن عذارى،البيان،ج2،ص243.

2 ابن حيان،المقتبس، عبد الرحمن علي الحجي،ص35.وابن عذارى وابن خلدون ذكرا السنة دون الشهر. ابن عذارى، البيان،ج2،ص243.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ص108.

3 بني ديارة: ذكر مصطفى غالب محقق كتاب "عيون الأخبار" أن في بعض نسخ الكتاب ورد بدل كلمة بني ديارة "باجة" و"باجية." وذكر أنه لا يعرف باجة أخرى غير باجة القمح وباجة الزيت، ثم نبه إلى أن مكان بني ديارة بالتحديد غير معروف.ينظر الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص334، الإحالة رقم 201.

4 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص334.

5 ابن حماد الصنهاجي، أخبار بني عبيد،صص55،56.

6و أيضا ذكر ابن خلدون هذه الرواية،و يبدو أنه نقلها من ابن الأثير.ولكن في نفس الوقت نجده ينقل الرواية المخالفة لها في تاريخه،والتي تقول بموت عليّ بن حمدون بعد هروبه من الكمين،في موضعين من تاريخه،الموضع الأول عند حديثه عن إمارة بني حمدون بمسيلة والزاب.والموضع الثاني عند سرده لسيرة أبي يزيد الخارجي و أحداث ثورته،ويلاحظ أنه ذكر التفاصيل نفسها التى وردت في كتاب"عيون الأخبار للداعي إدريس.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون، ج4،ص 107.ج7،ص21.أما رواية ابن الأثير فقد ذكرها عند حديثه عن تاريخ الدولة الفاطمية.نفس المصدر،ج4،ص54.

7 ابن الأثير، الكامل،ج7،ص196.

8 المصدر نفسه،ج 7،ص196.في رواية الداعي إدريس أن ذلك كان في شهر الربيع الآخر من نفس

ثم ذكر ابن الأثير أن أصحاب أبي يزيد أشاروا عليه بعدم التسرع والقيام بهجوم جديد.فجمع عددا كبيرا من العسكر، وسيّرهم بقيادة ابنه يزيد لمقاتلة جيش الفاطميين، والذي كان بقيادة عليّ بن حمدون،في موضع يطلق عليه بلطة، فحدث بينهما معارك شديدة،فمرة ينتصر أيوب،ومرة ينتصر عليّ[1].

وكان عليّ بن حمدون متحصنا بالمدينة، وقد وَكّل بحراسة أبوابها لمن يثق به، ولكن استطاع أيوب بن أبي يزيد أن يدخلها بمساعدة أحد حراسها اسمه أحمد مقابل مقدار من المال .وقام بهجوم كبير ،أدى إلى هزيمة عليّ بن حمدون وجيشه ممّا اضطره إلى الهروب إلى بلاد كتامة في ثلاثمائة فارس و وأربعمائة راجل،وكتب إلى قبائل كتامة ونفزة و مزاتةوغيرها ،فاجتمعوا وعسكروا عند مدينة قسنطينة،ثم بعث عسكرا إلى هوارة _ وكان يعتمد عليها أبو يزيد_ فهزمها وغنم أموالها.وكانت ردة فعل أبي يزيد أن أرسل جيوشا كثيفة إلى مقاتلة عليّ وجيشه.فحدثت بينهم حروب كثيرة ،و كان النصر حليف عليّ بن حمدون ، إذ استطاع أن يفتّك مدينتي تجيس وباغاية من قبضة أبي يزيد.[2]

ونلاحظ أن الأحداث المذكورة في هذه الراوية هي نفسها التي سردها الداعي إدريس في كتابه "عيون الأخبار" ، ولكن بطريقة مختلفة وأكثر تفصيلا. فذكر أن الذي قاد الجيش الفاطمي واشتبك مع أيوب بن أبي يزيد،ثم هرب إلى بلاد كتامة،وجمع القبائل وعاد مرة أخرى للصدام مع أبي يزيد، فانتصر عليه،هو الحسن بن عليّ وليس عليّ بن حمدون [3].ولا بأس أن نورد روايته بما فيها من زيادات وتفاصيل ليتبين لنا أكثر الفرق بين الروايتين.

لقد ذكر أن الحسن بن عليّ كان بتونس، ثم لما وصله كتاب عليّ بن حمدون طالبا منه التوجه إليه،تحرك نحوه، ولا يدري ما حدث له، ولا يعلم بوجود جيش أيوب في ذلك الموضع.فلما علم أيوب بحركته،اتجه لملاقاته بجيش كثيف ،وكان قد أرسل قطعة من جيشه عددها ألف فارس ،فجعلها في طريق المهدية ،لتقطع الطريق عليه إذا أراد الفرار إليها. ثم حدث القتال بين الفريقين،فانهزم جيش أيوب.و اقتحم الحسن معسكرهم ،وأخذ أموالهم ، وبعثها إلى المهدية. ولكن جند أيوب الكامن في الطريق، أخذ هذه الأموال. فقام الحسن مع أخيه عمار باسترداد ما أخذوه،ثم لاحقوا أيوب وجيشه فأصابوه،واضطروه على ترك معسكره، والهروب إلى القيروان[4].

ثم أراد أبو يزيد في هذا الموقف الصعب أن يهرب من هذه المدينة، ولكن قرر البقاء وجمع عسكرا كثيرا من البربر.وأرسل ابنه أيوب لمحاربة الحسن مرة

السنة.(نوفمبر).إدريس القرشي، الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين ،ص335.
1 ابن الأثير، الكامل،ج7،ص196.
2 المصدر نفسه،ج7،ص196.
3ينظر الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،من ص 334 إلى ص 337.
4 ينظر الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ،صص334،335.

ثانية. فنزل أيوب بموضع [1] من كورة باجة. وعسكر الحسن بن عليّ مع من معه في موضع وعر ليتحصن به،وفيه أربعة طرق،فجعل على بعضها أحمد المعروف بالكمين الوزداجي.فحدثت معارك بين الجيشين،لم يحسم فيها النصر لأحد الطرفين.غير أن أحمد المكلف بحراسة بعض المنافذ المؤدية إلى معسكر جيش الحسن تواطأ مع أيوب ليفتح له الطريق مقابل مال. فتمكن جيش أيوب أن يكتسح معسكر الحسن ويهزم جيشه.[2]

ولكن استطاع الحسن النجاة بنفسه،واللجوء إلى بلاد كتامة، ثم العودة مرة أخرى ، فجمع عساكر كثيرة من كتامة وغيرهم.ونزل بقسنطينة، ثم هجم على هوارة المتعاونين مع أبي يزيد وهزمهم.ثم دخل في معارك شديدة مع جيوش أبي يزيد،فانتصر في جميعها. وملك مدينة تيجس و مدينة باغاية.ثم بعدما علم بوصول المنصور إلى القيروان، سار إليه[3].

ونلاحظ أن الأحداث الواردة في الروايتين تقريبا واحدة،واحتمال كبير أنهما من مصدر واحد. والفارق الأساسي والجوهري هو ذلك الالتباس في القائد الذي أحرز تلك الانتصارات الكبيرة على جيوش أبي يزيد.فهل نأخذ برواية ابن الأثير التي تؤكد أنّ القائد الفاطمي هو عليّ بن حمدون دون سواه ، وأنه لم يمت بعد تعرضه لكمين أيوب بن أبي يزيد،و استطاع أن يعود إلى مدينته المسيلة،ويعاود هجماته على جيش أبي يزيد و يحقق نصرا ساحقا عليه ،أم نعتبر أن رواية الداعي إدريس هي الرواية الصحيحة،وأن الحسن بن عليّ هو الذي قاد الجيوش وخاض المعارك وحقق النصر ؟

يظهر أنّ رواية ابن الأثير لا تتحدث عن مصير عليّ بن حمدون وعن موته أثناء مواجهته لثورة أبي يزيد . غير أن هناك ثلاثة من المؤرخين أكدوا وقوعه .و بالتالي من الأهمية بمكان أنّ يدور النقاش حول المعارك التي دارت بالقرب من تونس وفي بلطة،وعن ظروف استرداد تيجس وباغاية .هل ننسب ذلك إلى عليّ بن حمدون أم إلى الحسن بن عليّ.

وقد اجتهد أحد الباحثين لحل هذا الإشكال ، فبعدما ناقش رواية الداعي إدريس وسماها "الرواية الفاطمية "، ورواية ابن الأثير وأطلق عليها " الرواية المغربية"،تقدم برأي حاول من خلاله التوفيق بين الروايتين المتناقضتين،فبيّن أنّ عليّ بن حمدون لقي حتفه في خضم مواجهته لثورة أبي يزيد،ثم تولى الحسن بن عليّ المواجهات [4] مع جيش أبي يزيد،والتي انتهت باستيلائه على مدينتي تجيس

---

1 يطلق على الموضع اسم "قافلة. ينظر المصدر نفسه،ص335.
2 نفسه، صص 335،336.
3 نفسه،صص336،337.
4 وتشمل هذه المواجهات المعارك التي و قعت في ضواحي تونس،ومعركة بلطة وحشد الكتاميين،ثم الاستيلاء على تيجس وباغاية.الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ص52، الإحالة رقم41.

وباغاية[1]. ومن ثم فالباحث ينحاز إلى رواية الداعي إدريس والتي تؤكد أن القائد الذي خاض المعارك مع أبي يزيد وابنه أيوب وحقق انتصارات عليهما هو الحسن بن عليّ الكلبي[2].

ولعل ممّا يرجح رواية إدريس القرشي أنّها تتميز عن رواية ابن الأثير بانسجام أحداثها وتسلسها ومنطقيتها،بينما نجد ثغرات في رواية ابن الأثير واضطراب في تسلسل أحداثها ممّا قد يغنينا عن محاولة التوفيق بينهما. فمثلا ما ورد فيها من هروب عليّ بن حمدون في قلة من أصحابه بعد تعرضه لهجوم مباغت من أيوب بن أبي يزيد. فلا نجدها تحدد المكان الذي هرب إليه عليّ ،ولا كيف استطاع أن يستعيد قوته وينتصر على جيوش أيوب.ثم ذكرت أن عليّ بعد خوضه معركة مع أيوب في بلطة تحصن بمدينةٍ.فما هي هذه المدينة. فهل هي مدينة باجة، على أساس أن بلطة تقع في نواحيها؟ ولكن هذه المدينة في قبضة أيوب.فربما تكون مدينة المسيلة. ولكن هذه المدينة بعيدة عن الموضع الذي حدثت فيه المواجهات بين الفريقين.وسياق الرواية نفسه يشير إلى أن هذه المدينة بالقرب من بلطة. ولعل ما يُقوي رواية الداعي إدريس ما يذهب إليه بعض الباحثين من أن رواية ابن الأثير هي اقتباس من مصدر إسماعيليّ مفقود ومعاصر للأحداث ،وربما قد يكون من تأليف القاضي النعمان،والراجح أنّ الداعي إدريس قام بنقله في كتابه "عيون الأخبار" [3].وبالتالي يظهر أن رواية إدريس القرشي هي الأقرب إلى الحقيقة التاريخية،لما تتميز به من الانسجام والتسلسل في سردها للأحداث.

وعليه ،نستخلص أنّ الأمير عليّ بن حمدون هو أول من ولاّه الفاطميون إقليم الزاب[4]،واتخذ المسيلة عاصمة لإمارته بعدما بناها وعمرها وحصنها.وقد بذل مجهودات كبيرة في إخضاع القبائل الثائرة بهذا الإقليم،وتطويعها للدولة الفاطمية،وأنه كان حريصا على طاعة الفاطميين وإظهار التبعية والولاء لهم مذهبيا وسياسيا،وقد برهن على ذلك في النشاط العسكري الذي قام به لمواجهة أبي يزيد،و حشده للقبائل والجند من أجل نجدة خليفته القائم،ثم إنّه بذل حياته في سبيل القضاء على هذه الثورة،فمات بتلك الطريقة الكارثية عن عمر يناهز خمس وستين

---

1 المرجع نفسه،ج1،ص52.

2 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص337،الإحالة رقم207.ويرى فورنال أن الحملة التي نسبها ابن الأثير وابن خلدون إلى علي بن حمدون ربما قام بها القائد الفاطمي المشرف على حامية تونس الحسن بن عليّ الكلبي، وهو بذلك يرجح رواية الداعي إدريس.الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص50،الإحالة رقم35.

3 يرى إحسان عباس أن ابن الأثير لخص هذا المصدر الإسماعيلي بلباقة،حاذفا منه الأشعار والتفصيلات والخطب والرسائل، وأيضا لاحظ الدشراوي أن كل من الرقيق مؤرخ الدولة الصنهاجية وابن الأثير وابن خلدون قد اقتبسوا من هذا التصنيف الفاطمي الإسماعيليّ والذي نجد أصله في كتاب "عيون الأخبار" .إحسان عباس،مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد.مجلة الأصالة،العدد 61/60،شهر رمضان-شوال 1398هـ/أوت- سبتمر 1978،ص77.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص248.

4 الأعلام، الزركلي،ج4،ص282.

سنة [1].وبسبب هذه الخدمة والإخلاص الذي أظهره في ولايته وتضحياته كافأته الدولة الفاطمية بتولية ولده جعفر على المسيلة وإقليم الزاب.وهذا يفضي إلى الحديث عنه ،واستكشاف أهم إنجازاته وأعماله وسمات عهده سياسيا وعسكريا .

4_ الإمارة على عهد جعفر بن عليّ بن حمدون:

تولى جعفر ولاية المسيلة وإقليم الزاب [2] بعد وفاة أبيه عليّ سنة 334هـ/931مـ[3]،وقد سبق له وأن مارس شؤون الحكم بهذه الولاية في عهد أبيه ،الذي كان يستخلفه عند ذهابه إلى المهدية وبقائه في رفقة الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله[4].

ولعل أبرز حدث وقع في ولاية جعفر بن عليّ هو التجاء الثائر أبي يزيد الخارجي إلى إقليم الزاب، والتحصن بجبال الحضنة القريبة من المسيلة وسط آخر أنصاره من البربر الخوارج [5].وهذا قد حوّل هذه المدينة إلى قاعدة للعمليات الحربية،ومقر للخليفة الفاطمي المنصور،يتخذ فيها القرارات العسكرية والسياسية، ويستقبل الوفود، ويعقد التحالفات، ولتكون في الوقت نفسه منطلقا إلى تاهرت. وهذا ما سنلاحظه بوضوح من خلال تتبع مطاردة المنصور لأبي يزيد ومحاصرته بإقليم الزاب، وبالتحديد بالمنطقة القريبة من مدينة المسيلة .

فالخليفة الفاطمي القائم بأمر الله ،لم يستمر طويلا في كفاحه ضد الثائر أبي يزيد،إذ فاجأه الموت يوم 13 شوال[6] 334هـ/18 ماي 946مـ،وقد ترك أبا يزيد يحاصر سوسة[7]. إلاّ أن وليّ عهده المنصور الذي كتم خبر وفاة والده،قد استطاع فك الحصار عن سوسة[8]،والدخول إلى القيروان[9] يوم 24 24 شوال 334هـ/ 946مـ[1]. ثم حدث بينهما قتال شديد ، وإثر معركة

---

1 لأنّ ولادته كانت سنة 269هـ/883مـ. الفصل الأول:أصل بني حمدون ودخولهم إلى المغرب.

2 و يفهم من عبارة لابن أبي دينار أن إقليم الزاب لم يكن في ولاية عليّ بن حمدون ،و بعد وفاته ،"انضاف إلى جعفر عمل الزاب من بلاد المغرب".ابن أبي دينار، المؤنس،ص74.

3 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.

4 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص34.

Carles-andré Julien ,Histoire de l’afrique du nord, P46_5

6 وعند ابن الأثير والمقريزي: شهر رمضان.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص196.المقريزي،إتعاظ الحنفا،ج1،ص82.

7الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،صص 336،337،345.ابن الأثير،الكامل،ج 7،صص 196،197.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص 54،55.ج7،ص22. المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،صص81،82.

8 عند ابن الأثير والمقريزي:أنه سار إليها في 23(لسبع بقين)من شوال 334هـ/جوان 946مـ.ابن الأثير، الكامل،ج7،ص197.المقريزي،إتعاظ الحنفا،ج1،ص82.وعند الداعي إدريس:أنه خرج إليها يوم الأربعاء 24(لست بقين) من شوال 334هـ.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص347.

9 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين ، من ص 348 إلى 359.ابن الأثير،الكامل،ج 7،ص197.ابن

حاسمة[2]،و في 13 محرم 335هـ/15 أوت 946م[3]حقق المنصور نصرا ساحقا على أبي يزيد وأجبره على الهروب إلى الغرب، وبالتحديد إلى داخل إقليم الزاب،فما بقي له إلاّ أن يلاحقه هناك[4].

وأعد المنصور نفسه لمطاردة أبي يزيد،فرحل لطلبه في ربيع الأول 335هـ /أكتوبر- نوفمبر 946هـ، وصار يلاحقه في كل مكان يحل به ،فنزل إلى مدينة سبيبة ثم إلى موضع بالقرب من مرماجنّة،فلما علم بحصار أبي يزيد لمدينة باغاية التي امتنع سكانها من فتح أبوابها له أسرع إليه،فلما اقترب منه هرب، واستقبل أهل باغاية المنصور فشكرهم ،ثم وصلته الأخبار أن أبا يزيد موجود بناحية طبنة ولا يعرف أين يتوجه.فرحل في شهر ربيع الآخر سنة 335هـ/نوفمبر 946مـ إلى مدينة نقاوس. ثم خرج إلى مدينة طبنة لمقاتلة أبي يزيد المحاصر لهذه المدينة،ولكنه لما شعر بقرب جيش المنصور منه هرب إلى ناحية الرمال. ودخل المنصور إلى طبنة ولقي ترحيبا من أهلها،وبقي فيها ثلاثة أيام [5]،وجاءه رسل محمد بن خزر أمير مغراوة المتحالف مع أبي يزيد،فطلب منه الأمان والتعاون معه فأمنه[6].

ثم خرج المنصور من طبنة لملاحقة أبي يزيد في شهر جمادى الأولى335هـ /آخر نوفمبر 946مـ قاصدا بسكرة، فمر بمدينة قسطيلية[7] وأقام

حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص 62.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 4،ص55.ج7،ص22.المقريزي،إتعاظ الحنفا،ج 1،ص82.الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص53.

1 المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج 1،ص82.وعند الداعي إدريس أن المنصور " سار إلى القيروان ونزل بظاهرها يوم الخميس 25(لخمس بقين)من شوال سنة 334هـ/جوان 946مـ" . الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص 359 .

2 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،من ص 359 إلى 377.ابن الأثير،الكامل،ج 7،صص 198،199.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص55،56.ج7،ص22.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،صص82،83.

3 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص 376.منصور العزيزي الجوذري ،سيرة الأستاذ جُوذر،ص46.

4 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص 377،386.ابن الأثير،الكامل،ج 7،ص199.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.ج7،ص22.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص83.محمد بن عميرة،دور زناتة،ص210.

5 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص 386،387،389،390،391. ابن الأثير،الكامل،ج 7،ص199.ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص 64.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.ج7،ص22. المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص83.

6 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.ج7،ص22.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص199.

7 ذكر محمد اليعلاوي محقق كتاب "عيون الأخبار" أن "قسطيلية هذه غير قسطيلية الجريد التونسي.وقد عمل شتارنStern ...على تحقيق موضعها ،فافترض أنه موقع قرية "ميزرفلتا Mesarfelta" الأثرية بين طبنة وبسكرة".الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص391،الإحالة رقم 81.

بها.و به ذه المدينة ج اءه جعفر بن علي بن حم دون ع امل مسيلة وإقليم الزاب[1]

بهدايا من الخيل و الإبل وغيرها [2]،و سلّم له رجلا أثار فتنة سياسية ودينية في الأوراس [3] وتَسمّى بالناصر لدين الله و ادّعى النبوة [4]،وزعم أنه الإمام القائم بالحق[5]،و أتى بأعمال استمال بها العامة [6] وجند حوله قبائل كثيرة من زواوة وصنهاجة وعجيسة،وقد كان غلاما أمرد جميلا،من أهل القيروان من أبناء الصاغة،وكان ينظر في كتب الصوفية ويقرؤها [7]،وقد احتال عليه جعفر حتى استطاع أن يقبض عليه [8] بإحدى الحصون المجاورة للأوراس، ومعه أربعة من أتباعه[9] .فقام المنصور بعد أن تسلمه من جعفر بتعذيبه عذابا قاسيا ثم قتله[10].

ثم سار المنصور إلى بسكرة ليطارد الثائر أبي يزيد ، والذي التجأ إلى جبل سالآت حيث يستقر به قبائل بربرية خارجية ،و بسبب صعوبة الطريق ووعورته توقف عن مواصلة السير إلى جبل سالات [11]، وعاد إلى طبنة لينطلق منها في 12 جمادى الأولى 335/ديسمبر 946مـ قاصدا أبا يزيد حيث كان بين الأوعار والجبال وقد تحصن بموضع يعرف "بعين السودان"[12].

و لما وصل المنصور إلى هذا المكان تفاجأ بهجوم من أبي يزيد ، فأسرع إلى تعبئة جيشه ، فقسمه إلى ميمنة وميسرة وقلب، وقد كان جعفر بن عليّ حاضرا في هذا الجيش وكان على الميمنة مع قبائل من كتامة ،واشتبك الفريقان

---

1 الداعي إدريس،تاريخ الخفاء الفاطميين،ص 391.عند ابن خلدون أن جعفرا بن عليّ التقى بالمنصور في مدينة طبنة.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص22.

2 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص391.وعند ابن خلدون:أن جعفرا أعطى للمنصور الأموال والهدايا.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج7،ص22.وعند ابن حماد الصنهاجي : أنه أهدى للمنصور خمسة وعشرين فرسا ومثلها نجباء وفأرة شريفة موجهة(أي وعاء المسك على نوع واحد).ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص65.

3 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص 391.وذكر ابن حماد أن جعفرا بعث رسالة إلى المنصور وهو بطبنة يخبره بالقبض على الثائر .و بعدما غادر المنصور هذه المدينة التحق به جعفر وسلمه هذا الثائر.ابن حماد الصنهاجي، أخبار بني عبيد،صص 64،65.الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص53.

4 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص391،392.

5 ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص65.

6 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص392.

7 ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص65.

8 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين ،ص392.

9 ابن حماد، أخبار بني عبيد،ص65.

10 المصدر نفسه،صص65،66. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص392.

11 الداعي إدريس، المصدر السابق،ص392.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.ج7،ص22.

12 عين السودان:جعلها ابن حماد بين جبال كيانة، أي جبال الحضنة ، وعرّف الواقعة بهذا الاسم "وكانت.. على أبي يزيد هزيمة عظيمة بموضع يعرف بعين السودان)الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص393، الإحالة رقم 86.ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص68.

واشتد القتال،وانتهت المعركة بانتصار المنصور وهروب أبي يزيد إلى جبل سالاّت[1].

وبعد هذا النصر، تحرك المنصور بجيشه إلى **مدينة المسيلة** [2] في يوم الخميس 14 جمادى الأولى 335هـ / 10 ديسمبر 946مـ .فدخلها واستقبله أهلها ورحبوا به وأخبروه أن أبا يزيد مر عليهم يريد بني برزال بجبل سالاّت. [3]واتخذ المنصور هذه المدينة مقره الدائم ،يضع فيها الخطط لمحاربة أبي يزيد ويلتقي الوفود ويعقد التحالفات ، ويعود إليها كلما احتاج إلى الزاد والراحة والتحصن. "فأقام بها أياما... ففرق فيها من الأموال وسدد من الأحوال وجند من الجنود وعبأ من العساكر وجهز من الجيوش"[4] .وكان أول من قدم إليه بها ،يعقوب بن محمد بن بن خزر في 10 جمادى الأولى 335هـ / 16 ديسمبر 946مـ ليدخل في طاعته، فاستقبله و أكرمه[5].

وقام أبو يزيد بتجميع صفوفه ،و حشد حوله جماعة كثيرة من بني كملان وبني برزال، وهوارة الغدير، وتحصنوا إلى كيانة وعقار وهما جبلان منيعان ، وتجهزوا للقتال،وقد كان المنصور قد خرج بجيشه من المسيلة يتتبع أثر أبي يزيد ،فعسكر بالقرب منه. وخاض الفريقان معركة انتهت بهروب أبي يزيد وعاد المنصور إلى مدينة المسيلة منتصرا، ممّا دفع قبائل تلك الجهة بالمجيء إليه و تقديم فروض الطاعة والولاء له [6].

ثم عاود المنصور مطاردته لأبي يزيد، فخرج إليه بجبل سالاّت وتوغل فيه متتبعا أثره سالكا طرقا صعبة ، فتسبب هذا في الإضرار بجيشه، ولم يتمكن من القبض على أبي يزيد ، فاتجه إلى بلاد صنهاجة، وأقام بحائط حمزة [7]، وهنا التقى بزيري بن مناد ،وأكرمه،ثم سار إلى موضع يقال له ولغلغ [8].فبقي به أياما يتداوى من مرض أصابه.فسارع أبو يزيد إلى بني برزال بجبل سالات وبعث إلى هوارة الغدير، ليعلمهم أن المنصور قد سار إلى تاهرت يريد سجلماسة.وبالتالي فالفرصة سانحة للاستيلاء على مدينة المسيلة والسيطرة عليها.فاجتمع له قبائل كثيرة، و

---

1 ينظر الداعي إدريس،المصدر السابق، من ص 393 إلى ص 396. ابن الأثير، الكامل، ج7،ص199.ابن حماد، المصدر السابق،ص86.

2 عند ابن حماد أن دخول المنصور إلى مسيلة كان قبل معركة"عين السودان".ابن حماد،المصدر السابق،صص67،68.

3 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص 396. ابن الأثير، الكامل،ج 7،ص199.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص295.

4 ابن حماد الصنهاجي، أخبار بني عبيد،ص67.

5 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص397. ابن حماد، أخبار بني عبيد،ص68.

6 ينظر الداعي إدريس، المصدر السابق، صص 399،400،402،403.

7 عند ابن الأثير: قرية دمره.ابن الأثير، الكامل،ج7،ص199.

8 عند ابن حماد:وادي لعلع .ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص69.

زحف بهم إلى هذه المدينة [1]، ومن غير المستبعد أنّها كانت بين يدي عاملها جعفر بن عليّ[2].

وعلم المنصور بالخطر الذي يتهدد المسيلة،فأسرع بجيشه إليها،فوصلها يوم 5 رجب 335هـ/30 جانفي 967مـ .فما كان من أبي يزيد إلاّ أن فك الحصار عنها، و أراد أن يرتحل إلى بلد السودان، ولكن أتباعه من بني كملان وهوارة رفضوا مرافقته، و أشاروا عليه باللجوء إلى جبال عقار ويتحصن بها.فدخلها و اتخذها مقره للقيام بهجمات خاطفة انطلاقا من مدينة أزبة القريبة من مسيلة على عساكر المنصور[3].

خرج المنصور من المسيلة لمواجهة أبي يزيد و للحد من هجماته، ثم سار إلى مدينة أزبة ،وتمكن من تحقيق نصر على أبي يزيد ودفعه مرة أخرى إلى الهروب والتحصن بالجبال[4].ثم عاد إلى **مدينة المسيلة** ، وقد أتته العساكر من كل جهة،و شرع يعد نفسه لمعركة فاصلة مع الثائر أبي يزيد و يجمع الأخبار عن تحركاته، فعرف أنه تحصن بموضع من جبل عقار تحت قلعة شاكر وهي متصلة بقلعة كيّانة[5]، وقد اجتمع إليه جماعات كثيرة من إباضية ، وتحصنوا بجبال كيانة،فخرج المنصور من المسيلة في شهر رمضان 335هـ / مارس947مـ في جيش كثير العدد ، فنزل بموضع يقال له " **قلعة الحجارة** "[6] بالقرب من معسكر أبي يزيد[7].

ثم سار لقتاله وملاحقته بين الجبال، وقد تمكن من إلحاق الهزيمة به،ومطاردته ، فدفعه إلى التحصن بقلعة كيانة .فاستمر المنصور في محاصرته والتضييق عليه ،وأخضع أتباعه بقلعة شاكر [8] وقلعة عقار.وصار القتال يدور حول

---

1 ينظر الداعي إدريس ، تاريخ الخلفاء الفاطميين،من ص 403 إلى ص 406. ابن الأثير،الكامل،ج7،صص 199،200.ابن حماد،أخبار بني عبيد،صص 68،69،70.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص 84.

2 الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص55.

3 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص407. ابن الأثير، الكامل،ج7،ص200.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.

4 الداعي إدريس،المصدر السابق،صص 408،409.المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج 1،ص84.وابن حماد ذكر وقعة "فحص باتنة" وباتنة عنده اسم لمدينة أزبة القديمة،و ذكر أن هذه الوقعة تعرف "بيوم الرؤوس".ابن حماد،ص 71.

5 عند ابن الأثير و ابن خلدون والمقريزي:قلعة كتامة.ابن الأثير، الكامل،ج7،ص200.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص85.عند ابن حماد:قلعة كياتة،وعرّفها بأنها تاقربوست المطلة على قلعة حماد. ابن حماد.أخبار بني عبيد،ص72.

6وقد حدد ابن حماد موضعا آخر حينما أخبرنا أنّ المنصور"نزل بموضع يعرف بالناظور، وهو موضع معروف بأروسن من جنات القلعة." ابن حماد، أخبار بني عبيد،ص72.ويرى محمد اليعلاوي أنّ ابن حماد يقصد "قلعة قومه،و كان من معالمها قصر "العروسان" الذي قد يكون اسمه اتخذ من اسم "أروسن"... ولعل قلعة الحجارة هي الناظور." الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص412، الإحالة رقم 122.

7 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين، من ص408 إلى 412.

8 قلعة شاكر:ذكر ابن حماد أن اسمها تناكر ويطلق عليها البربر شيكر. ابن حماد ،أخبار بني عبيد،ص73.

حول قلعة كيانة وبعد محاولات عديدة لاختراقها، تمكن المنصور في الأخير من القبض على أبي يزيد وأسره[1]،وبالتالي وضع نهاية لثورته الطويلة، وذلك في شهر محرم 336هـ/ أوت 947مـ[2].

وبعد هذا النصر الكبير عاد المنصور إلى مدينة المسيلة ،فأقام بها سبعة عشر يوما،استقبل فيها عساكر كتامة،وجاءته بنو كملان يطلبون العفو والأمان فأمنهم[3].ثم رحل إلى تيهرت لضبط الوضع بها[4]،ثم عاد إلى **المسيلة** في شهر ربيع ربيع الأول سنة 336هـ/نوفمبر 974مـ .فلم يبق بها طويلا،وخرج منها راجعا إلى مدينته المنصورية[5] بعدما قضى على ثورة أبي يزيد و اطمأن على استقرار الأوضاع بإقليم الزاب، وعقد ولايته لجعفر بن عليّ بن حمدون [6] مكافأة له على ولائه وخدمته للدولة الفاطمية وما بذله في القضاء على ثورة أبي يزيد وعلى كل متمرد وثائر بمنطقته.

ومن غير المستبعد أن جعفر بن عليّ كان حاضرا في الجيش الذي كان محاصرا لقلعة كيانة[7] وإن لم يرد ذكره في الروايات التاريخية. وكان له دور هام في مساندة الجيوش الفاطمية القادمة من المهدية،وتسهيل مهمتها في القضاء على الثائر الخارجي، وهذا بصفته حاكما لهذا الإقليم، وعارفا أكثر من غيره بقبائل هذا الإقليم وطبيعته ،ونقاط القوة والضعف فيه .

وما لبث أن توفي المنصور في سنة 341هـ/953مـ،فاعتلى ابنه المعز لدين الله سدة الحكم[8]. ومن غير المستبعد أن عامله جعفر بن عليّ بإقليم الزاب كان لـه في عهده إنجازات عسكرية وسياسية ،وعلى الأخص مقاومة التمرد الذي هدّد الخلافة الفاطمية[9].ولعل الإشارة الوحيدة عن نشاط جعفر بن عليّ العسكري في عهد المعز، ما ذكره ابن خلدون من أنه شارك في الحملة الكبرى التي قادها القائد

---

1 مات بعد أسره باربعة أيام .ابن أبي دينار،المُؤنس في اخبار إفريقية وتونس،ص61.

2 ينظر الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، من ص 412 إلى ص 438. ابن الأثير، الكامل،ج 7،صص 200،201.ابن حماد،أخبار بني عبيد،من ص 72 إلى 76.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص56،57.ج7،صص22،23.

3 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،ص 462. ،ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص22.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص85.

4 بسبب انفصال أميرها المكناسي حميد بن يلصتين أو زليطن عن الفاطميين.ابن خلدون،ج،ص. الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص57.

5 الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص 463،467. ابن حماد،أخبار بني عبيد،ص 77.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص57،58.

6 ابن خلدون، المصدر السابق، ج4،ص108.

7 محمد طه الحاجري،مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية.بيروت:دار النهضة العربية،ط1،سنة 1983،ص95.

8 الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين،صص511،523.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص58.

9 محمد طه الحاجري،مرحلة التشيع في المغرب،ص95.

جوهر [1] إلى المغرب الأقصى لبسط السيطرة الفاطمية عليه وتخليصه من النفوذ الأموي و ذلك في سنة 347هـ/24 أفريل- 22 ماي 958مـ[2]، ولكن هذه الرواية لم توضح دور جعفر في هذه الحملة [3].وهناك إشارة عند ابن حيان تفيد أن أحد أولاد جعفر وهو إبراهيم كان ضمن الحملة العسكرية التي سيّرها الخليفة الفاطمي المعز لفتح مصر بقيادة القائد جوهر سنة 358هـ[4]/965-966مـ.وممّا لا شك فيه فإنّ فإنّ جعفرا استمر في إظهار ولائه للدولة الفاطمية والمسارعة إلى خدمتها بعد أن تولى المعز الخلافة.

بل نجد أنّ جعفر بن عليّ كان رفيع المنزلة عند خليفته المعز،كما كانت علاقته به قوية ومتينة ومميّزة،وقد وصلت المودة بينهما مبلغا عظيما إلى درجة إهداء المعز فرسه المحببة إلى جعفر[5]. ولا ريب أنّ العلاقة الخاصة والمتميزة بين بين الخليفة الفاطمي وعامله على المسيلة يعود سببها إلى صلة القرابة التي تربطهما،فكلاهما كما ذكر ابن خلدون أخوان من الرضاعة [6]، ومن غير المستبعد أنهما تربيا ونشأ معا في مكان واحد.بالإضافة إلى ما كان يبديه المعز من إعجاب وتقدير لكفاءة جعفر القيادية ونجاحه في ضبط شؤون ولايته بإقليم الزاب[7].

---

1 القائد جوهر:هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله الرومي القائد المعزي المعروف بالكاتب، باني مدينة "القاهرة" والجامع "الأزهر" كان من موالي الخليفة الفاطمي وسيره من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الاخشيدي، فدخلها سنة 358 هـ.وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها.ومكث بها حاكما مطلقا إلى أن قدم مولاه المعز سنة 362 هـ فحل المعز محله، وصار هو من عظماء القواد في دولته وما بعدها، إلى أن توفي بالقاهرة سنة 381هـ/992مـ. كان كثير الإحسان، شجاعا،ولم يبق في مصر شاعر إلا رثاه.وكان بناؤه القاهرة سنة 358 هـ وسماها (المنصورية) حتى قدم المعز فسماها "القاهرة"وفرغ من بناء"الأزهر" في رمضان 361 هـ. ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج 1،ص375. ابن تغري بردى،جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،مصر:مؤسسة مصر:المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،دون تاريخ،ج 4،ص28.الزركلي، الأعلام،ج2،ص148.علي إبراهيم حسن،تاريخ جوهر الصقلي،قائد المعز لدين الله الفاطمي.القاهرة:مكتبة النهضة المصرية،ط2،سنة1963.

2 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 4،ص59.الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص59.الدشراوي، الدولة الفاطمية بالمغرب،صص342،343.

3 الجدير بالملاحظة أن الروايات التاريخية قد أبرزت وبتفصيل لافت للانتباه دور زيري بن مناد في هذه الحملة الكبرى،فقد كان وراء انتصار هذه الحملة في الاستيلاء على مدينة فاس ،وفي مطاردة الزناتيين بتيهرت.بينما لا نجد هذه الروايات تشير إلى أيّ إنجاز ولو كان صغيرا لأمير الزاب جعفر بن عليّ في الحملة،فهل تعمدت هذه الروايات طمس أي دور لجعفر بن عليّ بسبب انقلابه على الفاطميين وعداوته لبني زيري الصنهاجيين ؟أم أنّ هذا الأمير فعلا لم يكن له دور يُذكر في هذه الحملة؟.ينظر ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص59،60.ج6،ص204.

4 ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص53،70.

5 المصدر نفسه،صص35،36. الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص353.

6 محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص 86.الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص47.

7 أبو علي منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص129.أحمد خالد،ابن هانئ،ص23. المهدي بو عبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص145.

ولكن ما لبثت هذه العلاقة الودية والوثيقة بين الخليفة المعز وعامله على المسيلة والزاب تسوء وتتدهور حتى انتهت إلى القطيعة التي لارجعة بعدها.ويلاحظ أن هذا التدهور في العلاقة قد تبدى في ناحيتين:الأولى في الناحية المالية،حيث لاحظ جوذر خادم المعز ،أن عمال الفاطميين بـأقاليم المغرب،كانوا يرسلون إلى خزينة الدولة الفاطمية كميات من أموال الجباية، تفوق وتزيد على ما كان يقدمه جعفر بن عليّ عامل المسيلة وإقليم الزاب، رغم أن إقليمه الذي يديره من أوسع الأقاليم وأغناها في إفريقية والمغرب ، ممّا جعله يرفع شكوى ضد هذا العامل إلى الخليفة الفاطمي المعز،ويخبره أن البلد الذي يحكمه جعفر " كثر القول فيه.."[1]بسبب ما كان يرسله من أموال قليلة وناقصة إلى خزينة الدولة،إذا قورنت بما كان يدفعه العمال الآخر ون[2].وطالب الخليفة المعز بأن لا يطلق يد جعفر في هذا البلد، ليتصرف بأمواله كما يشاء، وذكر له أن" الواجب عقده على من طلبه،ولايذهب مال مولانا خسارة.."[3].

ويبدو أنّ جعفرا قد وصلته رسالة من الخليفة ،تتضمن الاستفسار عن زيادة عمال الولايات عنه في أموال الجباية،وهو في بلد يعتبر من أكبر الأقاليم بالمغرب وأغناها.فرد عليه بجواب،يدافع فيه عن نفسه، ويصف دخل البلد،وأن الزيادة التي ذُكر أنّه أنقصها من الأموال التي يرسلها إلى خزينة الدولة ليست كبيرة وأنها تافهة ويسيرة [4].

ولكن المعز الفاطمي ظهر عليه عدم الاقتناع بالردود ،التي قدمها جعفر بن عليّ في جوابه،فقد خاطب خادمه جوذر حول هذا الأمر قائلا:"ياجوذر !وقفنا على كتاب جعفر، والله ما أدري ما أقول في ذلك، لكن محلك من أنفسنا وموضعك من رضانا يمنعنا أن نطوي عنك ما عندنا سرا وجهرا...والبلد الذي هو به فو الله الذي لاإله إلا هو لقد بذل لنا فيه جماعة من الأولياء والعبيد سبعين ألف دينار في السنة وأقل وأكثر،فرفضنا أقوالهم ولم نغير نعمتنا عنده ضنًا منا به بأنه يفي بدون ذلك."[5] وقد بيّن المعز لخادمه جوذر في جوابه هذا، أنه سوف لن يسلط عقوبة على جعفر ،ويبقيه على ولايته، لأنه كما قال:"وجعفر فقد علم الله رغبتنا في إصلاح أموره وإجرائها على السداد وبقاء النعمة عليه."[6]

ثم ذكر الأسباب التي جعلته يتعامل مع ه بليونة ورفق وصبر،وأرجعها إلى ثلاثة: أولها لأجل الأستاذ جوذر ومكانته في الدولة وما يربطه بجعفر من علاقة وثيقة بصفته مربيه وبمنزلة أبيه،وقد عبر المعز عن ذلك بقوله **:"من أجلك وأنه**

---

1 منصور العزيزي الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص129.
2 الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص354.
3 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص129.
4 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص129.
5 المصدر نفسه،صص 129،130..
6 نفسه،ص129.

منسوب إليك." [1] السبب الثاني من أجل والد جعفر وما قدمه من خدمات:**"وموضعه من رضاء مواليه"** [2] الفاطميين.والسبب الثالث ما كان يتميز به جعفر من كفاءة ومقدرة على الحكم، ومكانته في الدولة،ودوره في مدافعة عدو الفاطميين. فقد اعترف المعز له بهذه المكانة في الدولة بقوله:**"أشدنا بذكره ورفعنا من رتبته وما نعد ما عند ولينا وعدونا."**[3]

وإضافة إلى ذلك ،هناك سببان لم يذكرهما المعز، فالأول يتمثل في علاقة القرابة التي تربطه بجعفر، إذ أنه أخوه من الرضاعة وقد تربيا معا ،وأما السبب الثاني فهو خشية المعز من أن يفقد عاملا كفؤا وقويا وماهرا مثله،فلو أقدم على عزله سيدفعه إلى معاداته و موالاة خصومه الأمويين بالأندلس.

ولأن المعز فضل سياسة الإصلاح مع عامله بمسيلة بدل الاستئصال ، طلب من خادمه جوذر أن يتصل بجعفر قائلا:" اكتب إليه ونبهه وهزّه في ذلك لتستخرج ما عنده وتعرفنا به إن شاء الله" [4].ولكن الأستاذ جوذر أجاب خليفته المعز رافضا أن تكون مكانته في الدولة وقربه من الخليفة سببا في حماية جعفر والدفاع عنه و تغطية أخطائه وتمرده على أسياده ،ولهذا فهو يعبر عن دهشته من ذلك بقوله :"ولكن الذي أذهل عقل عبد مولانا أنه إنما ترك المال لجعفر في هذا لجاه عبده، وما زال مولانا واسع الفضل ، قديم الإحسان على عبده وجماعة أوليائه وعبيده دينا ودنيا. " [5] ثم إنّه يقترح على ا لمعز إزاحة جعفر عن ولايته بسبب تقاعسه عن إمداد الخليفة بالمال اللازم قائلا :"فليعزله مولانا اليوم عن البلد إن أحب ذلك."[6]

ولكن المعز فضل سياسة غض الطرف ومسامحة جعفر والتحلي بالصبر [7]. وقد عبر عن ذلك بقوله:"لكنا نؤثر الصبر ونحمل على أنفسنا من حيث لا نغير نعمة أنعمنا بها على أوليائنا وعبيدنا،فلو طالبوا أنفسهم لنا بمثل ما نطالب به أنفسنا لهم لكانوا السعداء في الدنيا والآخرة، وحسبنا الله ونعم الوكيل." [8] وقد وضح المعز المعز السبب الذي جعله يتعامل مع عامله بمسيلة هذه المعاملة الخاصة، رافضا عزله بقوله:"والذي أشرت في جعفر من عزله فهو غاية أمل حاسديه ونهاية شهوتهم متى فعلنا." [9] وهو يشير بذلك إلى أن جعفر اكان له خصوم و منافسون

---

1 نفسه،ص129.
2 نفسه،ص129.
3 نفسه،ص129.
4 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص130.
5 المصدر نفسه،ص130.
6 نفسه،ص130.
7 الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص354.
8 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص131.
9 المصدر نفسه،ص131.

يتمنون له العزل عن ولايته،وهذا بسبب قربه الشديد من الخليفة الفاطمي ونجاحه في إدارة إقليمه.

وقد كتب جوذر رسالة إلى جعفر يدعوه فيها إلى جمع الأموال بكميات كبيرة وإرسالها إلى خليفته لعله يرضى عنه . ونصحه بأن يبذل جهده في خدمة ولي نعمته المعز،وذّكره بتقصيره وتفريطه في جمع أموال الجباية، وعطف الخليفة عليه . فرد جعفر على هذه الرسالة بجواب يدافع فيها عن نفسه وبيّن أنه كان ضحية أحد الكائدين له [1]،وإنّما أثار هذه المشكلة **"إنما تكلم من عين الحسد"** له،وأن بلده لا يمكن أن يُجمع منه ذلك المقدار الذي ذُكر في الرسالة.ثم ختم جوابه بأنّه سيبذل جهده ويستفرغ طاقته في ترضية الخليفة المعز وجمع ما يستطيع من الأموال وإرسالها إلى خزينة الدولة.و بعث بهذا الجواب إلى الخليفة المعز وإلى جوذر[2].

وردا على رسالة جعفر بن عليّ بعث المعز إليه كتابا بواسطة خادمه جوذر،وقد ضمّن جوابه عتابا ولوما ووعيدا مبطنا ممّا يدل على أن الخليفة منزعج منه ومقتنع أنه مقصر ومفرّط في تعامله معه.فبدأ جوابه بتذكيره " أن الواجب على من كان حاله أن يقابل النعم بالشكر ويجتهد ..وهو يعلم أن والده إنما عظمت حاله وذكرت آثاره ورضي عنه مواليه بما ظهر من سعيه في هذا البلد ومحمود قيامه..."[3] وبعد هذا اللوم الخفيف، يخاطبه ترغيبا وترهيبا،فيكشف له أنه أنه يبطن له الإحسان الأكيد أكثر مما قد يراه في الظاهر،وأنه يريد له الخير ، فلا يدع عليه حجة يحاسب عليها ويطالب بها من تقصير وتفريط [4].ثم يختم جوابه بالتهديد إذا لم يظهر الطاعة التامة لخليفته فإن "سلم والده الذي ارتقى به ... وأبقاه له بعده سلمه إلى الانحطاط ،"[5] و الإبعاد و العزل.

و أما الناحية الأخرى التي تجلى فيها فتور العلاقة بين جعفر وخليفته فهي ذات طابع سياسي، ولعل هذه الناحية كانت أخطر من تصرفه المالي غير المُرضي [6]. وتمثلت في إيوائه لشخص موال للأمويين بالمسيلة، يدعى عثمان بن أمين، فقد وصلت الأخبار إلى جوذر أنّ له علاقة وثيقة ببني أمية،فقد كان يتبادل معهم الرسائل،ويقوم بحركة تشهيرية كبرى ضد الدولة الفاطمية،ورغم ذلك فقد كان الأمير جعفر يرعاه ويقضي حوائجه ،ولم يتحرك لمنعه أومعاقبته.[7]

وقد كلم جوذر الخليفةَ المعز في أمر الرجل الموالي للأمويين ، فرد عليه أنه

---

1 الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص66.
2 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص140،141.
3المصدر نفسه،ص141.
4 نفسه،ص141.
5 نفسه،ص141.
6 الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص354.
7 منصور الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر،ص123.موسى لقبال،دور كتامة،ص379.

على علم بهذا الشخص المعادي للفاطميين وأخبره أنه" يوصف لنا مثل ما بلغك، ويقال له من جعفر أوكد حرمة وأن ابن رماحة لا يقف له في حاجة ويعنى بأسبابه،ورباعه وأملاكه العناية الوكيدة." [1] ،ثم طلب منه ،و بصفته مقربا من جعفر، بمكاتبته ، ليستفسره ويعرف نواياه من استضافته لهذا الشخص غير المرغوب فيه [2] قائلا له"فاكتب إلى جعفر كأنك تسأله عن أمره وخبره،وأن ذلك الذي يبلغك ليذكر لك هو صورة أمره عنده فتستدل بقوله على ما عنده،إن شاء الله"[3].

وللشاعر ابن هانئ الأندلسي قصيدة يشير فيها بوضوح إلى وجود تغلغل أموي في بلاط الأميرجعفر،وهي المتعلقة بهجاء الوهراني كاتب جعفر. ويبدو أن ابن هانئ قال هذه القصيدة بعد أن غادر بلاط جعفر ودخوله في رعاية الخليفة المعز، ويعتقد أحد الباحثين أن تاريخ نظمها يمكن أن يكون في سنة 360هـ/971م،لأن مضمونها يشير إلى ظهور علامات الخلاف والتوتر بين عامل المسيلة وخليفته[4]. ولهذا يمكن أن نفترض أن ابن هانئ جاء إلى المسيلة لزيارة الأمير جعفر في بلاطه، فاعترضه الوهراني كاتب جعفر ومنعه من الدخول عليه، فرد عليه بهذه القصيدة معبرا عن غضبه وسخطه على هذا الكاتب[5].

ومن خلال القصيدة الهجائية يبدو أنّ اسم الوهراني هو أحمد،ويتضح في قول الشاعر[6] [**الخفيف**]:

إنَّ في صدرِ أحمدٍ لبني أحـ ـمدَ قلبًا يَهْمي بسَمٍّ مَدوفِ [7]

و كنية الكاتب الوهراني هي أبو جعفر.غير أنّ الشاعر" يكنّيه استهزاء **"أبا الجعر"** ...مكلفا نفسه عناء وجهدا وتلاعبا بالأسماء والكنى." [8]ولاشك أنّ حذف الفاء من اسم **جعفر**كان يراد به الإمعان في الإذلال، لأنّ **"الجعر"**هو "ما تيّبس في الدبر من العذرة، "[9]والغائط.وهذا ما يفصح عنه البيت الشعري[10] [**الخفيف**]:

---

1 منصور الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر،ص124.
2 الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص65.
3 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص124.
4 محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص64.
5 أحمد خالد،ابن هانئ،ص165.
6 ديوان ابن هانئ الأندلسي،ابن هانئ، ص199.
7 السم المدوف:"دافَ الشيء دوّفًا وأَدافَه.خَلَطه..دُفْتُ الدواء وغيره أي بللتُه بماء أو بغيره،فهو مَدُوفُ و مَدْوُوفٌ."ابن منظور،لسان العرب،مادة(دوف)،نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي شيري.بيروت،لبنان:دار إحياء التراث العربي،ط1،سنة 1408هـ/1988م ج4،ص443.
8 محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسي،ص 104.
9 الجَعْر: "الجَعْرُ ما تَيَبَّسَ في الدبر من العذرة".ابن منظور،لسان العرب،مادة(جعر)،ج2،ص296.
10 ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص198.

زَمَنٌ أنت يا أبا الجَعْرِ فيه لَيْسَ منْ تالدٍ[1] ولا منْ طَرِيفِ[2]

وابن هانئ في هذه القصيدة الهجائية يفضح مكائد هذا الكاتب ومخططه المتمثل في توتير العلاقة بين الأمير جعفر والخليفة الفاطمي، ويدفعه إلى التمرد على الدولة الفاطمية،وموالاة الأمويين بالأندلس،وفي الوقت نفسه يحذر الأمير جعفر منه[**الخفيف**]:

أبقِ لي جعفراً ،أبا جعفرٍ لا تَرْمِ يَومَيْهِ بالنَّآدِ[3] العَسُوفِ[4]

فإذا ما نَعَبْتَ شرّ َنعيبٍ فعلى غيرِ رَبْعهِ المألوفِ

لستُ أخشى إلاّ عليه فكُنْ بالْـ أرْيَحِيّ الرَّؤوفِ جِدَّ رؤوفِ[5]

ويتهم

ابن هانئ هذا الكاتب صراحة بموالاته للأمويين،و أنّه يعمل على بسط نفوذهم في إمارة بني حمدون، كما يشير إلى خطر التغلغل الأموي في بلاط جعفر[**الخفيف**]:

إنَّ في مغرب الخلافةِ داءً ليس يُبرِيه غيرُ أمِّ الحتوفِ

إنَّ فيه لَشُعْبَةَ من بني مر وان تُنْبِي عن كلِّ أمرٍ مَخُوفِ[6]

بل إنّ الشاعر ذهب إلى أنّ خطر الوهراني ليس قاصرا فقط على إمارة جعفر،بل امتد إلى تهديد الخلافة الفاطمية ذاتها.ولهذا نجده يوجه خطابه إلى الخليفة الفاطمي المعز مباشرة،معتبرا نفسه محاميا ومدافعا عن الخلافة،وفاضحا لكل من يحاول النيل منها،وعلى الأخص خصمه الوهراني الذي صار في نظر الشاعر خصما للخليفة الفاطمي عينه[**الخفيف**]:

ليس مستكثرًا لمثلك أنْ يَفْـ ـرِقَ بين الشريفِ والمشروفِ

يا مُعزّ الهُدى !كفانيَ أنّـي لك طَودٌ على أعاديكَ مُـوفِ[7]

ومن خلال هذه الأبيات يحتمل أن يكون هناك صراع خفي في زوايا بلاط جعفر،بين حزب موال للفاطميين ،وحزب موال للأمويين، ومن غير المستبعد أنّ ابن هانئ كان من أصحاب الحزب الفاطمي،ومن الذين يحثون الأمير جعفرا على إبقاء ولائه للفاطميين،وعدم الإصغاء لكاتبه الوهراني الذي كان يتزعم الحزب

---

[1] تالد: "التالد المال القديم الأَصليُّ الذي وُلد عندك وهو نقيض الطارف". ابن منظور،لسان العرب،مادة (تلد)،ج2،ص42.

[2] الطريف: "الطارِفُ من المال المُسْتَحْدثُ وهو خِلافُ التَّالِد".المصدر نفسه،مادة(طرف)،ج8،ص145.

[3] النآد: "النَّآدُ والنَّآدى الدّاهِيةُ". ابن منظور،لسان العرب،مادة (نأد)،ج14،ص5.

[4] العسوف: "العَسْفُ السَّير بغير هداية والأَخْذُ على غير الطريق. لسان ومنه قيل رجل عَسوفٌ إذا لم يَقْصِد الحقِّ".المصدر نفسه،مادة(عسف)،ج9،ص206.

[5] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص199.

[6] المصدر نفسه،ص199.

[7] ديوان ابن هانئ الأندلسي ،ص200.

الأموي المتغلغل في البلاط الحمدوني.وفي الوقت نفسه ربما كان الوهراني يخشى من أن يشوش ابن هانئ على مخططه في ربط إمارة بني حمدون بالخلافة الأموية في الأندلس.ورغم خطورة الأمر الذي أقدم عليه عامل المسيلة من تقريب أعوان بني أمية ،إلا أن المعز لم يقدم على عزله ،وفضل أن يتحلى بالصبر والاجتهاد في الإصلاح ما استطاع[1].

وإذا كان المعز قد أظهر ليونة تجاه عامله المتمرد بالمسيلة ،إلا أنه كان لا يخفي انزعاجه منه،وسوء علاقته معه، ففي إحدى جواباته لخادمه الأستاذ جوذر،وبعدما أثنى على عامله بصقلية الكلبي، صب جام غضبه على جعفر،ونعته بالولد السوء،ووصف رأيه بالفاسد[2].

والملاحظ أن هذا التوتر بين الخليفة الفاطمي وعامله على مسيلة، لم يكن ظاهرا يوم أن تولى المعز الحكم . ويحتمل أن الفتور الذي حدث بينهما كان في فترة قريبة من رحيل المعز إلى مصر ، قد يكون حوالي سنتي 357هـ و358هـ/967-68-69[3].و مما يشير إلى ذلك أن الجوابات التي تضمنت الشكاوي من جعفر بن عليّ في كتاب "سيرة الأستاذ جوذر" ذُكرت في فترة كان المعز يتبادل فيها مع خادمه جوذر رسائل حول الاستعدادات للرحيل إلى مصر[4] .

ويبدو أن السبب الأساسي في توتر العلاقة بين جعفر وخليفته المعز هو ما كان يحظى به مجاوره في الولاية زيري بن مناد عامل أشير من تفضيل وتقريب من الخليفة الفاطمي.وهذا الأمر كان يزعج جعفر ويضايقه [5]،لأنه كان في سباق ومنافسة شديدة مع زيري للتقرب من الدولة الفاطمية وكسب ودها ورضاها و تقديم خدمات كبيرة لها لعله يحصل من وراء هذه الخدمة على ولاية جديدة من ولايات المغرب [6].وقد تسببت هذه المنافسة بينهما والمساماة في الدولة إلى حدوث حدوث محاسدة [7] بينهما و ضغائن في النفوس وعداوة في الصدور [8]، وإحن

---

1 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص124.

2 نفسه،ص132.و أضاف الدشراوي سببا آخر في زوال حظوة جعفر عند خليفته المعز، ويتمثل في أنّه لم يساعد بلكين بن زيري أثناء هجومه المباغت على أمير زناتة محمد بن الخير بن محمد بن خزر سنة 360هـ/ 971مـ ،بسبب تحالف جعفر مع هذا الأمير المغراوي.الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص355.

3 فرحات الدشراوي، المرجع السابق،صص353،354.

4 منصور الجوذوري،سيرة الأستاذ جوذر،صص111،119،141،142.

5 المهدي بو عبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص 145. الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص353.

6 المهدي بو عبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص149. ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

7 ابن الأثير،الكامل،ج7،ص334.

8 النويري أحمد بن عبد الوهاب،تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد.الدار البيضاء:دار النشر المغربية،دون تاريخ،ص308. ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

ومشاجرات [1] واختلافات كثيرة [2].ويتضح من هذا أن الخلاف بينهما ذا طبيعة سياسية في أساسه [3].

ويبدو أن زيري بن مناد نجح في رفع مكانته عند الفاطميين بما يملكه من القوة وكثرة الأتباع.وهذا بفضل المساعدة التي قدمها للخليفة الفاطمي القائم بأمر الله أثناء محاصرة أبي يزيد الخارجي له،حيث أمده بالميرة والأطعمة،ودافع عنه بحيشه.ثم بروزه في مساندة المنصور الفاطمي تموينيا وعسكريا،وهذا أثناء ملاحقة الثائر أبي يزيد الخارجي بإقليم الزاب والقضاء عليه [4].وأيضا عمله على مطاردة الزناتيين الموالين للأمويين بالمغرب الأوسط،وبنا ئ مدينة أشير، لتكون سدا أمام الزحف الزناتي الأموي، وقاعدة عسكرية متقدمة للفاطميين[5] .ثم إنه أظهر أظهر أثناء حملة القائد جوهر الصقلي على المغرب، قدرة عسكرية وجهدا كبيرا في الاستيلاء على مدينة فاس[6].

وبسبب هذه الخدمات الكبيرة التي قدمها زيري بن مناد للفاطميين،جعلت المعز الفاطمي يكرمه ،ويوسع له في ولايته، بأن يضيف له كورة تاهرت وأعمالها في سنة 348هـ[7].و هناك احتمال كبير أنّه بداية من هذا التاريخ شرعت الخلافات تظهر على السطح بين عامل المسيلة وعامل أشير [8]،لأنّ جعفرا لاحظ تقدم زيري عند الخليفة الفاطمي،واتساع ولايته، فساءه ذلك، وزاد من حنقه وغضبه،و حقده على خليفته المعز و بغضه له.[9]

و يبدو أن الطريقة التي اتبعتها الدولة الفاطمية في التعامل مع عمالها في ولاياتهم بأقاليم المغرب هي التي أشعلت نار التنافس بين عامليها بمسيلة وأشير المتجاورين،إذ أنها أعطت لهما سلطات واسعة ونوعا من الاستقلالية ،ومنحت لهما حق توارث الحكم بولايتهما،مما شجع كلا العاملين على التفكير في تأسيس

---

1 ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص360.

2 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص100.

3 المهدي بو عبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص 149. ويرى محمد اليعلاوي أن هذه العداوة القائمة بين أسرة بني حمدون و أسرة الصنهاجية هي صورة وصدى للخصومة القديمة بين زناتة الرّحل وصنهاجة أي ذات طبيعة قبلية.ولكن يبدو أن هذه العداوة بين أسرة عربية وأسرة بربرية كثيرا ما تدعي أنّها من عرب اليمن لا يمكن أن نعزوها إلى الصراع الزناتي الصنهاجي بالدرجة الأولى ،وإن كان لهذا دور في تأجيج الصراع بين الأسرتين،ولعل هذه العدواة كانت ذات طابع سياسي تنافسي أكثر منه ذات طابع عنصري عرقي طبقي.محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص87.

4 ابن الأثير،الكامل،ج 7،ص333.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4،صص53،54،56،57،58.ج6،صص203،204.ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

5 ابن الأثير،المصدر السابق،ج7،ص333.ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،صص2034،204.

6ابن الأثير،المصدر السابق،ج7،ص 334.ابن خلدون،المصدر السابق،ج 4،ص59.ج6،ص204. ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

7ابن خلدون، المصدر السابق،ج4،صص59،60. ابن أبي دينار،المصدر السابق،ص74.

8 الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص353.

9 ابن الأثير، الكامل،ج7،ص34.الدشراوي، الخلافة الفاطمية،ص402.

مملكة خاصة بكل واحد منهما .والظاهر أن طريقة تعامل الفاطميين مع عاملي المسيلة وأشير كان بهدف حماية وتوسيع نفوذه م في إقليم الزاب و المغرب الأوسط ،وصد الخطر الأموي الزناتي.

ولكن الذي حدث هو كثرة الخلافات بين جعفر وزيري إلى درجة اضطر فيها الخليفة الفاطمي لعقد جلسة طارئة للإصلاح بينهما،وقد عُقدت في مكان يسمى بباب الظاهر في جبل الأوراس. وقد انفرد صاحب كتاب "سيرة الأستاذ جوذر" بذكرها[1]،ولكن دون تحديد تاريخ لها.ويرجح الدشراوي أنّها تمت في السنة السنة التي استولى فيها القائد جوهر على مصر،وقبل مقتل محمد بن الخير رئيس زناتة سنة 360هـ[2].ويلاحظ في هذه الجلسة أن المعز أحضر بلكين بن زيري[3]

دون أبيه ليصلح بينه وبين جعفر [4]،ولعل السبب في غياب زيري عن هذه الجلسة يعود إلى أنّ ابنه كان المكلف بقيادة جيش الولاية والقيام بحملات عسكرية لإخماد الثورات بمنطقته ومطاردة زناتة وقتالهم [5].و لأنّ التحركات العسكرية لبلكين بن زيري غالبا ما تكون قريبة من حدود ولاية إقليم الزاب، يصبح أكثر احتكاكا من والده بجعفر بن عليّ،وفي نزاع مباشر معه.

ورواية صاحب" سيرة الأستاذ جوذر" لا توضح ما هي طبيعة الخلافات الخطيرة التي كانت بين جعفر بن عليّ وبلكين بن زيري ،والتي استنفرت الخليفة المعز لإزالتها ممّا يدل على خطورتها،ولكن من المحتمل أنّ بلكين بن زيري تَوغل بجيشه داخل حدود ولاية جعفر بحجة مطاردة الزناتيين،ممّا تسبب في وقوع توتر على حدود الولايتين المتجاورتين تطورت إلى مواجهات عسكرية محدودة بين الجيش الزيري وجيش أمير الزاب، فربما هذا الأمر الخطير المفترض هو الذي دفع الخليفة الفاطمي المعز ليأتي إليهما بنفسه،ويعقد لهما جلسة خاصة لفك النزاع بينهما.

---

1 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،صص 100،101،102.ويرى الهادي روجي إدريس أن هذه الجلسة كانت أساس رواية المقريزي.ولكن يبدو أن هذه الجلسة قد انتهت بالصلح بين الطرفين،أما رواية المقريزي فانتهت بغضب المعز على جعفر ورفض طلبه وتولية بلكين بن زيري على إفريقية والمغرب معا.الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص67،الإحالة رقم 108.

2 الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب ،ص402.

3 بُلُكِّين بالكاف وبضم أوله وثانيه وكسر ثالثه المشدد وسكون يائه.وهو بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي القائد المعروف الذي استخلفه المعز الخليفة الفاطمي على إفريقية والمغرب كلها ماعدا طرابلس وأجدابية وبرقة.وكناه أبا الفتوح، وسماه يوسف عند رحيله إلى مصر سنة 362هـ،و وهو منشئ دولة بني زيري في إفريقية. ينظر ابن عذارى، البيان،ج 1،ص228 ومابعدها. ابن خلدون،ج 6،ص206.ابن خلكان،الوفيات،ج1،ص286. الزركلي،الأعلام،ج2،ص47.

4 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص100.

5 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،ص37.

ولأهمية هذه الجلسة وخطورة القضية التي تناقشها، اختار المعز أن تكون في خلوة ،فمنع أن يحضر معه رجاله وشيوخ دولته .وقد طلب من جوذر الحضور ،بصفته مقربا من جعفر، ولكنه اعتذر لمانع حال بينه وبين ذلك. وبعد جهد ومشقة وحلم وصبر استطاع معالجة هذا النزاع والإصلاح بينهما[1].

وقد بعث جوذر رسالة إلى المعز يعبر فيها عن سروره بما انتهت إليه جلسة الصلح السرية من حسم الاختلاف بينهما ، وما انجر عنها من خير، فرد عليه المعز بجواب يصرح فيه أن نجاح مهمة رأب الصدع بين عامليه بمسيلة وأشير ستفرح كل مناصر للدولة الفاطمية ،وتحزن كل عدو لها، وهذا يدل على أن النزاع الواقع بين عامليه ليس أمرا ثانويا،بل يمس كيان الدولة كلها ووحدتها، والصلح بينهما يعتبر إجراءً إستراتيجيا ومهما.[2]

وكشف المعز لخادمه أن هذه المهمة كانت صعبة جدا،ممّا جعله يتحلى مع المتخاصمين بالحلم والصبر وكظم الغيظ، وأن ذلك ليس ضعفا منه أو احتياجا إليهما، وإنما حفاظا على صلاح الأحوال.ثم طلب منه تقديم النصح لجعفر خاصة، ومطالبته بطاعة الخليفة و بذل نفسه في خدمته،ويحذره من مغبة التمرد عليه . وهذا بسبب ما شاهده في الجلسة من تصرفات صدر ت من جعفر أزعجته وأغضبته،وكادت أن تُفشل عملية الصلح [3].وفي آخر هذا الجواب يختم المعز كلامه بهذه العبارة:"ثم نعود إلى الرجاء فيما عودنا الله إلى أن تم ما رأيناه وبلغك،وإن كان ثم فيه بعض ما فيه لكن عوائد الله عندنا جميلة،وفضله علينا واسع..."[4]،و هذا يشير إلى أن المعز قدم تنازلات للمتخاصمين لإقناعهما بالتصالح وعدم الاختلاف،ولكن دون أن يفصح عنها.

والملاحظ أن النص الذي أورد جلسة الإصلاح بين جعفر ويوسف بن زيري وجواب المعز يكتنفه الغموض وعدم التفصيل،خاصة فيما يتعلق بالأمور المتنازع عليها والإجراءات التي اتخذها المعز الفاطمي للتقريب بين عامليه.

و يبدو أن هذا الصلح بين جعفر وزيري لم يدم طويلا، إذ سرعان ما تجددت النزاعات بينهما،وانتهت إلى الصدام العسكري ثم إلى تخلي جعفر عن إمارته بإقليم الزاب وعن موالاته للفاطميين ورحيله إلى الأندلس واستقراره بها[5].

هذا فيما يتعلق بعلاقات جعفر خارج إمارته، أما في الداخل،فيبدو أنه قد حقق نجاحا كبيرا في ضبط الإقليم الذي يحكمه،فحوّله إلى مملكة صغيرة وجعل منه مركز إشعاع حضاري،إذ ظهر منه في إدارة إقليم الزاب "استقلال

---

1 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص101. روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص66.
2 منصور الجوذري،المصدر السابق،ص101.
3 منصور الجوذري،المصدر السابق،صص101،102.
4 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص102.
5 ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص 35،36،41.بن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.

وضلاعة،ومهارة بخصال من الأدب وبراعة،طار له بها في الناس حديث صار إليه الأفئدة."[1] و أنه "ملك إلى الغاية القصوى والأمد الأقصى" [2]، وأقام سلطانا ودولة واستفحل ملكه [3]، وكان له "رئاسة معروفة ونباهة وعظم شأنه" [4]،و"كبر وشمخ فكان ملكا جليلا" [5]، وكان "يُعد من الملوك" [6]. وقد استطاع أن يخضع أشد القبائل تمردا على الدولة الفاطمية، وأكثرها دعما لثورة أبي يزيد،وهي قبيلة بني برزال الزناتية الخارجية،حيث استقامت في عهده على طاعة الشيعة،بل عقد معها حلفا وصداقة متينة، وصارت من" أهل خصوصيته"،فوقفت معه في المواجهة التي جمعته مع زيري،ورافقته في رحلته إلى الأندلس واستمرت في تحالفها معه[7]. معه[7].

ويلاحظ أنّ النزعة الاستقلالية هي الميزة البارزة في إدارة جعفر لإمارته .ومن مظاهر هذا الاستقلال ،أنه كان يبني القصور والمنتزهات،ويستقبل الشعراء والعلماء ببلاطه،ويعقد التحالفات مع القبائل البربرية الزناتية [8].ويبدو أن هذا "الاستقلال" و هذه"الصلاحيات المطلقة" كانت بإذن وأمر من الدولة الفاطمية،فهي التي اختارت أن تعقد لعاملها على مسيلة نوعا من الإمارة يطلق عليه "إمارة الاستكفاء".ولهذا نجد أن الحرية الممنوحة لجعفر بن عليّ في عمالته كانت محدودة ومقيدة ومراقبة.فقد كان طائعا للدولة الفاطمية ويخطب لها في ولايته[9].

و ممّا يدل أيضا أنّ جعفرا كان مراقبا من الدولة الفاطمية رغم ما يتمتع به من استقلالية متابعة الخليفة المعز لكل ما يحدث بمنطقة عامله على الزاب من خلال جواسيسه المبثوثين في الولايات الفاطمية بالمغرب [10].و كان يقوم بزيارات تفقدية إلى منطقته،وقد ذكر جوذر أنه زار بسكرة التابعة لعمل جعفربن عليّ ،وشرب من عينها[11].بل قد وصل الأمر به استدعاء جعفر بن عليّ إلى جلسة سرية ليحل أزمة وقعت بينه وبين زيري بن مناد عامل أشير [12].ومما يشير إلى أنّ

---

1 ابن حيان،المصدر السابق،ص34.
2 ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص46.
3 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108
4 ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص305.
5 النويري،تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص308.
6 ابن أبي دينار، المؤنس،ص74.
7 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص73. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج2،ص92.
8 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.ج7،ص73.
9 ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.
10 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،ص 124. مرمول محمد الصالح،السياسية الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،سنة 1983،ص201. حسن إبراهيم حسن،طه أحمد شرف، المعز لدين الله،ص152.
11 منصور الجوذري،سيرة الأستاذ جوذر،صص110،111.
12 المصدر نفسه،ص100.

الخليفة الفاطمي كان يُحكم سيطرته على عامله بمسيلة رغم ما يتمتع به من صلاحيات، أنه لما علم بما بدر منه من تصرفات تجاوز بها الحدود المرسومة له،أسرع إلى مراسلته مؤنبا ومعاتبا ومهددا[1]،لكي يُشعره بتبعيته الدائمة للدولة[2].

ورغم أن جعفر بن عليّ كان هو الأمير الحاكم لهذه الإمارة، إلاّ أن الروايات التاريخية تذكر معه دائما أخاه يحيى [3]،وأنه كان يساعده في شؤون الولاية [4] وأيضا وأيضا تشير إلى ابنٍ له اسمه إبراهيم [5].ولكن هذه الروايات لا توضح لنا المهمة السياسية التي كان يمارسها في إمارة أخيه،فهل أسندت له إدارة مدينة من أعمال المسيلة، أم أنه كان إلى جانب أخيه مستشارا أو وزيرا له يساعده في بعض الشؤون الإدارية للإمارة ،وكذلك فإن الروايات التاريخية لا تذكر لا من قريب ولا من بعيد المنصب الذي كان يتولاه إبراهيم بن الأمير جعفر بن عليّ.

وقد تضمن ديوان ابن هانئ الأندلسيّ بعض الإشارات المهمة حول طبيعة العلاقة بين الأخوين جعفر ويحيى،ولعل أهميتها تكمن في أن صاحب الديوان يتميز بقربه الشديد من الأخوين الحمدونيين ،وعمق الصداقة التي كانت تربطه بهما.

فالشاعر يصور علاقة جعفر بأخيه الأصغر يحيى على أنّها علاقة أبوية،فهو بمثابة والده،وهو الذي رباه وتكفل به ورعاه الرعاية التامة.و يُفهم من هذا أن عليّ بن حمدون لمّا قتل سنة 334هـ ترك ابنه يحيى صغيرا ،فقام أخوه جعفر بكفالته وتربيته[**الطويل**]:

قررتَ به عيناً و أنتَ اصطنعتَه — و شِدْتَ له ما شِدْتَ من صالح الذِكر
ولستَ أخاه بل أباه كفلتَه — و آويته في حالةِ العُسْرِ و اليسر[6]

وعلاوة على ذلك ، انتقل الشاعر إلى ذكر صلة يحيى بأخيه جعفر،فيعتبره بمثابة الوزير والمستشار والمعين لأخيه الأكبركما كان هارون مع أخيه موسى عليهما السلام ، وأنّه كان يسنده في الحروب التي خاضها ضد الأعداء[**الطويل**]:

لعمري! لقد أ يّدت َيومَ الوغى به — كما أيّدَت كفّاك بالأنمُل العَشرِ
لذلك ناجى اللّهَ موسى نبيُّه — فنادى:أن اشرح ما يَضيقُ بِهِ صدري
وَهَبْ لي وزيرًا من أخي أستَعِينْ به — وَشُدَّ بَه أزري و أشركْه في أمري[7]

1 نفسه،صص124،129،130،141.
2 حسن إبراهيم حسن،طه أحمد شرف، المعز لدين الله،ص153.
3 ابن حيان، المقتبس،ص 32.ابن عذارى، البيان،ج 2،ص242.ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص46.ابن خلدون،ج4،ص108.ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،صص305،306.
4 ابن حماد الصنهاجي،المصدر السابق،ص 46.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج 4،ص108.محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص86.
5 ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص53،70.
6 ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص148.
7 المصدر نفسه،ص148.

وقد يكون المراد من الأبيات السابقة تذكير الأمير جعفر بتضحيات ومجهودات أخيه يحيى، وأنّه يستحق من جعفر أن يوسع من مشاركته في الحكم،ويتخذه وزيرا له كما كان هارون عليه السلام وزيرا لأخيه موسى عليه السلام[1]. وعلى كل حال ، ففي ذلك إشارة إلى وجود ظاهرة الاشتراك بين الأخوين في إدارة الإمارة،واقتسام المهام فيها.

ثم إنّ الشاعر[2] يذّكر أيضا بدور يحيى الحربي والسياسي في دعم أخيه جعفر ومساعدته على شؤون الإمارة،فكان ينوبه في خوض المعارك ويشير عليه بالرأي و النصيحة[**الطويل**]:

ليالي حُروبٍ شدْتَ فيها لجعفرٍ مآثِر لم يُخْلِفنَه فيك ما رَجا

وكم بِتَّ يَقظانَ الجفونِ مُسهَّدا تُريهِ شُموسَ الرأيِ في غَسَقِ الدُّجى[3]

وعليه يعبر ابن هانئ عن سروره، ويؤكد على قوة العاطفة الأخوية بين الأميرين جعفر ويحيى حينما كان شاهدا على تسلم يحيى هدية من أخيه[**الطويل**]:

حَباكَ بها مَن أنتَ شطرُ فؤادِه وما شَطَرُ شيءٍ بالغنيِّ من الشطط

أخوك فلا عينٌ رأتْ مثلَه أخاً إِذا ما احتبى[4] في مجلس النهيِ النهي والأمر

وقد وقعَتْ منك الهديّةَ إذ أَتَتْ مواقِعَ بردِ الماءِ من غَلَل الصدر[5]

فمِن مَلِكٍ سامٍ إلى ملِكٍ رضىً تهادتْ ومن قَصرٍ مُنيفٍ إلى قَصر[6]

وفي موضع آخر من الديوان، يؤكد الشاعر[7] على الرابطة الأخوية التي تجمع الأميرين مُذكرا جعفرا بأنّه لا يجد مثل أخيه يحيى وأبنائه وفاء وإخلاصا وولاءً له.وكأنه بذلك يدعو الأمير جعفرا بطريقة غير مباشرة إلى تقريب أخيه وإشراكه وأبنائه في الحكم[**الطويل**]:

فما مثلُ يحيى من أخٍ لك تابعٍ؛ ولا كبنيه من جحاجحةٍ زُهْرِ[8]

غيرأنّ الشاعر ابن هانئ يتخوف من تعرض العلاقة بين الأخوين جعفر

---

[1] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص187.
[2] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص65.
[3] المسهَّد: "السُّهادُ الأَرَقُ والسُّهُدُ بضم السين والهاء القليل من النوم وسَهِدَ بالكسر يَسْهَدُ سَهَداً وسُهْداً وسُهاداً لم يَنَمْ ورجل سُهُدٌ قليلُ النوم".ابن منظور،لسان العرب،مادة(سهد)،ج409،ص6.
[4] احتبى:" احْتَبَى بثوبه احْتِباءً والاحْتِباءُ بالثوب الاشتمالُ والاسم الحِبْوَةُ".المصدر نفسه،مادة(حبا)،ج3،ص36.
[5] غلل الصدر:"شدة العطش وحرارته".المصدر نفسه،مادة(غلل)،ج10،ص106.
[6] ديوا ن ابن هانئ الأندلسي،ص147.
[7] المصدر نفسه،ص148.
[8] الجحاجحة:" الجَحْجَحُ السيد السَّمْحُ وقيل الكريم ولا توصف به المرأَة .جمع جَحْجاح وهو السيد الكريم".ابن منظور، لسان العرب،مادة (ججحح) ج2،ص181.

ويحيى إلى التلاشي بسبب كيد الأعداء الساعين إلى التفريق بينهما[**المتقارب**] :

فلولا الضريحُ لنادَتْكُمَا تُعِيذُ كما من شمات العدى[1]

وفيما سبق يبدو الشاعر حريصا على صفاء العلاقة بين الأخوين،وهو إلى جانب ذلك يبرئ يحيى ويدفع التهمة عنه،ولكن دون أن يكشف عنها.وربما كانت وشاية حملَها إلى جعفر أحد الكائدين حينما تواجد يحيى خارج مسيلة[2][**الطويل**]:

أخوك الذي **تحنو عليك** ضلوعُه وما عندَه ممّا علمتَ له عِلم

سوى أن أحسّت ما **بنفسك** نفسُه ودونكما البيداءُ والأجبُلُ الشُمّ[3]

والشاعر لا يتوقف عند حث جعفر ويحيى على الوحدة والتآخي،والوفاء لبعضهما،وإنّما يعبر عن تخوفه من وقوع نزاع بينهما؛ولعله استشعر أمارات الخلاف بينهما تلوح في الأفق ،وخاصة بعد وفاة والدتهما التي كانت تجمعهما وتوحدشملهما.ولم يفصح ابن هانئ عن طبيعة هذا الشقاق.فهل كان منافسة بينهما،أم اختلافا في وجهات النظر؟ أم أن جعفرا كان يحتكر إدارة الإمارة لنفسه ولأبنائه؟[4].المهم أن ابن هانئ خصص في آخر مرثيةٍ والدتهما أبياتاً كلها تأكيد على أهمية الأخوة،و ضرورتها في توطيد العلاقة بينهما[**المتقارب**]:

ومهما طلبتَ دَليلَ الكِرامِ فإنَّ الدليلَ ائتِلافُ الـهَوى

وأنتَ اليَمينُ فصُلْ بالشّمال فما بيَدٍ عن يد ٍمن غنى

ومن لا يُنادي أخاً باسمهِ فليس يُخافُ ولا يُرْتَجَى[5]

إن تذكير الشاعر الدائم لجعفر ويحيى بضرورة توثيق عرى الأخوة بينهما، قد يشير أيضا إلى سوء التفاهم بينهما، وتعرض علاقتهما إلى الضعف والتوتر. وقد يدل إلحاح الشاعر على جعفر بتقريب أخيه يحيى والعطف عليه على أن ابن هانئ يرد على أطراف معينة بالبلاط الحمدوني تعمل جاهدة على إبعاد يحيى عن أخيه جعفر بالوشايات والإشاعات ،و ترى أن بقا ءه بجانب أخيه قد يهدد مصالحه ا.ومن المحتمل كذلك أن يكون المقصود بهذه الأطراف عناصر موالية للأمويين نافذة في البلاط الحمدوني[6]، والتي أكد ابن هانئ على تواجدها و محاولة تأثيرها على الأمير الأمير جعفرنفسه.

والخلاصة من كل ذلك،أن جعفر بن عليّ يعتبر الشخصية البارزة والقوية في تاريخ إمارة بني حمدون.ففي عهده ظهرت قوة هذه الإمارة ،واستقرت

---

[1] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص36.

[2] ينظر محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي،ص188.

[3] ابن هانئ الأندلسي،نقلا عن محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي ،ص188.

[4] محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص60.

[5] ديوان ابن هانيء الأندلسي،ص36.

[6] محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص189.

الأوضاع بها ،مما هيأ ازدهارها حضاريا. وقد أصبحت في عهده أقرب إلى مملكة صغيرة منها إلى ولاية تابعة للدولة الفاطمية،بسبب تلك الصلاحيات المطلقة الممنوحة له من الدولة الفاطمية. فإذا كان والده قد أرسى أسس هذه الإمارة،فإنه قد أكمل بناءها سياسيا وحضاريا،وبرز فيها في صورة السياسي المحنك،والقائد العسكري القوي،والزعيم الذي استطاع أن يستقطب إليه القبائل البربرية والشعراء والعلماء ،ويحصل على رضاهم ومحبتهم ومدحهم.

ومما سبق ،نتبين أنّ أسرة بني حمدون كان لها دور سياسي وعسكري،ومن المهم أن نعاين في الفصل الموالي إسهامها الحضاري.ومن هذه الوجهة يكون من المفيد الوقوف عند الجوانب الاقتصادية والعمرانية والثقافية لإمارة بني حمدون.

الفصل الرابع

الدور الحضـاري لإمـارة بني حمـدون

- ❖ الجوانب الحضارية في إمارة بني حمدون:

1_النشاط الاقتصادي

2_ الجانب العمـراني

3_الـدورالثقـافي

لم يقتصر دورأسرة بني حمدون الأندلسية على تأمين حدود الدولة الفاطمية ،وقمع تمرد قبائل إقليم الزاب,وإنّما تجاوز الوظيفة العسكرية التي كانت تروم إحلال الأمن ،و تعزيز سلطة الخلافة.إذ انصرف الاهتمام إلى المجالات الثقافية،و العمرانية، والاقتصادية،والسعي إلى تحسين أسلوب العيش .وسيبرز لنا هذا بشكل جلي من خلال استكشاف المظاهر الحضارية في هذه الإمارة.

_الجوانب الحضارية في إمارة بني حمدون :

شد الازدهار الحضاري في إمارة بني حمدون انتباه بعض المؤرخين فسجلوا ذلك في كتبهم .فنجد منهم ابن حماد الصنهاجي الذي نوّه بدور عليّ بن حمدون وابنيه في تعمير مدينة المسيلة فذكر أنها وصلت في عهدهم" من العمارة والحضارة" منزلة كبيرة ،وملكوا فيها "إلى الغاية القصوى والأمد الأقصى"[1].ويؤكد ابن خلدون أنهم:" استجدوا بها سلطاناً ودولة،و بنوا القصور والمنتزهات واستفحل بها ملكهم وقصدهم بها العلماء والشعراء"[2].

ولعل اهتمام بني حمدون بالجانب الحضاري في إمارتهم يرجع إلى شخصية عليّ وأبنائه، و إلى تركيبتهم الثقافية في الأساس. ومن غير المستبعد أن يكون حمدون والد عليّ قد تشرب من الرقي الحضاري الأندلسيّ. ثم إنّ أحد أبنائه و هو أبو عبد الله محمد الأندلسيّ عُرف عنه بأنّه كان صاحب معرفة وفهم ،ومارس مهنة التعليم بالموضع الذي استوطنه ببلاد سماتة،بل قد وصل إلى درجة العلماء[3].

ولا شك أنّ عليّا كان مثل أخيه أبي عبد الله الأندلسي محبا للعلم ،وممّا يشهد على ذلك المهمة التي كُلِّف بها في أثناء الحملة العسكرية بقيادة ولي العهد أبي القاسم،إذكانت مهمة عمرانية وحضارية في الأساس.وقد تمثلت في بناء مدينة المسيلة وتحسينها وتحصينها[4].ولاريب أنّ نشأته في أسرة أندلسية شغوفة بالثقافة والعمارة،كان لها عظيم الأثر فيه،فجعلته يهتم بتنشيط مدينته حضاريا وعمرانيا،كما قرّب إليه أهل العلم والأدب وراعاهم.ولا مراء أنّه نتيجة ذلك غرس في ولديه جعفر ويحيى حب العلم وإكرام أهله [5].

ولا جرم أنّ النشاط العمراني والثقافي في إمارة بني حمدون قد برز بقوة وبلغ أوجه في عهد الأمير جعفر بن عليّ متبعا في ذلك سيرة أبيه،فاجتهد في تشييد القصور الفاخرة والمنتزهات الخاصة به و بأفراد أسرته[6]،وقد أكد ابن خلكان و

---

[1] ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص46.

[2] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.

[3] القاضي النعمان،افتتاح الدعوة،ص39.إدريس القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص87.

[4] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص34.ابن حماد الصنهاجي،أخبار بني عبيد،ص46.

[5] محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،سنة 1981،ص60.

[6] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.

الدَّواداري أنّه كان محبا لأهل الأدب و الشعر، فأكرمهم و أجزل لهم العطاء و أغدق عليهم الأموال[1]. وذكر ابن حيان نقلا عن الوراق في وصف جعفر بن عليّ أنّه كان يمتلك قدرة و"مهارة بخصال من الأدب وبراعة،طار له بها في الناس حديث صار إليه الأفئدة"[2].في حين وصفه ابن بسام الشنتريني في ذخيرته أنّه كان "مُنَفّقاً لِسلَعِ الأدب."[3] إذ من شدة اعتنائه بالعلم كانت له مكتبة خاصة به[4].وحوّل مجلسه إلى ندوة ندوة أدبية راقية[5].

و قد لجأ إليه الشاعر ابن هانئ الأندلسي حينما خرج من الأندلس هاربا ، بسبب ما سمع عنه من كرمه واحتفائه بالشعر والشعراء[6].بل نجد أن شهرته في حب حب أهل العلم والأدب وصلت إلى المشرق، فقد بعث إليه الشاعر الصنوبري الشامي[7] قصيدة من حلب يمدحه فيها[8] ، فأرسل إليه جعفر ألف دينار مكافأة له[9].وأما له[9].وأما أخوه يحيى فقد كان على معرفة بقرض الشعر، وقد ذكره ابن الأبار في كتابه " الحلة السيراء"ضمن من نظموا الشعر وبرعوا فيه[10] . ولعل التنشئة الراقية

---

[1] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص360. الدّواداري،كنز الدُّرَر و جامعُ الغُرَر،الدّرة المضِيّة في الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدّين المنجد.القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار،سنة 1380هـ/1961مـ،ج6،ص242.

[2] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص34.

[3] ابن بسَّام أبي الحسن عليّ الشَّنتَرينيّ،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق سالم مصطفى البدري.بيروت:منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،ط1،سنة 1419هـ/1998مـ،ص126.

[4] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي،شاعر الدولة الفاطمية.بيروت:دار الغرب الإسلامي،سنة 1405هـ/1985مـ،ص23.

[5] محمد طه الحاجري،مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية.بيروت:دار النهضة العربية،ط1،سنة 1983،ص15.

[6] الدّواداري،كنز الدُّرَر و جامعُ الغُرَر،الدّرة المضِيّة في الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدّين المنجد.القاهرة،ج6،ص242.

[7] الصنوبري (ت 334 هـ /ت 946 مـ): أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الانطاكي، أبو بكر،المعروف بالصنوبري: شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار.وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة.تنقل بين حلب ودمشق. الزركلي،الأعلام،ج1،ص207.كامل الجبوري،معجم الشعراء في معجم البلدان.لبنان:مكتبة لبنان،ط1،سنة 2002مـ،ص116.

[8] ينظر محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،صص120،121.وأيضا محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص50.

[9] ابن بسام الشنتريني، الذخيرة،ص126.

[10] ابن الأبار،الحلة السيراء،صص305،308.وذكر له أبياتا في وصف فرس:

متَّمماً في خَلقِهِ لم يُبْخَس   عاى الأديم من الملاحة مُكتس

صَلَّت إليه الخيلُ فهو إمامها   وهو المقدَّمُ عندها في الأنفس

=

التي تلقاها هذان الأميران على يد جوذر في قصور الفاطميين كانت سببا في نزوعهما نحو حياة الترف و الرفاهية.

وقد عبر الشاعر ابن هانئ بجلاء عن مستوى الرقي الحضاري الذي بلغته إمارة بني حمدون ، ويبدو ذلك بوضوح من خلال مدائحه لأمرائها ، وإن كان قد تغنى بصفات الكرم لأمراء المسيلة ونسبهم القحطاني العريق،وفروسيتهم وشجاعتهم في الحروب، فقد جعل التغني بإقليم الزاب ووصف جماله مدخلا إلى التقرب منهم. ولعلنا لا نجد مثل هذا التعلق بالمناطق التي دخلها أو زارها ابن هانئ. ومن الغريب أن يهمل المؤرخون توصيف حضارة إمارة بني حمدون بالمسيلة، فلا نجد لها سوى إشارة عابرة عند ابن حماد الصنهاجي أو ابن خلدون كما سلف الذكر.

ويتمثل ابن هانئ الزاب عراقا في عمارته بالسكان،وكثرة حدائقه وطيب هوائه،ولا يشذ عن ذلك مدينة المسيلة بوصفها مشمولة في هذا الإقليم[**الكامل**]:

رأَيت حولي وَفْدَ كلِّ قبيلة   حتى توهّمت العِراقَ الزَّابا

أرضًا وَطِئتُ الدُّرَّ رَضراضًا[1]   والمسكَ تربًا و الرِّياضَ

وسَمِعتُ فيها كلَّ خُطْبةِ   حتى حَسِبتُ مُلوكها أعْرابا[2]

وصارت هذه البقعة من المغرب مماثلة لبغداد،المدينة التي كانت في ذلك الوقت تمثل قمة الرقي الحضاري والرفاهية،ممّا جعل سكان الزاب متعودين على "الترف والأناقة حتى صاروا يستخشنون النسيم العليل،"[3] وينفرون من رقته تعبيرا عن ترفهم [**الطويل**]:

تَبَغْدَدَ منه الزَّابُ حتى رأيتُه   يَهبُّ نسيمُ الروضِ فيه فيُستَجفَى[4]

بل إنّ الحياة الراقية التي أوجدها أمراء بني حمدون في الزاب جعلت الشاعر[5] يتعلق بهذا البلد،ويتمثله جنة الخلد [**الخفيف**]:

=

وكأنَّ لونَ أديمه من سَوْسَن   وكأنَّ لونَ لجامه من نَرْجِس

[1] رضراض: "رضّ الشيء يرضّه رضًا...ورضرضه:لم ينعم دقه،وقيل:رضّه رضا كسره...الرضراض مادق من الحصى."ابن منظور، لسان العرب، مادة(رضض)،ج5،ص230.

[2] ديوان ابن هانيء الأندلسي،ص53.

[3] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي،صص 181،182.

[4] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص196.

[5] المصدر نفسه،ص199.

نّمـا الـزابُ بَنّـةُ الخُلـدِ فيهـا ـن نَـداهُ غضـارة[1] التفويـفِ[2]

ويلاحظ بعض الباحثين أن حضارة إمارة بني حمدون ذات صبغة أندلسية في عمرانها وثقافتها و أسلوب العيش بها[3]،وأن الأمير جعفرا شيّد فيها معالم تماثل معالم إشبيلية وقرطبة[4]،ونقل إليها العوائد الأندلسيّة[5]. والسبب في ذلك حنين أمراء بني حمدون إلى الأندلس بوصفها الوطن الأول الذي كان متجذرا فيهم، حتى صار الأمير منهم يلقب **"بابن الأندلسيّ"**.بل إنّ أندلسيتهم جعلت النازحين من الأندلس إلى المغرب يفضلون الاستقرار بمدينة المسيلة على غيرها من المدن المغربية ،وتحوّلت ملجأ لهم[6]. وهذا الأمر جعل أمراء الزاب بالمغرب في منزلة "القناصل الأندلسيين"[7].ومن غير شك فإن هذه الجالية الأندلسيّة المستقرة بمدينة المسيلة كان لها دور كبير في ازدهار المدينة[8]،وطبعها بالطابع الأندلسي.

وعليه،إنّ أفراد أسرة بني حمدون تميزوا بتكوينهم العلمي، مما جعلهم ميالين إلى تشجيع الحركة العمرانية والثقافية بإمارتهم، وقد ساعدهم أصلهم الأندلسيّ على ذلك، بحيث جعل الشخصيات العلمية والأدبية الوافدة من الأندلس إلى العدوة المغربية تختار الاستقرار بإمارة بني حمدون في إقليم الزاب.ويتجلى الازدهار الحضاري الذي شهدته هذه الإمارة أكثر حينما نسلط الضوء على الجوانب الحضارية لمدينة المسيلة،عاصمة إقليم الزاب خلال القرن الرابع الهجري.

بعد أن قام عليّ بن حمدون ببناء مدينة المسيلة أو المحمدية وأحسن عمارتها [9]، صارت كما وصفها البكري المدينة الجليلة[10]،كما أكد صاحب

---

[1] الغضارة: "الغَضارة النّعْمة والسَّعة في العيش".ابن منظور،لسان العرب،مادة(غضر)،ج10،ص80.

[2] التفويف: "الفُوفُ ثِياب رِقاقٌ من ثياب اليمن مُوَشَّاة ...وبُرْدٌ مُفَوَّفٌ أَي رقيق...وفي حديث كعب تُرْفَع للعبد غُرْفةٌ مُفَوّفة وتفويفها لَبِنةٌ من ذهب وأُخرى من فِضة".المصدر نفسه،مادة(فوف)،ج10،ص350.

[3] المهدي بوعبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي عبر التاريخ ،صص136،138،144.محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص186.

[4] محمد الطمار،تاريخ الأدب الجزائري،ص66.

[5] L.Golvin,Le Magrib Central a l'époque des Zirides,Recherches d' Archéologie et d'Histoire.Paris :arts et métiers graphiques ,1957,p159.

[6] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص88. المهدي بوعبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص136. جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط،ص367.

[7] محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص51.

[8] ناصر الدين سعيدوني،دراسات أندلسية،مظاهر التأثير الإلبيري والوجود الأندلسيّ بالجزائر.بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط1،سنة2003،ص8.

[9] ابن حيان ، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،ص34.

[10] البكري،المغرب،ص59.

"الاستبصار"بأنّها "مدينة عظيمة على نظر كبير."[1] ولعل العصر الذهبي لهذه المدينة قد تجلى بوضوح في القرن الرابع الهجري ، حيث تحوّلت إلى عاصمة إقليمية،ومقرا لعامل منطقة الزاب كلها [2]،وصارت مركزا لإمارة بني حمدون ،الذين عمّروها وحضّروها[3]،ومن ثم تحولت في عهدهم إلى مدينة مزدهرة اقتصاديا وعمرانيا وثقافيا[4].

1_ **النشاط الاقتصادي**: تحولت مدينة المسيلة في ظل الدولة الفاطمية إلى خزان كبير من الأطعمة والحبوب والميرة واعتمد المنصور الحاكم الفاطمي عليها في مواجهة ومحاصرة أبي يزيد الخارجي المتحصن بجبل كيانة بالقرب من المسيلة[5] ممّا يدل على أنّها كانت مدينة ذات "وظيفة تموينية "وتتوفر على ثروة اقتصادية مهمة[6] .و يؤكد ابن حوقل بوصفه شاهد عيان على هذه المدينة في القرن الرابع الهجري أنّ سكانها كان لهم على نهرها "كروم وأجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم ، وأن من أهم غلاتهم السفرجل المعنق[7] المصدّر إلى القيروان ، وأصله من تنس ، والقطن والقطن والحنطة والشعير ، وأنّه كان لهم المواشي الكثيرة من الدواب والأنعام والبقر."[8]

وفي القرن الخامس الهجري نقل البكري عن محمد بن يوسف الوارق المعاصر لابن حوقل أن مدينة المسيلةتُسقى من نهر سَهْر عن طريق منافذ موجودة في السور المحيط بها ، وفيها" أسواق وحمامات ، وحولها بساتين كثيرة ، ويجود عندهم القطن ، وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر. "[9] وقد استمرت هذه المدينة في رخائها الاقتصادي بعد غزوة بني هلال [10] ،وهذا ما يؤكده الإدريسي بوصفه أحد

---

[1] مؤلف مجهول،الإستبصار ،ص172.

[2] موسى لقبال،،طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى،مجلة الأصالة،العدد 61/60،رمضان-شوال1398هـ/أوت- سبتمر 1978مـ،ص91.

[3] ابن حيان ، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،ص 34. ابن حماد ، أخبار بني عبيد ، ص 64.ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ،ج4 ،ص108.

[4] ذكر محمد بو عبدلي أن الملوك الفاطميين اتخذوا المسيلة مقرا للراحة والاستجمام واستبدلوها بقصور رقادة والمهدية والمنصورية والقيروان طيلة إقامتهم بالمغرب. المهدي بوعبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص138.

[5]ابن حماد الصنهاجي، أخبار بني عبيد،ص47.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص36.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107. ابن أبي دينار،المُؤنس في اخبار إفريقية وتونس،ص57.

[6] جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط،صص366،367.

[7] وهو السفرجل المستطيل. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج2،ص92.

[8] ابن حوقل،صورة الأرض،ص85.

[9] البكري،المغرب،ص59.

[10] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج2،ص92.و ذكر ابن خلدون أنه حينما أسس حماد بن بلكين قلعته بجبل عجيسة سنة 398هـ،قام بتخريب مدينة المسيلة وترحيل سكانها إلى قلعته.ولكن ما =

جغرافيّ القرن السادس الهجري، حيث أخبرنا أنها كانت عامرة بالناس والتجار،وأن لها نهرا فيه ماء كثير،وهو عذب، ولأهلها سوائم خيل وأغنام و أبقار . ولها مزارع ممتدة أكثر مما تحتاج إليه،ولها جنات وعيون وفواكه و بقول، ومزارع قطن وقمح وشعير ، ولحوم .[1]

ويصفها أيضا صاحب "الاستبصار" الذي عاش في القرن السادس الهجري بأنّها كثيرة النخل والبساتين، تشقها جداول المياه العذبة[2]. ويلاحظ من خلال وصف ابن حوقل والإدريسي لشبكة الطرق والمسالك التي تربط شرق المغرب بغربه أن المسيلة كانت تعد مركز التقاء الطرق البرية الداخلية المستخدمة في الفعاليات التجارية المغربية في القرنين 4هـ/10م 6هـ/12م[3].

من خلال هذه المعلومات الجغرافية التي زودنا بها هؤلاء الرحالة الجغرافيون نستشف أنّ مدينة المسيلة في ظل إمارة بني حمدون كانت عامرة بالسكان، وكانت منطقة مهمة للإنتاج الزارعي والحيواني[4].فضلا عن أنّها ذات أرض خصبة ،و تتوفر على نهر كثير الماء ،وهذا قد شجع سكانها على العمل في الزراعة و ترقية الإنتاج الفلاحي وازدهار مهن وصناعات لها علاقة بإنتاج الأرض[5]؛ فتنوّعت بها المزروعات وكثرت بها الخيرات من قمح وشعير وفواكه وبقول ،واشتهرت بصفة أخص بزراعة القطن وبسفرجلها المعنق[6] المصدّر إلى القيروان .وهي أيضا مدينة رعوية تربى فيها أنواع المواشي من غنم وبقر.ثم إنّهاكانت من الحواضر الإسلامية المرتبطة بطرق المواصلات ومسالك التجار

=

سجله الإدريسي وصاحب الاستبصار عن إزدهار هذه المدينة وعمرانها في القرن السادس الهجري يدل على أنّها ربما أُفرغت من أغلب سكانها ،ثم عادت مرة أخرى إلى حيويتها.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص227.

[1] الإدريسي ، المغرب العربي ، ص 108.

[2] مؤلف مجهول،الإستبصار،ص172.

[3] الإدريسي،المغرب العربي،صص،109،110.وينظر صباح إبراهيم الشيخلي،النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن4هـ/10مـ،دراسة من خلال"صورة الأرض" لابن حوقل.مجلة التاريخ المغربي،مجلة علمية تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة،العدد السادس،شهر ربيع 1419هـ/1998مـ،صص42،43..

[4] صباح إبراهيم الشيخلي،المرجع السابق،ص44.

[5] ناصر الدين سعيدوني،المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ودورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامية.مجلة الثقافة،العدد الثامن،السنة الرابعة عشرة،شهر جمادى الثانية _ رجب1404هـ/مارس _ أبريل 1984مـ،ص142.

[6] السفرجل المعنق:المستطيل.روجي الهادي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج2،ص92.

والمسافرين[1]، ممّا أكسبها أهمية تجارية كبيرة،فتحوّلت إلى مركز تجاري مهم في منطقة الزاب بخاصة[2] ،وفي المغرب عامة.

2_ الجانب العمراني: وفيما يتعلق بالجغرافية العمرانية لمدينة المسيلة فلا نجد إلا إشارات مختصرة من بعض المؤرخين والرحالة عن هذه الناحية دون إعطاء أيّ تفاصيل عن أبنيتها وأحياءها وعدد سكانها[3].فابن حيان نقلا عن الوّراق ذكر أن عليّ بن حمدون أحسن عمارتها وحصّنها بسور[4]، غير أنّ الجغرافيين والمؤرخين اختلفوا في وصفه ، فابن حوقل يخبرنا أن عليها سورا حصينا من طوب[5] ، أما البكري وابن عذارى فيذكران أنّ للمدينة سورين [6]، ولكن يختلفان في مكان الماء المحيط بهما ، فالبكري يقول إنّ عليها سورين بينهما ماء جار يستدير بالمدينة ،وله منافذ تسقى منها عند الحاجة [7]، أما ابن عذارى فيذكر أن الماء يجري حول السور الخارجي وليس في وسط السورين[8]،ويمكن التوفيق بين هاتين الروايتين بحيث نعتبر أنّ ابن حوقل ذكر ما شاهده في مدينة المسيلة عند مروره بها،وأما ما أورده البكري وابن عذارى من وجود سورين حول هذه المدينة،فربما تم إنشاؤه بعد عهد ابن حوقل[9].

وفي هذا السياق ، لا بأس أن أذكر هنا ما لاحظه الحسن الوزان في رحلته عندما مر بالمسيلة في القرن العاشرالهجري ،إذ يخبرنا أنّ "أسوار المسيلة المحيطة بها جميلة بخلاف الدور فإنها قبيحة ."[10] وربما كانت هذه الأسوار الجميلة من بقايا ذلك الازدهار العمراني الذي عرفته المدينة في القرن الرابع الهجري .وأما أبواب المدينة ، فقد ذكر ابن حماد أن عددها اثنان ؛ **باب القاسمية** نسبة إلى مؤسس المدينة أبي القاسم الفاطمي ، وباب الأمور[11].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني،المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ود ورها الحضاري،ص142.

[2] مرمول محمد الصالح،الساسية الداخلية للخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،ص299.

[3] جودت عبد الكريم يوسف،الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط،ص367.

[4] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص34.

[5] ابن حوقل ، صورة الأرض ،ص 85.

[6] البكري ، المغرب ، ص59.ابن عذارى ، البيان،ج1 ، ص190.

[7] البكري ، المغرب ، ص 59.

[8] ابن عذارى ، البيان،ج1 ، ص190ويرجح مرمول محمد الصالح رواية ابن عذارى لأنّه بالإمكان تفجير الماء الموجود خارج السور "عند الضرورة في وجه العدو لعرقلة تقدمه بحيث مهمته كمهمة خندق زويلة من الجهة الغربية".مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ،ص298.

[9] مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ،صص298،299.

[10] حسن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر.بيروت:دار الغرب الإسلامي،الرباط:الشركة المغربية للناشرين،ط2،ج2،سنة1983، ص 52.

[11] ابن حماد، أخبار بني عبيد،ص46.

وذكر البكري أنها تمتاز بكثرة حماماتها[1]،ووصفها الإدريسي بأنها كانت عامرة بالناس[2]. وابن حماد أشاد بازدهار العمارة بها في إمارة عليّ بن حمدون وابنيه جعفر ويحيى وذكر أنها بلغت الغاية القصوى والأمد الأقصى[3].وأما ابن خلدون فقد انفرد ببعض التفصيل عن الناحية العمرانية لمدينة المسيلة رغم ما فيه من الاختصار الشديد،فهو أورد أن بني حمدون اهتموا ببناء القصور والمنتزهات[4] دون أن يعطينا تفاصيل وافية عن مواقع هذه المنشآت المعماريةوأوصافها وأسمائها[5].

و ممّا زاد الأمر غموضا وتعقيدا عن عمران هذه المدينة هو الاندثار والاختفاء الكلي لهذه القصور الحمدونية بحيث لا نجد لها أثرا على الأرض،ممّا يُصعب عملية البحث في آثار هذه المدينة[6]،ولعل هذا يرجع إلى التخريب الذي تعرضت له فيما بعد في خضم الصراعات والحروب،فقد وقعت ضحية لموقعها المفتوح غير المحصن و "الشبه الأمامي" بين مناطق الصراع بين الحفصيين والمرينيين،فأدى هذا إلى ظهور الاضمحلال عليها والذبول تدريجيا،واضطراب الأوضاع فيها[7]،وتعرُض آثارها العمرانية إلى التدمير و المحو من على وجه الأرض.

ولقد وردت إشارات ذات قيمة توثيقية في شعر ابن هانئ[8] عن عناية أمراء بني حمدون ببناء القصور العظيمة،والمرفهة و العالية[**الطويل**]:

وكم لك منْ قصر سواه مُشَيَّدٍ تَسِيرُ بـه البُـزْلُ[9] العنـاجيج[10]

وقال أيضا في مدح جعفر بن عليّ من خلال جلال القصور[**الكامل**]:

---

[1] البكري،المغرب،ص59.

[2] الإدريسي ، المغرب العربي ، ص 108.

[3] ابن حماد الصنهاجي، أخبار بني عبيد،ص46.

[4] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.

[5] ذكر محمد بو عبدلي أنّ مدينة المسيلة احتفظت ببعض قصور ملوك بني زيري،ومنه قصر " السيدة" ،والذي دفن فيه تميم بن المعز بن باديس سنة 501. المهدي بوعبدلي،ماضي المسيلة السياسي والثقافي،ص137.

[6] L.Golvin,Le Magrib Central a l'époque des Zirides,p159_

[7] موسى لقبال،طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى،ص92.

[8] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص165.

[9] البزل:"بزل الشيء..فتبزّل شقّه..بزل البعير يبزل بُزُولا فطر نابُه أي انشقّ،فهو بازل...جمل بازل وناقة بازل:وهوأقصى أسنان البعير،سمي بازلا من البزل ،وهو الشق." ابن منظور،لسان العرب،مادة (بزل)،ج1،ص400.

[10] العناجيج:العنجوج:"الرائع من الخيل،وقيل:الجواد،والجمع عناجيج...وقد استعملوا العناجيج في الإبل...وقيل هو الطويل العنق من الإبل والخيل."المصدر نفسه،مادة(عنج)،ج9،ص418.

إنْ تمتثِـــلْ منهـــا الملـــوكُ قصورَهُمْ طَالَمـا كـانـوا لهـا حُجـّابا[1]

وفي موقف آخر نجد الشاعر يهنئ الأمير جعفرا بمناسبة انتهائه من تشييد قصر فاخر[**الطويل**]:

أَلِكْني [2]إلى لقَصْر المَشِيدِ حيّةً فقد حَدَّثَ الرُكْبَانُ عنه فأكْثروا

فرغـت لــه مـن بعـض شـغلك فـي الـــــــــوغى ومثلــك عـن إغفالــه لــيس يعـذُر

يَشْـكُرُكَ فــي تَأسِيسِــه آلُ جعفــر فمثل الذي يبقى لها الفخرُ يشكرُ

نتيجـــةُ رأي تَســـتفيدُ ذوو النهـــى ويَعجــزُ عنهـــا كُــلُّ رأيٍ ويَقصـــرُ

كأنَّ أكُفَّ القومِ كانتْ عقولهم فصَـــاغَتْهُ رفعًـــا والسُـــعودُ تُـــدَبِّرُ[3]

وقد شد بياض جدران القصور انتباه الشاعر ،لما أضفاه على المكان من جمالية[**الطويل**]:

ودَرُّ القصور البِيض يعْمُرُ ملكَها ملــوكُ الــدُّنيا وهــنَّ الكــرائمُ[4]

ويكاد يكون اللون الأبيض ملازما للقصور الحمدونية،إذ يتكرر ذلك حينما يصف ابن هانئ[5] مجلسا بناه إبراهيم بن جعفر[**الكامل**]:

تغــدو القصــورُ البِــيضُ فــي جَنَباتِه صُوْرًا[6] إليـه يَكِلُّ عنـه عِيانُهـا

وقد استرعى نظر الشاعر أيضا **القباب** البارزة عل سقوف القصور المشيدة[**الكامل**]:

حُبِـــبْ بتيّـــاكَ القبـــابِ قبابـــا لا بالحُـداة ولا الرِّكـاب ركابـا[7]

وقال أيضا[**الطويل**]:

وعُمِّــرْت فــي تلــك القبــاب منيفةً مثلُـك يُعطـى سُـؤلَه ويُعمَّـرُ[8]

وهو بذلك يشير إلى نوع التسقيف الذي تميزت به هذه القصور،وهذه الميزة نجدها مستعملة كثيرا في الفن المعماري الفاطميّ ،وقد وُصفت بأنها:"القبة ذات

---

[1] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص53.

[2] ألِكني: "بَلِّغ عني رسالة".ابن منظور، لسان العرب،مادة(ألك)،ج1،ص184.

[3] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص163.

[4] المصدر نفسه،ص308.

[5] المصدر نفسه،ص324.

[6] الصور:"صَوِرَ يَصْوَرُ صوراً وهو أَصْوَرُ : مال".ابن منظور،لسان العرب،مادة(صور)،ج7،ص439.

[7] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص50.

[8] المصدر نفسه،ص163.

الزوايا البارزة المتكوّنة من تقاطع قوسين في شكل نصف أسطواني."[1]وحضورها أسطواني."[1]وحضورها في القصور الفاطمية هو نوع من التجديد في الهندسة المعمارية[2].

ويشير الشاعر[3] إلى أن هذه القصور الفاخرة عامرة بالجواري وألوان الترف واللهو،ممّا جعل حياة أمراء بني حمدون يغلب عليها الترف والليونة والرّقة[**الطويل**]:

فرغتَ من المجدِ الذي أنتَ شائدٌ فجُرَّ ذيولَ العيش في الزَّمن النَّضْر

ومازلت تُروي السيفَ في الرّوع[4] من دم حقٌّكَ أن تُروي الثّرى من الخمر

وتَنْعَم بالبيضِ الأوانس[5] كالدُّمى وتَرفُلَ[6]من دُنياكَ في حُللٍ خُضْر

ومن ثم وجود فئة الجواري في القصور الحمدونية دليل على اهتمام بني حمدون بالموسيقى والرقص،و اشتمال قصورهم ومجالس أنسهم على عدد من الفنانين والمغنيين وأصحاب آلات الطرب[7].

وليس من الغريب أن يهتم ابن هانئ بذكر **قصور الأمراء** في قصائده،إذ نجده يشير إلى أنّ كل أمير يملك قصره الخاص ،ويظهر ذلك من خلال القصيدة التي كتبها في مدح جعفر ويحيى ابنَي عليّ ،فنلفيه يهنئ يحيى بجارية أهداها له جعفر،والملاحظ هنا أنّها انتقلت من قصر إلى قصر،وهما موصوفان بالعلو والارتفاع[**الطويل**]:

فمِن مَلِكٍ سامٍ إلى ملِكٍ رضىً تهادتْ ومن قَصرٍ مُنيفٍ إلى قصر[8]

ونجد أيضا في هذه القصورمجالس خاصة بالأمراء ،وفيها تُستقبل الوفود[**الطويل**]:

فأشْفعُ فيه للوفود إلى الّذي لي الإذن فيه والمقامُ المشهَّرُ[9]

---

[1] جورج مارسي ،الهندسة المعمارية الإسلامية في المغرب،باريس ،1954،نقلا عن الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجيةج2 ،ص432.

[2] ينظر روجي الهادي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج2،صص431،432،433.

[3] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص147.

[4] الروع: "الرَّوْعُ والرُّواع والتَّرَوُّع الفَزَعُ".ابن منظور، لسان العرب،مادة(روع)،ج5،ص371.

[5] الأوانس:جارِيةٌ آنِسَةٌ إذا كانت طيبة النَّفْس تُحِبُّ قُرْبَكَ وحديثك وجمعها آنِسات وأَوانِسُ". المصدر نفسه،مادة(أنس)،ج1،ص235.

[6] ترفل:رَفَلَ يَرْفُل رَفْلاً ورَفَلاناً وأَرْفَل جرّ ذيله وتبختر".المصدر نفسه،مادة(رفل)،ج5،ص276.

[7] حَسن حُسني عبد الوهاب،ورقات عن الحضارة العربيَّة بافريقية التونسية.تونس:مكتبة المنار،سنة 1966، القسم الثاني،ص206.

[8] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص147.

[9] المصدر نفسه،ص165.

وقد تقترن المجالس بدلالة الألفة والقداسة إذ يُعبّر عنها الشاعر[1] بلفظ**"منسك"** الذي له خلفية دينية توحي بالطهارة والعظمة ،ومن ثم مجلس الأمراء مقصد مرغوب للوفود[**الخفيف**]:

مَنسَـــك للوفــودِ يُعْتَـــامُ[2] قـــد ... أنضى المَطايا بطول وَخْدٍ وَرَتـكِ[3]
مَ ۥ َ تـك[3]

وعلى هذا تبدو الوفود مزدحمة على باب الأمير يحيى[**الطويل**]:

تَغْــدُو علـــى يحيـــى الوُفُــودُ بباــــــــــــــــه ... كما ابتَدَرَتْ أُمَّ الحَطيم المَواسِمُ[4]

وفي هذه القصور سرير يجلس عليه الأمير لاستقبال الوفود و القيام بمهام الإمارة،وثمة أيضارواق[5] ممدود[**الكامل**]:

لقــد اغتــدَى والمجــدُ فــوقَ ... والغيثُ تحت رواقـه الممـدودِ[6]

وإن كان وصف الشاعر للقصور مقتضبا، إلاّ أنّـه يفيد بأنّ أمراء بني حمدون كانوا مهمتين بالعمارة،فأكثروا من بناء القصور البيضاء،ذات القباب والأروقة،والتي كانت مقرا يديرون منه شؤون إمارتهم،ويستقلبون وفود الشعراء وزعماء القبائل،وكأن إمارتهم مملكة صغيرة مستقلة.

ومن مظاهر العمران والترف الحضاري،نذكر أيضا اهتمام أمراء بني حمدون بتشييد مجالس الأنس واللهووالمنتزهات، وقد نظم ابن هانئ قصيدة في وصف مجلس من مجالس اللهو التي بناها إبراهيم بن جعفر،وسنلاحظ من خلال ما سيقدمه من أوصاف لهذا المجلس مدى الرقي الذي وصلته فنون الزخرفة والنقش و العمارة في ظل إمارة بني حمدون.وقد بدأ ابن هانئ[7] قصيدته بتصوير

---

[1] المصدر نفسه،ص228.

[2] يعتام: "اعْتامَ يَعْتامُ اعْتِياماً... إذا اختار." ابن منظور،لسان العرب،مادة(عيم)،ج9،ص504.

[3] الرتك:"رَتَكَت الإبل ترْتِكُ رَتْكاً ورَتَكاناً وهي مشية فيها اهتزاز وقد يستعمل في غير الإبل وهي في الإبل أكثر ورَتَكَ البعيرُ وأَرْتَكْتُه أنا إرْتاكاً إذا حملته على السير السريع".المصدر نفسه،مادة(رتك)،ج5،ص132.

[4] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص305.

[5] الرّواق:"بيت كالفسطاط يحمل على سطاع واحد في وسطه."الفراهيدي،الخليل بن أحمد ،كتاب العين،مادة(روق)تحقيق عبد الحميد هنداوي.بيروت:منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ،ج2،ص163 .والرواق "بيت كالفسطاط،أو سقف في مقدم البيت،وقيل هو ستر يمدّ دون السقف."الزبيدي،تاج العروس،مادة(روق)،مج6،ص363.أما في مجال العمارة فالرواق هو طراز معماري "يقصد به المساحة أو الممر المسقف المحصور بين صفين من الأعمدة أو الدعامات أو بين جدار وصف من الأعمدة أو الدعامات."محمد حمزة الحداد،المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية(في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنهوض الأثرية والوثائقية والتاريخية).القاهرة:مكتبة زهراء الشرق،ط1،سنة 2001،ص49.

[6] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص104.

[7] المصدر نفسه،ص324.

الشمس المتعبة العيون الدامعة انبهارا وغيرة مكتومة من جمال مجلس إبراهيم بن جعفر؛إذ يتضاءل لمعانها أمام ضيائه [**الكامل**]:

شمسُ عنهُ كليلةٌ أجفانهُا عَبرى[1] يَضيقُ بسرّها كِتمانُه

لو ستطيعُ ضياءهُ لَدَنَتْ له عْشُو إلى لَمَعانِه لَمَعانُها[2]

وذكر الشاعر أنّ لهذا المجلس **إيوان**[3] ينافس ويفوق إيوان كسرى[**الكامل**]:

يوانُ ملْكٍ لو رأتهُ فارسٌ ذُعِرَتْ و خَرّ لِسَمْكِهِ إعظامُه[4]

وفوق ذلك تصبح القصور البيض المحيطة به مائلة إليه إعجابا، حتى أنّها تتعب من طول النظر إلى حسنه[**الكامل**]:

تغدو القصورُ البِيضُ في صُوْرًا إليه يَكِلُّ عنه عِيانُها[5] جَنَبَاتِه عيانُه

ويتميز هذا المجلس بقبته البيضاء المتطاولة علوا،فيغدو ارتفاعها طيرانا حتى أنّ ريح الصبا لا تستطيع بلوغ سموها رغم شهرتها بالسرعة،ومن حولها ضربت أروقة ترفرف وتخفق بليونة كما لو أنّها طائر العقاب,وهي موشاة كأنّها ثوب فارسي أبيض اللون،مزين بالمرجان والدر. وأمام هذا الحسن الباهر لا تستطيع العين مقاومة هذا السحر .وفي هذه الأروقة أيضا ستور أطرافها كأنها الأوشحة الجميلة المزينة باللؤلؤ.كما يُصور الشاعر إلى جانب ذلك جنبات هذا المجلس وكأنها حدائق غنّاء تلوّنت بشتى الألوان الزاهيةثم إنّه يطلب من الداخل إلى هذا المجلس أن يحدق النظر في حيطانه وسقوفه المزخرفة[**الكامل**]:

القُبَّةُ البَيضاءُ طائرةٌ به تَهوى بمُنخَرق[6] الصَّبا أعنانُه

ضربت بأروقَةٍ تُرفرفُ فَوقَها هوى بفُتْخِ[7] قَوادِمِ خَفَقانُها

---

[1] الأجفان العبرى:"عينٌ عَبْرى أَي باكية".ابن منظور، لسان العرب،مادة(عبر)،ج9،ص18.

[2] يعشو: "عَشَوْتُه قَصَدْتُه ليلاً هذا هو الأَصْلُ ثم صار كلُّ قاصِدٍ عاشِياً".المصدر نفسه،مادة(عشا)،ج9،ص226.

[3] الإيوان: كان مستعملا في الفن المعماري الفاطمي،وهو من أصل فارسي عراقي،و يُوصف بأنّه"قاعة مقبّبة تفتح من تقاطع على الخارج بواسطة قوس كبير بلا واجهة".الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص432.

[4] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص324.

[5] ديوان ابن هانئ الأندلسي ،ص324.

[6] المنخرق: "انْخرَقت الريح هبَّت على غير استقامة ويقال انْخَرَقتِ الريحُ الخَريقُ إذا اشتدّ هُبوبُها وتخلَّلها المواضعَ".ابن منظور،لسان العرب،مادة(خرق)،ج4،ص73.

[7] الفتخ:"الفَتَخُ استرخاء المفاصل ولينُها وعرْضُها وقيل هو اللِّين في المفاصل وغيرها فَتِخَ فَتَخاً وهو أَفْتَخُ وعُقاب فَتْخاءُ لَيِّنة الجناح لأَنها إذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما".المصدر نفسه،مادة(فتخ)،ج10،ص173.

وتعرَّضَتْ طُرَرُ[1] الستور كأنّها عَنَباتُ أوْ شِحَةٍ يروقُ جُمانُها

وكأنَّ أفوافَ الرِّياض نُثِرْنَ في صَفَحاتِها فتَفَوَّفتْ ألوانُها

فأدِرْ جُفونَك و اكتَحِلْ بمناظِرٍ غشَّى فِرِنْدُ[2] لُجَيْنِها[3] عِقْيانُها[4]

مُستَشرفاتٍ من خُدور أرائكٍ مصفوفةٍ قد فُصِّلتْ تيجانُها [5]

والظّاهر أنّ هذه المجالس كانت حافلة بمظاهر اللهو من رقص وغناء و خمرة وجواري ممّا دفع ابن هانئ أن يدعو الأمير جعفر بن عليّ إلى عدم الحضور حفاظا على منزلته،وتوقيرا له [**الكامل**]:

حاشيتُ قدَرك من زيارةِ مجلس وَلَوَ أنّ فيه كواكبَ الجوزاء[6]

ويذكر ابن هانئ أنّه اجتمع مع جماعة من أصحابه الشعراء في مجلس أنس ،يتسامرون بقرض الشعر وامتداح الأمير جعفر ثناء عليه[**الكامل**]:

إنّا اجتَمَعْنا في النَّديّ عِصابةً تُثني عليكَ بألسُن النَّعْماءِ

إنّ الذي جَمَع العُلى لك كلَّها ألقى إليكَ مَقالدَ الشُّعرَاءِ[7]

وعلى هذا الأساس جمعت هذه المجالس أحيانا بين اللهو وإلقاء الشعر و إثارة قضايا أدبية ، وما يصحب ذلك من غناء وعزف على آلات الطرب.والملاحظ أن مجالس الأنس كانت منتشرة بكثرة في الأندلس [8].ومن غير المستبعد أنّ الجالية الأندلسيّة الوافدة على المسيلة كان لها دور في تشييد مثل هذه المجالس.

3_الدور الثقافي: عرفت المسيلة عصرها الذهبي ثقافيا في زمن إمارة بني حمدون ،حيث صارت حاضرة للعلم ، ووسطا ثقافيا راقيا ، و مركزا كبيرا للأدب ؛فأمّها العلماء والأدباء من كل فج وصوب،وبالأخص حين صار جعفر بن عليّ أميرا عليها[9]،إذ فتح بلاطه للأدباء والشعراء ،فرحب بهم وأكثر لهم العطاء[1].ولعل

---

[1] الطُررُ: "طُرَّةُ الثوب موضعُ هُدْبه وهي حاشيته التي لا هدب لها وطُرَّةُ الأرض حاشيتُها وطُرَّةُ كل شيء حرفُه".المصدر نفسه،مادة(طرر)،ج8،ص141.

[2] الفِرِندُ: "وَشْيُ السيف وهو دخيل وفرند السيف وَشْيُه ". المصدر نفسه،مادة(فرند)،ج10،ص552.

[3] اللُّجَين:" هو الفضة". المصدر نفسه،مادة(لجن)،ج12،ص243.

[4] العِقْيَانُ: "هو الذّهَبُ".المصدر نفسه،مادة(عقن)،ج9،ص334.

[5] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص325.

[6] ديوان ابن هانئ الأندلسي ،ص23.

[7] المصدر نفسه،ص23.

[8] ينظر قرْسِيةَ غُومِسْ،الشعر الأندلسي،ترجمة حسين مؤنس.القاهرة:مكتبة النهضة المصرية،دون تاريخ،صص90،91،92.

[9] عثمان الكعاك،موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي.بيروت:دار =

الجو الأدبي الذي أشاعه في مدينة المسيلة، كان سببا في تنشيط الحياة الثقافية بعد زوال إمارته، حيث كانت هذه المدينة مهادا لعدد من الأدباء البارزين . ففي القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي برز الشاعر باديس عبد الكريم بن إبراهيم النهشليّ المتوفي سنة 405هـ/1014-1015م،وهو لم يفارق المسيلة إلاّ قبل مدة قليلة من وفاته بالمهدية.وقد كان عارفا باللغة والشعر، خبيرا بأيام العرب[2].

وظهر في هذه المدينة أيضا نابغة من نوابغ الأدب ، وهو الأديب ابن رشيق المسيلي المشهور بالقيراوني (ت.456هـ/1064م)[3].ورغم خفوت مكانة المسيلة السياسية في القرون التالية للقرن الرابع الهجري ، خاصة بعد بناء قلعة بني حماد[4] ، إلا أنّها استمرت في إنجاب العلماء الذين ينسبون إليها [5]، مما يدل على بقائها مدينة ثقافية .

=

الغرب الإسلامي،ص161. محمد طه الحاجري،مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر،ط1،سنة1403هـ/1983،ص13.محمد الطمار،الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج.الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة1983،ص110. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي،تاريخ الجزائر العام ،ج1،ص220.

[1] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص360.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.ابن بسام الشنتريني،الذخيرة،صص126.

[2] الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج2،صص393،394. عمر فرُّوخ،تاريخ الأدب العربي ، الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف.بيروت:دار للملايين،ط2،سنة 1984،ج4،سنة 1984،ص342.

[3] ابن رشيق القيرواني: هو "أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني... له التصانيف المليحة منها: كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد...ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلاً، ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة... وكانت صنعة أبيه في بلدة - وهي المحمدية - الصياغة، فعلمه أبوه صنعته، وقرأ الأدب بالمحمدية ... فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته، ولم يزل بها إلى أن هاجم العرب القيروان ... فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إلى أن مات... وقيل إنه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر".ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج2،صص85،86.

[4] مرمول محمد الصالح،الساسية الداخلية للخلافة الفاطمية بالمغرب الإسلامي،ص299.

[5] ومنهم حسين بن محمد بن سلمون،أبو عليّ المسيلي (ت.431هـ/1040م):فقيه مالكي ،من أهل مسيلة رحل إلى الأندلس فولاه سليمان بن حكم الشورى بقرطبة .عبد الله بن حمُّو المسيلي،أبو محمد:قاض،كاتب له معرفة بالأصول والفروع. أصله من مسيلة واستوطن المرية بالأندلس.وكلاهما ذكرهما ابن بشكوال في صلته.ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك،كتاب الصِّلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهوّاري.بيروت:المكتبة العصرية،ط1،سنة 1423هـ/2003م،مج1،صص134،247.وحسن بن علي بن محمد المسيلي،أبو علي(ت.580/1185م):فقيه مالكي،حافظ،متكلم،من القضاة أصله من مسيلة، ونشأ ببجاية.الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد،عُنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تحقيق رابح بونار.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة 1981،ص66. يحيى بو عزيز،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر.بيروت:دار الغرب الإسلامي،سنة1995،ج1،ص33. وأحمد بن محمد بن

=

غير أنّ **ابن هانئ** كان أبرز شخصية أدبية في مدينة المسيلة خلال القرن الرابع الهجري ،وفي ظل إمارة بني حمدون ،حيث كان ممن استقبلهم الأمير جعفر في بلاطه وأكرمهم وقربهم إليه. و بلا شك يعد هذا الشاعر من أهم نبغاء الثقافة الأدبية بإفريقية في العصر الفاطمي ،كما أنّ له علاقة متميزة بمدينة المسيلة وبأسرة بني حمدون.وهو جدير بأن نسلط الضوء على حياته وشعره لما تضمنه من إشارات تاريخية وسياسية وحضارية عن إمارة بني حمدون .

أ_**نبذة عن حياة ابن هانئ:** هو محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي [1]،ويكنى بأبي القاسم وأبي الحسن[2].ويعرف بالأندلسي،وكأنها تفرقة بينه وبين الحكميّ أبي نواس[3].وأصله من بني المهلب الذين ملكوا افريقية،فقيل أنّه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي [4]وقيل بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم[5].وكان أبوه هانئا من قرية من قرى المهدية بافريقية[6]، وكان شاعرا أديبا[7]،فانتقل إلى الأندلس[8]، ويرى بعض الباحثين أنّه كان داعيا من دعاة المذهب الإسماعيليّ ،وقد كُلّف بنشر الدعوة الفاطمية بالأندلس،وأن اعتناقه لمذهب

=

أحمد المسيلي(ت بعد 785هـ/1383مـ):فقيه ،مفسر ،من أهل مسيلة.الحفناوي أبو القاسم محمد،تعريف الخلف برجال السلف.الجزائر:موفم للنشر،ج1،سنة1991،ص327.

[1] ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،تحقيق عبد السلام الهراس.بيروت:دار الفكر،ج1،سنة1995،ص295. لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق محمد عبد الله عنان.القاهرة: الشركة الوطنية للطباعة والنشر،مج2،ط1،سنة1974، ص288.وسماه الصفدي محمد بن إبراهيم بن هانئ،غير أن محمدا اليعلاوي يذهب إلى أنّه خلط في الأسماء،إذ أنّ محمدا بن إبراهيم بن هانئ شاعر مصري متأخر.ينظر محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص111.

[2] ابن خلكان،وفيات الأعيان ،ج4،ص421.ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،ج1ص295.لسان الدين بن الخطيب،مج2،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ص288.

[3] لسان الدين بن الخطيب،مج2، الإحاطة في أخبار غرناطة،ص288.

[4] يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي ،أبو خالد،ولاه الخليفة المنصور العباسي إفريقية سنة 154هـ ثم تولى إفريقية بعد وفاة يزيد أخاه روْح سنة 171هـ.ابن عذارى، البيان،ج1،صص78،84. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص247.ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1،ص72،ج2،ص358. ابن خلكان،وفيات الأعيان ،ج2،ص305،ج6،صص322،323 .الزركلي،الأعلام،ج3،ص34،ج8،ص180.

[5] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص421.ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،صص295،296.لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص288.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،تحقيق شوقي ضيف.القاهرة:دار المعارف،ج2،ط3،سنة1955،ص97.ياقوت الحموي،مُعجم الأدباء ،ج5،ص468.

[6] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص421.ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص296.

[7] ابن خلكان،المصدر السابق،ج4،ص421.

[8] ابن خلكان،المصدر السابق،ج4،،ص421.ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص296.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج2،ص97.

الفاطميين كان له تأثيره على التكوين الثقافي والمذهبي لولده محمد، وقد يكون هو الذي دفعه إلى اعتناق المذهب الإسماعيليّ [1].

وقد اختلفت الروايات التاريخية في تعيين المكان الأندلسيّ الذي استقر فيه هانئ ،وولد له فيه ابنه محمد ونشأ،وأول هذه الروايات يقول بها اثنان من المؤرخين المشارقة،وهم ابن خلكان وياقوت الحموي ،ومحتواها أنّ هانئا استقر باشبيلية،وبها كانت ولادة ولده محمد و نشأته[2].أما الرواية الثانية، فقد تناقلها ثلاثة من المؤرخين المؤرخين الأندلسيين،وهم ابن الأبار وابن سعيد المغربي ولسان الدين بن الخطيب [3]،ومضمونها أن هانئا استوطن إلبيرة،وبالتحديد في قرية من قراها تسمى تسمى سكون[4].وفيها ولد له محمد .لذلك نجد أنّ ابن الخطيب ينسبه في إحاطته بالإلبيري الغرناطي[5]. ويضيف صاحب التكملة لكتاب الصلة ،أنّ نشأته كانت بقرطبة،وكان أكثر تأدبه بها[6].ويبدو أنّه لا يوجد تعارض كبير بين الرواية المشرقية المشرقية والرواية الأندلسيّة، فـ" سكون"قرية من قرى إشبيلية[7]،وربما لقربها من إلبيرة أراد ابن الخطيب أنّ يُقرب الشاعر ابن هانئ إلى بلدته المحببة إليه غرناطة[8] غرناطة[8] ،وعلى هذا فليس هناك مانع من أن يكون شاعرنا قد ولد بإشبيلية ثم انتقل انتقل إلى إلبيرة فنشأ فيها[9]،و ربما بعد ذلك اضطرت أسرته أن تنتقل إلى قرطبة، فتمت نشأته فيها ،و أخذ العلم والأدب من علمائها وأدبائها [10].

أما عن تاريخ ولادته، فقد أغفلته المصادر،و لهذا اختلف الباحثون في تحديده،فأحمد خالد يرى أنه ولد ما بين سنة 322هـ و326هـ [11]،بينما نجد عارف تامر يرجح الرأي الذي يُعيّن تاريخ الولادة بسنة 314هـ[12].أما محمد اليعلاوي

---

[1] أحمد خالد،ابن هانئ،ص10. عارف تامر،ابن هانئ الأندلسيّ،ص8.

[2] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،،ص421.ياقوت الحموي،معجم الأدباءج5،ص468..

[3] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص295،296.لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في اخبار غرناطة،مج2،ص288.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج2،ص97.

[4] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص288.

[5] المصدر نفسه،مج2،ص288.

[6] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص296.

[7] محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص107.أبو القاسم محمد كرّو، ابن هانئ الأندلسيّ متنبيّ الغرب.تونس:الدار العربية للكتاب، سنة 1984،ص12.عمر فرُّوخ،تاريخ الأدب العربي ، الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف.بيروت:دار للملايين،ط2،سنة 1984،ج4،سنة 1984،ص267.

[8] محمد اليعلاوي،المرجع السابق،ص107.

[9] المرجع نفسه،ص108.عمر فرّوخ،تاريخ الأدب العربي،ج4،ص267.

[10] محمد كرّو،ابن هانئ الأندلسيّ متنبي المغرب،ص13.

[11] أحمد خالد،ابن هانئ،ص10.

[12] عارف تامر،ابن هانئ الأندلسيّ،متنبي الغرب.بيروت:منشورات دار الشرق الجديد،ط1،سنة =

ومحمد كرّو فيميلان إلى أنّ سنة 320هـ/932مـ هي تاريخ ولادة ابن هانئ بالضبط.ويدعمان رأيهما استنادا على ما اتفقت عليه المصادر من أن ابن هانئ لما دخل إلى العدوة المغربية لاجئا كان عمره سبع وعشرين سنة،وكان أول من لقيه ومدحه القائد جوهر ،و الذي خرج في حملة عسكرية إلى المغرب الأقصى،وكُتب التاريخ تُجمع على أنّ بداية هذه الحملة كانت في سنة 347هـ/958مـ[1].

وقد اشتغل محمد بن هانئ بالأدب وفنونه،فحصل على حظ وافر منه، وكان حافظا لأشعار العرب وأخبارهم ،وعمل الشعر ،فمهر فيه، واشتهر ذكره[2]، فاتصل بأمير اشبيلية[3]،وصار من أقرب الناس إليه ،وأرفعهم منزلة[4].ولكن لم يطل له المقام بجانب هذا الأمير،إذأنّه اضطر إلى الفرار من الأندلس باتجاه المغرب.وقد أرجعت الروايات التاريخية سبب هذا الهروب من وطنه الأم إلى ثلاثة أسباب رئيسة، ،أولها انغماسه في الملذات وانحرافه السلوكي ،وثانيها آراؤه الفلسفية ،وأخذه بمذاهب الفلاسفة، وبالأخص التي تميل إلى الغلو و الخروج عن الدين.وثالثها اعتناقه لمذهب التشيع[5] ،وهذا السبب ذكره ابن هانئ نفسه [الطويل]:

وما نَقَموا إلاّ قَديمَ تَشَيُّعِي فنجّى هِزَبْرًا شَدُّه[6] المُتَدارِكُ[7]

=
1961،ص11.

[1] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،صص111،112.أبو القاسم محمد كرّو، ابن هانئ الأندلسيّ متنبي المغرب،12.

[2] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص421.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج2،ص97.ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج5،ص468.و أضاف لسان الدين ابن الخطيب أنه كان بارعا في "فكّ المعمّى".لسان الدين ابن الخطيب،الإحاطة في اخبار غرناطة،مج2،ص289.

[3] يرى أحمد خالد أن هذا الأمير هو من بني الحجّاج اليمنيّين الذين كانوا متمركزين في إشبيلية.أحمد خالد، ابن هانئ،ص11.

[4] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص421.

[5] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص422.ذكر ياقوت الحموي في معجمه الرواية الثانية في سبب خروج ابن هانيء من الأندلس،حيث قال:"وكان متهما بالفلسفة يسلك في أقواله وأشعاره مسلك المعري،وما زال يغلو في ذلك حتى تعدى الحق وخرج في غلوه إلى ما لاوجه له في التأويل،فأزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنه." ينظر ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج5،ص468.آنخيل جنثالث بالنثيا،تاريخ الفكر الأندلسي،نقله عن الإسبانية حسين مؤنس.مصر:مكتبة الثقافة الدينيّة،دون تاريخ،ص63.

[6] الشَّد:" الشَّدُّ الحَمْل وشَدَّ على القوم في القتال يَشِدُّ ويَشُدُّ شَدّاً وشُدوداً حَمَلَ".ابن منظور،لسان العرب،مادة(شدد)،نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي شيري.بيروت،لبنان:دار إحياء التراث العربي،ط1،سنة 1408هـ/1988م،ج7،ص56.

[7] ديوان ابن هانئ الأندلسي، ص225.

وكل هذه الأسباب مجتمعة أغضبت سكان إشبيلية ،ودفعتهم إلى الطعن في ابن هانئ،والمطالبة بمعاقبته، بل وصل الأمر إلى التحريض ضد أمير اشبيلية،والذي نصح ابن هانئ بالخروج عن البلد،والابتعاد عنه ،منعا للفتنة[1].واستجابة لهذا الطلب، خرج ابن هانئ من بلده الأندلس ،لاجئا إلى المغرب، وقد كان عمره آنذاك سبع وعشرين سنة[2]. وكان لقاؤه الأول بالقائد جوهر الفاطمي عند دخوله إلى المغرب[3]، في أثناء حملته العسكرية على المغرب الأقصى[4]، ولكنه اختار ترك هذا القائد، بعدما لم يكرمه ويكثر له العطاء،وبخاصة حين مدحه بقصيدة طويلة[5].ثم اتصل أيضا بأمير المسيلة و الزاب جعفر بن عليّ وأخيه يحيى، وقد بالغا في إكرامه والإنعام عليه.وبعدما استقر مدة ليست بالقصيرة في إمارتهما،و نظم القصائد الطوال في مدحهما، اشتهر أمره بين الناس،وانتشر شعره، مما جعل الخليفة الفاطمي المعز يهتم به،ويطلب من الأمير جعفر أن يجهزه إليه،فبادر بإرساله و أرفقه بهدايا كثيرة ، فصيّره شاعره الخاص،وقربه إليه، وأكرمه.ومن ثم نظم ابن هانئ فيه قصائد عديدة مدحه فيها وبالغ في ذلك[6].

غير أنّ ابن هانئ استأذن الخليفة الفاطمي المعز في الرجوع إلى المغرب، عندما علم بتجهزه للرحيل إلى مصر، رغبة في أن يعود بعياله من الزاب، ويلتحق به ثانية في مصر[7]،وقد نظم أبياتا يخلد فيها هذه الحادثة، وهي آخر ما قاله [8] من الشعر [**الطويل**]:

---

[1] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص421.ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج5،ص468.

[2] ذكر عارف تامر أن عمره عند نزوله بالعدوة المغربية كان أربعة وعشرين عامًا.عارف تامر، ابن هانئ الأندلسيّ،ص8.

[3] لم تحدد المصادر بالضبط السنة التي تم فيها اللقاء بين ابن هانئ والقائد جوهر،يرجح محمد اليعلاوي أن هذا اللقاء تم في رمضان سنة 348هـ، لأنّ القصيدة التي مدح فيها ابن هانئ القائدجوهر الصقلي كانت بعد سقوط مدينة فاس ، وقد ذكر فيها القبض على حاكم سجلماسة ابن واسول،والجذامي أحمد بن أبي بكر أمير فاس.محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،صص117،118.

[4] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص421.ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج5،ص468.لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص289.

[5] لسان الدين بن الخطيب،المصدر السابق،مج2،ص289.

[6] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص421.ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج5،ص469.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج2،ص97.لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص289.ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص296.محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص122.

[7] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص422. ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج5،ص469.

[8] ديوان ابن هانئ الأندلسي، صص296،297.

وَإنِّي وَإِنْ شَطَّتْ[1] المَزَارُلراجعٌ إلى وُدِّ قَلْبٍ في ثَرَاك مُخَيِّمِ

ولولا قَطِين في قَصِيٍّ من النَّوى لَما كان لي في الزَّابِ من مُتَلوّمِ[2]

اختلفت رواية المؤرخين في زمن وصول ابن هانئ إلى برقة ومكثه فيها ،هل كان ذلك عند عودته لأخذ عياله أم عند توجهه إلى مصر برفقة المعز؟و لقد ذكر ابن الأثير و ابن خلدون أن ابن هانئ شيع المعز الفاطمي عند رحيله إلى مصر حتى وصل معه إلى برقة،وهنا بقي أياما قبل أن يكمل رحلته إلى الزاب لأخذ عياله والتي لم تتم بسبب موته[3]،بينما ذكر ابن خلكان و ابن الأبار وابن الخطيب أن مكوثه مكوثه ببرقة كان عند عودته من المغرب ،وتوجهه إلى مصر ليلتحق بالمعز،وقد أخذ أهله معه[4]،ولعل البيتين السابقين يؤيدان هذه الرواية، لأن القصيدة التي تضمنتهما تعتبر آخر قصائد الشاعر في مدح المعز لدين الله،وقد بعثها إليه بالقاهرة وهو بالمغرب[5]،وبالتحديد بالزاب حيث يوجد عياله.وهذا يدل على أنّه عاد مرة أخرى إلى مدينة المسيلة بعدما كان في رفقة المعز[6]،وأنّه بقي هناك مدة قبل أن يعاود يعاود السفر مرة أخرى مصطحبا معه عائلته إلى حيث يوجد خليفته المعز مارًا ببرقة.

وفي برقة استضافه أحد أهلها للراحة،في مجلس أنس.وفي صباح أحد الأيام، وُجد ابن هانئ ملقى في الطريق، وقد فارق الحياة،ولم يعرف سبب موته[7] ،ولذلك تعددت الروايات حول تفسير السبب وراء هذه الوفاة، وقد ذكرها ابن خلكان في وفياته، وهي ثلاث روايات،أولها أن أهل المجلس الذين كان معهم عربدوا عليه، وتسببوا في قتله.وثانيها أنه خرج من تلك الدار ،وهو سكران فنام في الطريق،وأصبح ميتا، ولم يعرف سبب موته[8]،إلا أن ابن الخطيب ينفرد بزيادة في

---

[1] شط :بَعُد، من شَطَّتِ الدارُ إِذا بَعُدت".ابن منظور،لسان العرب، مادة (شطط) ،ج7،ص119.

[2] القطين:القُطُون الإِقامة قَطَنَ بالمكان يَقْطُنُ قُطُوناً أَقام به ...والقَطِينُ أَهل الدار". ابن منظور،المصدر السابق، مادة (قطن) ج 11/ص231.

المتلوّم:" تَلَوَّمَ في الأمر تمكّث وانتظر ...والتَّلَوُّم الانتظار والتلبُّثُ".المصدر نفسه،مادة (لوم) ،ج12،ص360.

[3] ابن الأثير، الكامل،ج7،ص331.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص63وعند ياقوت الحموي أنّه بعدما رحل المعز إلى مصر استأذنه ابن هانئ في الرجوع إلى المغرب لأخذ عياله، فأذن له، فخرج يريد بلده، فلما بلغ برقة بقي فيها مدة للراحة. ياقوت الحموي، معجم الأدباء،ج5،ص469

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج4،ص422. ابن الأبار،التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص296.ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص293.

[5] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص283.

[6] أحمد خالد،ابن هانئ،ص13.

[7] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ص422.

[8] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص422وقد أكد ابن خلدون أنّه مات مقتولا ولكن دون أن يكشف عن هوية قاتله.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص63.

هذه الراوية عن غيره، فذكر أنّه نام عريانا، وكان البرد شديدا،فأفلج، فكان ذلك سبب موته[1].أما الرواية الثالثة فهي أنّه وُجد في سانية من سواني برقة مخنوقا بتكة سراويله[2]،أما ابن الأثير وابن خلدون فيصرحان أنّه لم يمت موتا طبيعيا وإنّما وُجد مقتولا ملقى بجانب البحر و لا يُعرف من قتله[3].

وهناك رواية أخرى للدَّواداري تفيد أن ّالمتهم بقتله هو تميم ابن المعز بسبب الغيرة الأدبية والتنافس المهني الذي كان بينهما، ولم يستبعد محمد اليعلاوي صحة هذه الرواية[4].ويرى محمد زاهد شارح ديوان ابن هانئ وعارف تامر أنّ اغتياله كان كان سياسيا،وأنّ قاتليه هم بنو أمية بالأندلس أعداء الفاطميين، بسبب ما كان يظهره في شعره من ذم وعداء شديد لهم،مما جعلهم يقلقون منه ويخشونه على دولتهم.[5] ولكن يظهر أنّ هذا الرأي يعارضه أمران، أولهما أنّه كان في مقدور الأمويين أن يتخلصوا من خصمهم ابن هانئ في بداية رحلته إلى المغرب أو حينما كان قريبا منهم بإقليم الزاب،ولا ينتظروا كل هذا الوقت ليغتالوه بتلك الطريقة، والأمر الثاني، فيبدو أن أصحاب هذا الرأي _ وهما من الإسماعيليّة _ يُظهران تعاطفا مع الشاعر،ويحاولان الدفاع عنه و تبرئته من كل ما يلوث سمعته[6].

وممّا سبق،يظهر أنّه رغم تعدد الروايات والآراء حول السبب في وفاة ابن هانئ إلاّ أنّ هذه القضية تبقى غامضة و لغزا محيّرا. وأما عن السنة التي توفي فيها،فقد ذكر ابن خلكان أنّه مات يوم الأربعاء من شهر رجب سنة 362هـ[7]/29_ 4_ 973مـ[1]، وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنتا وأربعون سنة[2].

---

[1] ابن الخطيب،الإطاحة في أخبار غرناطة،مج2،ص293.

[2] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص422. ذكر ياقوت الحموي الرواية الثالثة فقط دون الروايتين الأولى والثانية.

ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج4،ص469.

[3] ابن الأثير، الكامل،ج7،ص331. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص63.

[4] الدّواداري،كنز الدُّرَر و جامعُ الغُرَر،ج6،ص254.محمد اليعلاوي، ابن هانئ الأندلسيّ،صص133،134.

[5] محمد اليعلاوي، ابن هانئ الأندلسيّ،صص132،133،134.عارف تامر، ابن هانئ الأندلسيّ،صص9،10.

[6] محمد اليعلاوي، ابن هانئ الأندلسيّ،ص134.

[7] عند ابن خلكان "السبع ليال بقين من رجب".ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص422.وزاد ابن خلدون آخر رجب.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص63.ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج5،ص469.عند ابن الخطيب أنها سنة361هـ.ينظر ابن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،ص293. وابن الأبار يذكر أن وفاته كانت سنة 361هـ ثم ينقل عن كتاب "قراضة الذهب" لابن الرشيق أنها سنة 362هـ. ابن الأبار،تكملة الصلة،ج1،ص296.و يضيف الصفدي إلى السنة التي نقلها عن ابن خلكان، سنة أخرى هي سنة365هـ/976مـ . ينظر محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص111. ويدعم أحمد خالد الرواية التي تحدد تاريخ وفاة ابن هانئ في سنة =

ب_ مكانة ابن هانئ الأدبية: يلاحظ أن الشاعر ابن هانئ الأندلسي،قد وُجهت له انتقادات وطعون تتعلق بشخصه وبشعره،واختصرت حياته اختصارا من بعض المؤرخين الأندلسيين كالحميدي،والذي أورد له ترجمة مختصرة.ولعل سبب هذا الإهمال الظاهر لحياة ابن هانيء من بعض المؤرخين الأندلسين،قد ترجع إلى اعتناقه المذهب الإسماعيليّ المغالي في التشيُّع[3]، وتسخير شعره في مدح الفاطميين ، والطعن في خصومهم الأمويين بالأندلس،ولهذا نجد من النقد الذي وجه إليه غلوه في مدح المعز الفاطمي، فالحميدي في كتابه" جذوة المقتبس" ينتقده بقوله:" مدحه غالى باستيجاز أوصاف أنكرت عليه واستعظمت."[4]و ذكر ابن الأبار هذه الملاحظة نفسها في تكملته بقوله:"وغلا في أمداحه بأوصاف أنكرت واستعظمت."[5] ووجه أيضا ابن شرف هذا الانتقاد نفسه لابن هانئ في مقاماته حيث قال عنه:"...ناهيك من رجل يستعين على صلاح دنياه، بفساد أُخُراه،لرداءة دينه،وضعف يقينه.ولو عقل ما ضاقت عليه معانى الشعر،حتى يستعين عليه بالكفر."[6]

وعلى الرغم من هذه الانتقادات التي تأخذ على ابن هانئ عقيدته المذهبية يظل شعره متمتعا بالقيمة الأدبية؛فهو حسب اعترافات خصومه "نجدى الكلام،سردي النظام."[7]و شعره "محسن مجود"[8] غير " أنّ قعقعة الألفاظ أغلب على

=

362هـ ببيت من ديوانه يثبت أنّ المعز دخل إلى مصر،وبالتحديد ما جاء في قصيدة أنشدها مادحا الخليفة المعز،وهو قوله[**الكامل**]:

هـا إنَّ مِصْـرَ غـداةَ صِـرْتَ نرى لِتَحْسُدها بِك الأَقطارُ

ومادام من الثابت أنّ المعز وصل إلى مصر سنة 362هـ،فمن غير الممكن أن يكون ابن هانئ معه في طريقه إليها.وبالتالي لم تكن وفاته سنة 361هـ ،وإنما بعددخول المعز إلى مصر.أحمد خالد،ابن هانئ،ص13. وينظر أيضا ديوان ابن هانئ الأندلسي،صص138،142.

[1] عمر فرّوخ،تاريخ الأدب العربي،ج4،ص267.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج4ص422. واكتفي ابن الخطيب بذكر عمره الذي كان عند وفاته اثنان وأربعون سنة.أما ياقوت الحموي، فذكر أن عمره جاوز الأربعين.ينظرابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص293.ياقوت الحموي،معجم الأدباء،ج5،ص469.

[3] أحمد خالد،ابن هانئ،صص10،46.

[4] الحميدي ،أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الأندلسي،جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي.بيروت: دارالكتب العلمية،ط1،سنة1997،ص85.

[5] ابن الأبار،المصدر السابق،ج1،التكملة لكتاب الصلة،ج1،ص296.

[6] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص290.

[7] المصدر نفسه،مج2،ص290.

[8]لحميدي ا الأندلسي أبومحمد بن عبد الله الأزذي ،جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي،ص85.

شعره."[1]وابن الرشيق أيضا يصفه بأنّه صاحب " جلبة وقعقعة بلا طائل معنى،إلا في القليل النادر"[2].والرأي نفسه يذهب إليه ابن شرف الذي وسم شعره بضيق المعاني[3] . ويوجه المعري لشعر ابن هانئ المأخذ نفسه ، فيشبهه "برحى تطحن قرونا لأجل القعقعة التي في ألفاظه"الفارغة من كل معنى.[4]

ولكن كثيرا ممن ترجم لابن هانئ من المؤرخين اعترف له بشاعريته العالية، وامتياز شعره بالجودة والعمق،وجعلوه في نفس المنزلة التي لأبي الطيب المتنبي بالمشرق.فابن خلكان الذي أمدنا بترجمة وافية عن هذا الشاعر، قد أظهر دفاعا مستميتا عن شعره والرد على خصومه، فلم يكد يورد مقولة المعري عنه، حتى رد عليه بقوله:" ولعمري ما أنصفه في هذا المقال وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبي وبالجملة فما كان إلا من المحسنين في النظم."[5]وبعدما ذكر له أبياتا من شعره علق عليها قائلا:" وفي هذا الأنموذج دلالة على علو درجته وحسن طريقته وديوانه كبير ولولا ما فيه من الغلو في المدح والإفراط المفضي إلى الكفر لكان من أحسن الدواوين وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الإطلاق وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة وكانا متعاصرين."[6]

ويوضح ياقوت الحموي في "معجم الأدباء"،أن ابن هانيء"أديب شاعر مفلق،أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة." [7] وقد وصفه المؤرخ والأديب الأندلسي لسان الدين بن الخطيب في كتابه " الإحاطة في أخبار غرناطة" بقوله:"كان من فحول الشعراء،وأمثال النظم، وبرهان البلاغة،لا يدرك شأوه،ولا يشق غباره."[8] وهو أيضا"العقاب الكاسرة،والصّمصامة الباترة،والشوارد التي

---

[1] المصدر نفسه،ص85.

[2] ابن رشيق،أبوعليّ الحسن،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تحقيق عبد الحميد هنداوي.بيروت:المكتبة العصرية،سنة 1424هـ/2004م،ج1،ص112.

[3] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص290.

[4] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج4،ص424ومن النقاد المعاصرين الذين يؤيدون هذه النظرة لشعر ابن هانئ "بطرس البستاني"،حيث ذكر في كتابه "أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث" أن طريقة ابن هانئ في نظمه للشعر "تقوم على اعتماد الألفاظ الغربية التي يشتد وقعها على الآذان، ويبنيها في التركيب بناءً جزلاً فتخرج منها موسيقى ذات قعقعة وضجيج" ،وفي نظره أن ابن هانئ يهتم في شعره باللفظ أكثر منه للمعنى.بطرس البستاني،أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث _ حياتهم _ آثارهم _ نقد آثارهم.لبنان:دار مازن عبود،دون تاريخ،ص86.

[5] ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج4،ص424.

[6] المصدر نفسه ،ج4،ص424.

[7] ياقوت الحموي،معجم الأدباءج5،ص468.

[8] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص289.

تهادتها الآفاق،والغايات التي أعجز عنها السباق."[1]و عندما يمنح ابن الخطيب ابن هانئ هذه الأوصاف وشهادات التقدير، إنما ينظر إليه بمنظار الأديب النقادة أكثر ممّا ينظر إليه من الزاوية المذهبية والمعتقديّة.

خلاصة القول، إن النقاد انقسموا في تقييمهم لشعر ابن هانئ إلى فئتين مختلفتين،فئة نددت و قللت من قيمته الأدبية، وفئة أخرى أيدت وأظهرت إعجابها بشعره،"وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق".[2] وتأسيسا على ذلك،فهذا شهادة شهادة على شاعريته.إذ لو أتيح له طول العمر لاستطاع المغرب أن يفاخر" به شعراء المشرق،" [3]كما قال عنه الخليفة الفاطمي المعز،بعدما بلغه نبأ وفاته.

ج_علاقة ابن هانئ بأسرة بني حمدون:

بدأت علاقة ابن هانيء الأندلسيّ بأسرة بني حمدون والتحاقه ببلاط جعفر بعد اجتيازه العدوة بسنة أو نحو ذلك، أي حوالي سنة 959/348مـ[4] أو سنة349هـ[5].فبعدما التقى بالقائد جوهر في أثناء حملته بالمغرب الأقصى ومدحه،لم ومدحه،لم يجد عنده ما يرجوه من العطاء الكثير والعناية،فأشاروا عليه بالجعفرين[6]،أي جعفر وأخيه يحيى[7].وقد ذكر ابن خلدون أن جعفر كان مشاركا في حملة القائد جوهر بالمغرب الأقصى[8]،وبناءً على ذلك يحتمل أن أول أول اتصال[9] كان بين ابن هانئ وأمير الزاب تمّ في هذه الحملة[10]،وليس بمدينة المسيلة كما أورد ذلك ابن سعيد والدَّواداري [11]،وربما بعد هذا اللقاء استصحب الأمير الشاعر معه إلى الزاب عند عودته إلى ولايته[1] .

---

[1] لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،مج2،ص290.

[2]ياقوت الحموي، معجم الأدباء،ج5،ص468.

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج4،ص422.

[4] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص47.

[5] أبو القاسم محمد كرّو،ابن هانئ الأندلسيّ.تونس:الدار العربية للكتاب،سنة 1984،ص15.

[6] ويقصد بالجعفرين أيضا جعفر بن عليّ وجعفر بن فلاح .عمر فرّوخ،تاريخ الأدب العربي،ص267.

[7] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص118. ويفهم من ابن الأبار و الدواداري أن ابن هانئ رحل من الأندلس إلى المغرب قاصدا مباشرة الأمير جعفرا لما وصله عنه وهو بالأندلس من إكرامه للشعراء ،وإكثار العطاء لهم. ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1،ص305. الدواداري، كنز الدرر،ص242.

[8] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص59.

[9] وذكر الدواداري أن أول قصيدة نظمها ابن هانئ في مدح الأمير جعفر عند اتصاله الأول به هي التي جمع فيها أوصاف النجوم والكواكب وأطال في ذلك،ولشدة إعجاب الرواة بها أطلقوا عليها **"القصيدة الفلكيّة"**.الدواداري، كنز الدرر،ص242.محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص113.

[10] محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص52.

[11] وقد ذكر ابن سعيد و الدواداري حكاية يبدو أنّها مختلقة وخرافية،وخلاصتها أن ابن هانئ لما علم أن =

أما عن سبب تفضيل ابن هانئ اللجوء إلى أمير الزاب، فيعود إلى ما اشتهر عن جعفر من الكرم وكثرة العطاء ،وترحيبه للأدباء والشعراء ببلاطه،وإنعامه عليهم.هذا من جهة، ومن جهة أخرى،وجد ابن هانئ أن الأميرين جعفرا ويحيى يشتركان معه في الموطن ،فهما مثله من الأندلس ،ومن الإلبيرة[2]،وعبر ابن خاقان في مطمحه عن هذا القاسم المشترك بقوله:" ...وأزعجته الأندلس،فخرج على غير اختيار،...إلى أن وصل إلى الزاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية،**مأوى تلك الجنسية**"[3] . وأيضا يلتقي معهما في الأصل العربي اليمني.

ولعل اشتراك الشاعر ابن هانئ و بني حمدون في الموطن والأصل،هو ماجعل علاقته بهم عميقة، بحيث يعتقد قارئ القصائد التي خصصهالهم أنّه واحد منهم ،فهو لا يكتفي بمديحهم كما تعود مع غيرهم من الممدوحين .بل كان يشاركهم أفراحهم وأتراحهم[4].ونلاحظ أنّه نظم ثلاث قصائد رثائية[5] في مواساة عائلة بني حمدون في مصابهم؛اثنتان في رثاء أم جعفر ويحيى [6] ،والثالثة في موت ابن جعفر[7].كما نراه ينظم شعرا في مرض أصاب الأمير جعفر، وفي يحيى حينما عالج نفسه بالفصد[8].ونلاحظ أن ابن هانئ قد عدد بعض أفراد أسرة بني حمدون في شعره،فهو يناديهم **ببني عليّ**،ويأتي بأسمائهم وكناهم،**فجعفر** يكنيه أبا أحمد[9]،ويحيى يكنيه أبا زكرياء[10]. ويذكر أنّ إبراهيم بن جعفر له ولد اسمه عليّ[11]. ويرى ابن هانئ أن ميمونة بنت علاهم أمٌ لجعفر ويحيى معا [المتقارب] :

وإنَّ حصانًا نَمَتْ جعفرًا يَحيى لَعاديَّةُ المُنتَمى

=

الوصول إلى ملك الزاب جعفر صعب،أعمل الحيلة،وتزي بزي بربري ،ثم حينما استطاع الدخول إلى بلاط الأمير جعفر ،كشف عن حقيقته و أظهر براعته في الشعر، فأُعجب به جعفر وضمه إلى مجلسه،ليصبح شاعره الخاص. ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،تحقيق شوقي ضيف.القاهرة:دار المعارف،ط3،سنة1955،ج2،ص97.الدواداري،كنز الدّرر وجامع الغُرر ،صص246،247.

[1] محمد اليعلاوي، ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص119.

[2] محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص51.

[3] ابن الخاقان،مطمح الأنفس،ص107.

[4] محمد اليعلاي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص54.

[5] أحمد خالد،ابن هانئ،ص44.

[6] ينظر ديوان ابن هانئ الأندلسيّ،صص30،154.

[7] المصدر نفسه ،ص112.

[8] ينظر المصدر نفسه،ص103.

[9] ينظر المصدر نفسه ، ص115.

[10] ينظر ديوان ابن هانئ الأندلسيّ ،ص66.

[11] المصدر نفسه،116.

فجاءت بهذا كشمس النهار؛ وجاءت بهذا كبدر الدُّجى[1]

ولا ينسى ابن هانئ[2] أن يحدثنا عن أم جعفر ويحيى ،ويفهم من مدحه لها بأنّها بأنّها من أسرة كبيرة وذات شأن ،وأنّ والدها قد يكون سيدا ورئيسا في قبيلته وقومه[**المتقارب**]:

لَمْ تَكُ مِن قومها في الصَّ ومِن مجدها في أَشَمّ الذُّرى
فَمِن قومكَ الصِّيدُ[3] صِيْدُ الملوكِ ومن قومها الأسْدُ أُسْدُ الشرى[4]

ومما يدل على الارتباط الوثيق بين ابن هانئ وأسرة بني حمدون، أنه لم يفرد شعره لفرد واحد من هذه الأسرة،بل نجده يوزع قصائده ومدائحه على أفرادها، فقد خلد في شعره الأمير جعفرا وأخيه يحيى ، وإبراهيم بن جعفر.وهذا بخلاف ما نجده في قصائده التي نظمها في ممدوحيه الذين اتصل بهم ،إذ اكتفى بمدحهم فقط.ونجد أن معظم ديوانه متعلق بأسرة بني حمدون،حيث نظم تسعا وعشرين قصيدة خاصة بأمراء المسيلة[5].و خصص خمس عشرة قصيدة ومقطوعتين في مدح جعفر،أما يحيى فقد مدحه بخمس قصائد وأربع مقطوعات،كما مدحهما في قصيدة مشتركة[6].و عدد الأبيات التي نظمها فيهما معا ألفان وستمائة وستة وأربعون(2640بيتا)[7].

وقد صرح ابن هانئ[8] عن العلاقة المميزة والقوية التي تربطه بأسرة بني حمدون،إذ اعتبر نفسه واحدا منهم[**الكامل**]:

و دّنا لتجمعُنا وهذا الحيِّ بِكْرِ أَذِمَّة[9] سالفٍ لم تُخْفَرِ[1]

---

[1] المصدر نفسه،ص34.

[2] المصدر نفسه،ص34.

[3] الصَّيَدمَصدر الأَصْيَد،وهو الذي يرفع رأْسه كِبرًا؛ومنه قيل للملك:أَصْيَدُ لأنه لا يلتفت يمينًا ولا شمالاً ".ابن منظور،لسان العرب،مادة(صيد)،ج7،ص451.

[4] الشرى:"موضع تُنسب إليه الأسود".المصدر نفسه،مادة(شري)،ج7،ص107.

[5] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص47. ويرى محمد كرّو أن ابن هانئ نظم أكثر من ثلاثين قصيدة في جعفر وأسرته.محمد كرّو، ابن هانئ الأندلسيّ متنبي المغرب،ص15.

[6] وأما الخليفة المعز فقد مدحه ابن هانئ بإحدى وعشرين قصيدة ومقطوعتين ، وسميت كلها بـ" المعزّيات". أحمد خالد، ابن هانئ،ص45. وعدد الأبيات التي قالها فيه ابن هانئ(1774) بيتا.عمر فرّوخ،تاريخ الأدب العربي،ج4،ص268.

[7] أحمد خالد، ابن هانئ ،ص45.وعند عمر فرّوخ أن عدد الأبيات الشعرية التي نظمها ابن هانئ في جعفر وآله(1631) بيتا.

[8] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص152.

[9] الأذِمّة: "الذِّمامُ والمَذَمَّةُ الحق والحُرْمة والجمع أَذِمَّة".ابن منظور،لسان العرب،مادة (ذمم) ،ج5،ص 59.

حلافُنــا فكأنّنــا مــن نِسْــبةٍ ﴿لِـداتُنا[2] فكأنّنــا مــنْ عُنصــر[3]

ويؤكد الشاعر[4] أيضا على ارتباطه ببني حمدون من حيث النسب[**الطويل**]:

مهلاً !بني عمِّي وأعيانَ معشري وأملاك قومي والخضارمَ[5] من نجري[6]

وقال أيضا[ ]:

فلا تُرْهقوني بالمزيدِ فحسبُكم		و حسبي لد يكم ما تَرَوْنَ من المَقْ[7]

وفضلا عن ذلك نجده يشيد بالنسب اليمني القحطاني لبني حمدون،ويكثر من الإشارة إليه في مدائحه لهم،فهو يخاطب جعفرا مادحاومفاخرا بالنسب اليمني[**المتقارب**]:

فلــو نُسِــتْ يَمَــنٌ كلّ هـــا إليـك، لقلنــا لهــا:لاجَــرَمْ[8]

ثم إنّ ابن هانئ[9] يبالغ في مدح جعفر فيجعله كملوك حمير اليمنيين[**الكامل**]:

أبَنــي العَــوالي السَّــمهريَّة[10] فِ المَشْـرَفِيَّة والعَديـدِ الأكثـر

مَــنْ مـنكم المَلكُ المطــاعُ كأنّــه تحـتَ السـوابغ تبَّـعٌ فـي حِميَـر

ونرى ابن هانئ[11] يعتز أيضا بنسبه اليمني الأزدي[**الطويل**]:

انِيَّــةٌ فــي نَجْرهــا أَزدِيَّــةٌ صِّــلها نَظْمًــا وأحْكِمُهـــا[12]

ثم نجده دائما يذّكر أمراء بني حمدون بشرف نسبهم اليمني القحطاني،ممّا يدل على دور العصبية اليمنية في دفع الشاعر إلى بلاط المسيلة،وقوة ارتباطه بأسرة

---

[1] تخفر:خَفَرَتْ ذِمَّةُ فلان خُفُوراً إذا لم يُوفَ بها.وأَخْفَرَه نقض عهده وخاسَ به وغَدَره."المصدر السابق،مادة(خفر)،ج4،ص152.

[2] اللدات:واللِّدةُ التِّرْبُ والجمع لِداتٌ ولِدُون[في الأصل: النساء اللواتي هنّ في سنّ واحدة]"ابن منظور،لسان العرب،مادة(ولد)،ج15،ص394.

[3] عنصر:" العُنْصَر الأَصل".المصدر نفسه،مادة(عنصر)،ج9،ص427.

[4] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص149.

[5] الخضارم:"الخِضْرم:الكثير من كل شيء...والجمع خضارم وخضارمة." المصدر نفسه،مادة(خضرم)،ج4،ص125.

[6] النجر:"الأصل والحسب". المصدر نفسه،مادة(نجر)،ج14،ص51.

[7] أُرهِق:"أرهقه عسرا أي كلّفه إياه،تقول لا ترهقني...أي لاتعسرني."المصدر نفسه،مادة(رهق)،ج5،ص345.

[8] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص301.

[9] المصدر نفسه،ص150.

[10] السمهريّ:"الرمح الصّليب العود."ابن منظور،لسان العرب،مادة(سمهر)،ج6،ص377.

[11] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص196.

[12] رصفا: "الرَّصْفُ ضَمُّ الشيء بعضِه إلى بعض ونَظْمُه رَصَفَه يَرْصُفُه رَصْفاً فارْتَصَفَ وتَرَصَّفَ وتَراصَفَ".ابن منظور،لسان العرب،مادة(رصف)،ج5،ص227.

بني حمدون[1].وهم عنده "ذَوو التيجان منْ **يمَنِ** ..."[2] و "ملوك **بني قحطانَ**..."[3] و **قحطانَ**..."[3] و أيضا" **أقيالُ قحطانَ** كلها..." [4]

و يحرص ابن هانئ[5] في مواقف كثيرة على إبرازعمق العلاقة التي تربطه ببني حمدون[**المتقارب**]:

تَشَـــيَّعَ فـــيكُم لِســـاني ومَـــنْ **تَشيَّـــعَ فـــي قـــوله لـــم يُلَـــمْ**

لســـتُ أُبـــالي بـــأيٍّ بـــدأتُ **بفخـــري:بكـــم أو بمـــدحي لكـــمْ**

ـإن طِفقَـــتْ والـــهٌ بيننـــا **تَحِـــنُّ حنينًـــا فتلـــك الـــرَّحِمْ**

ونجده يُعبر عن الرعاية التي وجدها عند بني عليّ ،وبالأخص ما ناله من عطف جعفر بن عليّ وأخيه يحيى .لذلك عندما انسدت أمامه الطرق،وصار بدون معين أو نصير،التجأ إليهما،فأغدقا عليه الأموال والهبات الكثيرة،وغيّرا فقره و حزنه بالنعيم والمرتبة العالية والرفاهية،لهذا فهو يجهر بهذا الإحسان ويفخر به في قوله[6] [**الكامل**]:

أبَنـــيّ علـــيٍّ !لا كفـــرتُ أياديـــاً **أغلَيْتَنـــي فـــي عصـــرِ لـــؤم مُرْخَصِ**

جـــاورتُكم فجَبـــرتُم مـــن أعظُمِ **وُصلتُم من رِيشِيَ المتحصِّصِ**[7]

وقد أشاد في كثير من شعره بالعناية التي لقيها من جعفر على وجه الخصوص، فهو يعبر في الأبيات التالية عن تعلقه الشديد بجعفر وتشوقه إلى ملاقاته بسبب التكريم الذي أفاضه عليه.ومن ثم غدا الزاب بالنسبة إلى ابن هانئ[8] هانئ[8] جنة الخلد،و الوطن الأثير الذي لابديل عنه[**الطويل**]:

خليلَـيَّ أيـن الـزّابُ عنّـا وجعفـرُ **وجنـةُ خُلْـدٍ بِنْـت عنهـا وكَـوثرُ**

فقبلـي نَـأى عن جَنَّـةِ الخُلْدِ آدمٌ **فما راقَه في ساحةِ الأرض مَنْظَرُ**

خليلـــيَّ مـــا الأيّـــامُ إلاَّ بجعفـــر **وما النَّاسُ إلاّ جعفرٌ،دَامَ جعفرُ**

---

[1] محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص51.

[2] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص53.

[3] المصدر نفسه،ص199.

[4] المصدر نفسه،ص102.

[5] المصدر نفسه،ص301.

[6] المصدر نفسه،ص172.

[7] المتحصّص: "حصَّ شعَرُهُ وانْحَصَّ انْجَرَدَ وتناثَرَ وانْحَصَّ ورَقُ الشجر وانْحَتّ إذا تناثر ورجل أَحَصُّ مُنْحَصُّ الشعر وذنَبٌ أَحَصُّ لا شِعْرَ عليه".ابن منظور،لسان العرب،مادة،(حصص)،ج3،ص204 .

[8] ديوان ابن هانئ الأندلسي،صص161،162.

كما اعترف الشاعر[1] في قصائده بجميل يحيى بن عليّ الذي غيّر سوء حاله بحسن إحسانه ، فصارت حياته منعمة ومرفهة بعد خسر[**الطويل**] :

آليتُ لا أُعْطِي الزّمانَ مقادةً   على مثل يحيى ثم أُغضِي على قَذَى

فلا تسألا ني عن زماني الذي خلا   فوالعصر! أني قبلَ يحيى لفي خُسْر

ولقي ، أيضا ،الرعاية نفسها من إبراهيم بن جعفر[**الخفيف**]:

لــــولا نَوالُــــه آنفـــاً لــــم   يَكُ لي من شكايةِ الدهر مُشْكِ[2]

وهكذا لا نلفي الشاعر ابن هانئ يقر بإحسان أمراء المسيلة ،بل نجده يجلهم ويمجدهم في شعره حتى أنّه يرفع مقام الأمير جعفر مكانا عليا ،فهو عنده كالشمس والقمر علوا وإشراقا [**الكامل**]:

والمشـــرقاتُ النَّيـــرات ثلاثـــةٌ:   الشـــمسُ والقمـــرُ المنيـــر و جعفُرُ[3]

و لا جرم أن يتعرض ابن هانئ إلى الحسد والطعن في شخصه من خصومه بسبب ما حظي به من مكانة لدى جعفر بل إنّهم يتهمونه بالتقصير في مدح الأمير،ولكن ابن هانئ[4]يرد عليهم ردا مفحما[**الكامل**]:

إِنــي اختصرت لــك المـديحَ لأنــه   لــم يَشْــفِنِي فجعلتــُـه إغبابـــا[5]

والتَّنبُ في مدْحٍ رأيتُك فوقهُ؛   أيُّ الرَّجــال يُقــال فيــك أصـــابا

هُبْني كذي المحراب فيك ولُوَّمي   كالخَصْمِ حين تَسَوَّوروا المحْرابا[6]

ولكن ،على الرغم من عمق العلاقة التي تربط الشاعر ابن هانئ بالأمير جعفر إلاّ أنّه كان يعتريها في بعض الأحايين فتور.و الأبيات التالية تصور الجفوة التي حدثت بين الشاعر و أميره،حيث عبر عن عفافه واعتزازه بنفسه ،وبيّن أنّه ليس بالطامع في المال ،إذ يزوره قليلا ،ولا يبدي شكواه لأحد لأن نفسه الكريمة تأبى ذلك[**المتقارب**]:

أَذُمُّ إليـــكَ اعتِـــوارَ[7] الخُطـــوبِ   وصـــرفَ الحـــوادثِ فيمـــا أَذُمّ

---

[1]المصدر نفسه،صص 144،145.

[2] المصدر نفسه،ص228.

[3]المصدر نفسه،ص153.

[4] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص54.

[5] الإغباب: "أَغَبَّ القومَ وَغَبَّ عنهم جاءَ يوماً وترك يوماً...أَغْبَبْتُ القومَ وغَبَبْتُ عنهم من الغِبِّ جِئْتُهم يوماً وتركتهم يوماً.غَبَّ الرجلُ إِذا جاءَ زائراً يوماً بعد أَيام". ابن منظور،لسان العرب،مادة (غبب)،ج10،ص6.

[6] تسوَّروا: "تَسَوَّرَ الحائطَ تَسَلَّقَه ".المصدر نفسه،مادة(سور)،ج6،ص426.

[7]الاعتوار:" اعْتَوَروا الشيءَ وتَعَوَّرُوه وتَعاوَرُوه تداوَلُوه فيما بينهم".المصدر نفسه،مادة(عور)،ج9،ص471.

وممّـــا أعـــانَ علـــيَّ الزَّمـــان	**عفـــافُ يـــدي و عُلُـــوُّ الهَمَـــمْ**
فـــلا بــــالعَجُول ولا بــــالمَلُول	**ولا بالسَّـــــؤول ولا المُغتَـــــنِمْ**
إنـــي و إن تَرَنـــي قابِضًـــا	**جَنـــاحِي إلـــيَّ كَظيمـــا وَجِـــمْ**
قَلِّـــلٌ مـــن هَفَـــواتِ المـــزار؛	**أُبـــدي الغِنـــاءَ و أُخفـــي العـــدمْ**
فـــإنِّي مـــن العـــرب الأكـــرمينَ؛	**و فـــي أوّلِ الـــدَّهر ضـــاعَ**[1]

[2]

وفي المقابل نجد ابن هانئ يتخذ الأمير يحيى رفيقا و صديقا حميما .فكان يرافقه إذا خرج في الجيش لمهمة عسكرية،كما يتبين ذلك من القصيدة التي مدح فيها جعفرا بن عليّ [3].ويمكن تفسير الألفة بين الشاعر والأخ الأصغر لجعفر بتقاربهما في السن [4]،واشتراكهما في قرض الشعر[5].

و يبدو أنّ ابن هانئ بقي في بلاط جعفر بن عليّ أكثر من سنتين[6] قبل أن يرحل إلى الخليفة المعز ويقيم عنده،وقد علل ذلك بعض الباحثين بوفرة شعره عن بني حمدون،إذ رأوا أنّه من غير الممكن أن يكون نصف ديوانه الذي خصّ به هذه الأسرة قد أنتجه في مدة عامين.[7] وأغلب الظن أن رحيله إلى بلاط المعز كان كان حوالي سنة 353هـ/964م ،وهذا ما ذهب إليه محمد اليعلاوي وأبو القاسم محمد كرو[8]بالاستناد على أنّ أول قصيدة نظمها ابن هانئ بالقيروان/المنصورية كانت في سنة353هـ[9] .

ويلاحظ أنّ كثرة قصائده في أمراء بني حمدون ترجح استمراره في نظم قصائد المدح المتعلق بهم ،و إرسالها إليهم[10]. وهذا يعني أن علاقته ببني حمدون

---

[1]ديوان ابن هانئ الأندلسي، ص303.

[2] المصدر نفسه،ص303.

[3] يدل مطلع هذه القصيدة على أن ابن هانئ كان بعيدا عن الزاب وعن جعفر.ينظر المصدر نفسه،ص161.

[4] محمد طه الحاجري،مرحلة التشيّع في المغرب العربي،ص98.

[5] ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1،ص308.

[6] يرى بعض الباحثين ومنهم محمد الطمار أن الشاعر ابن هانئ بقي في بلاط جعفربن عليّ مدة عامين. محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج،ص110.

[7] ينظرمحمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،صص48،49و أبو القاسم محمد كرّو، ابن هانئ الأندلسي متنبي المغرب،ص15.

[8] محمد اليعلاوي،المرجع السابق،صص 4،49،122.أبو القاسم محمد كرّو، المرجع السابق،ص15.

[9] محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ،ص52.

[10] أبو القاسم محمد كرّو،ابن هانئ الأندلسيّ متنبي المغرب،ص15.

استمرت سواء عن طريق إرسال مدائحه إلى جعفر وهو ملازم للمعز ببلاطه[1]، أو أو أنّه ربما كان يزوره بين الحين والآخر بمدينة المسيلة.

وممّا يؤكد ذلك أنّه أشار في بيت من الشعر أنّ سبب عدم مواصلته الرحلة مع المعز إلى مصر هو أنّه ترك وراءه **"قَطِينٌ** _ويقصد عائلته_**في قَصِيٍّ من النَّوى،"** [2] أي في بلاد الزاب .ويُفهم من هذا أن الشاعر ربما كان له مقر ثابت بمدينة المسيلة، وبه تستقر أسرته،وأنّه كان يتردد عليها بين الحين والآخر [3].ومما [3]ومما سبق يتأكد أنّ ابن هانئ و رغم التحاقه ببلاط المعز إلاّ أنّ قلبه ظل متعلقا متعلقا بالأسرة الحمدونية ،وبمدينة المسيلة التي تُذكره بوطنه الأندلس[4].

وممّا يدل على وفاء ابن هانئ لأسرة بني حمدون ، أنّه لم يؤثر عنه أنّه نظم أبياتا في هجاء جعفر ويحيى حتى في حالة إظهار عدواتهما للفاطميين ،وانفصالهما عنهم وموالاة خصومهم الأمويين بالأندلس.ومن غير المستبعدأن تكون هذه القطيعة قد وصلت إلى مسامع ابن هانئ .ولكن يبدو أن محبته لهذه الأسرة وعمق علاقته بها منعه من أن يعبّر عن سخطه وغضبه عليهما تقربا وإرضاء لخليفته المعز[5].ويرى محمد اليعلاوي أنّ من دلائل وفائه لبني حمدون إهماله التام لخصومهم الصنهاجيين ،فلم يذكر زيري بن مناد وابنه بلكين في شعره، إن بخير أو شر ،ولم يمدحهما ولو بشطر بيت،رغم أنّهما أقرب إليه مكانيا،وأشد نصرة ودفاعا عن خليفته المعز[6].

وعلى العموم، يبدو أن المودة التي نشأت بين ابن هانئ وأسرة بني حمدون ،جعلته أكثر من مجرد شاعر متكسب متزلف لأمير يحب المدح والشعر،بل إن ظاهرة دفاعه عن عقيدته الشيعية الإسماعيلية المحببة إليه، والتي تغلب في مدائحه للخليفة المعز[7] لا نجد لها ذكرا في شعره أثناء تواجده بإمارة بني حمدون. ولم ترد ترد كلمة التشيع في قصائده الحمدونية إلا في بيت واحد يصف فيه سيف يحيىوذكر أنّه تشيعا[8] [**الكامل**]:

فــي كـفّ يحيــى منــه أبــيضُ عَـرَفَ المعـزَّ حقيقـةً فتشـيّعا[9]

---

[1] محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسيّ،ص52.

[2] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص297.

[3] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص48.

[4] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري،ص66. L.Golvin,Le Magrib Central a l'époque des Zirides,p159.

[5] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسيّ،ص88.

[6] محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص60.

[7] حنّا الفاخوري، تاريخ المغرب العربي، بيروت:دار الجيل،ط1،سنة 1996،ص60.

[8] ينظر محمد طه الحاجري،مرحلة التشيّع في المغرب العربي،ص98.

[9] ديوان ابن هانئ الأندلسي،ص186.

ومعنى هذا أنّ ابن هانئ حينما كان يعيش في كنف أسرة بني حمدون ،كان شاعرها الخاص أكثر منه شاعر الفاطميين ومذهبهم.والظاهر،أنّ صلة الشاعر ببني حمدون يغلب عليها الجانب الوجداني والعائلي والإنساني،بحيث يمكن وصفها بأنّها علاقة مودة وصداقة ووفاء[1]. حتى أننا لا نجد لها نظيرا في علاقته بممدوحيه الآخرين .

ويبدو أنّ ولاء بني حمدون للفاطميين قد أسهم بشكل كبير في توطيد أركان إمارتهم بإقليم الزاب،وعزز حضورهم السياسي والعسكري والثقافي والاقتصادي على الرغم من انشغالهم بصد الثورات المهددة للخلافة الفاطمية،ودفع أطماع القبائل المتحالفة مع خصومهم الأمويين بالأندلس.ولكن بدا واضحا أنّ هذا الولاء قد ضعف وانتهى إلى قطيعة مع الفاطميين.ولاشك أنّ هذه النهاية لم تأت من فراغ،وإنّما كان لها ظروفها وأسبابها،وهذا ما سنقف عنده لاحقا.

[1] محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص54.

الفصل الخامس

قطيعة بني حمدون مع الفاطميين واللجوء إلى الأندلس

- ❖ بنو حمدون وتغيير الولاء من خدمة الفاطميين إلى خدمة الأمويين بالأندلس
- ❖ لجوء بني حمدون إلى الأندلس و دورهم في خلافة الحكم المستنصر الأموي
- ❖ دور بني حمدون في دولة الحاجب المنصور بن أبي عامر
- ❖ النهاية السياسية لأسرة بني حمدون

عرفت الدولة الفاطمية في صراعها مع الدولة الأموية بالأندلس خروج بعض القوي السياسية الموالية لها عن خدمتها إلى موالاة أعدائها الأمويين،ولكن هذا التغيير في الولاء لم يكن حدثا كبيرا ومفصليا كالذي أحدثه انفصال جعفر بن عليّ عامل المسيلة وإقليم الزاب عن الفاطميين، ورحيله إلى الأندلس لخدمة الأمويين.وبالطبع هذا التحوّل في المواقع كان له دوافعه ،وانعكاساته العميقة على شتى المستويات.وبخاصة ما تعلق بدور أسرة بني حمدون في محيطها الأندلسيّ الجديد.

1_ بنو حمدون وتغيير الولاء من خدمة الفاطميين إلى خدمة الأمويين بالأندلس:

تتجلى أهمية القطيعة بين أسرة بني حمدون الأندلسية والخلافة الفاطمية من خلال كونها ، أثرت بشكل كبير في موازين الصراع السياسي القائم بين الخلافة الفاطمية والخلافة الأموية. ويرجع هذا التأثير إلى مجموعة من العوامل .فالعامل الأول يعود إلى المنزلة التاريخية و السياسية لهذه الأسرة ؛فهي من أعرق الأسر وأقواها خدمة،وإخلاصا،والتصاقا بالفاطميين مذهبيا وسياسيا في مرحلة الدعوة ،و في تأسيس الدولة وبنائها،وكانت لهم سندا قويا وحليفا استراتيجيا في مواجهة الخطر الأموي الزناتي. وذلك بعكس الولاءات الظرفية والمصلحية التي كانت تظهر من بعض الشخصيات الزناتية المكناسية، أو اليفرنية[1].

والأمر الثاني فإن هذه القطيعة ترتب عنها تصفية زيري بن مناد الصنهاجي،أحد أقوى المدافعين عن النفوذ الفاطمي،والمهددين للتواجد الزناتي الأموي بالمغرب.وأما الأمر الثالث،فإن هذه القطيعة وقعت في مرحلة صعبة وحرجة،وهي تجهز الخليفة الفاطمي المعز للرحيل عن المغرب إلى مصر،وبحثه عن الكيفية التي يحافظ فيها على نفوذ وسلطة دولته في المغرب،بعد رحيله،وتخوفه من الزحف الزناتي الأموي على ما تمتلكه الدولة الفاطمية من أقاليم في منطقة المغرب.

ومن ثم نتساءل لماذا قرر جعفر بن عليّ وأخوه يحيى الانفصال عن أسيادهما الفاطميين،وتخليهما عن إمارتهما وملكهما بالمسيلة وإقليم الزاب،وتفضيل الدخول في طاعة وخدمة خصوم الأمس؛بني أمية بالأندلس؛رغم أن ماضي أسرتهما و مصلحتهما يقتضيان المزيد من التقرب،والتودد للدولة الفاطمية؟

---

[1] ومن أبرزهم موسى ابن أبي العافية المكناسي الذي كان مواليا للفاطميين، ثم أعلن استقلاله عنهم وخلع طاعتهم بالمغرب الأقصى، وتحالف مع الأمويين بالأندلس ،ودخل في طاعة عبد الرحمن الناصر سنة 319هـ.ومن هذه الشخصيات أيضا حميد بن يصل المكناسي الذي كان مواليا للفاطميين، ثم انقلب عليهم،وكذلك يعلى بن محمد اليفرني صاحب تيهرت .ينظر ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،صص171،177.ج7،صص24،25.الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،صص226،307،308،343.

ويبدو أنّ السبب الأصيل لهذه القطيعة السياسية هو تلك العداوة التي كانت بين جعفر عامل المسيلة، وجاره زيري بن مناد عامل أشير[1]،والتي كانت نتيجة منافسة بينهما في محاولة للتقرب من الخليفة الفاطمي،والاجتهاد في خدمته قَصد أن يُوسع في ولايتهما،ويمنح لهما امتيازات أكبر[2]؛ولهذا فمن غير المستبعد أن يكون قرار المعز بضم ولاية تيهرت إلى زيري بن مناد قد أغضب منافسه جعفرا، وفي الوقت نفسه أثّر سلبا على علاقته بالخليفة الفاطمي،وقد أشار ابن الأثير أنّه لما " كثر تقدم زيري عند المعز ساء ذلك جعفرا،ففارق بلاده ولحق بزناتة." [3] وأكد أيضا ابن خلكان والنويري أن العداوة والمشاجرات التي كانت بين جعفر وزيري هي التي تسببت في الصدام العسكري بينهما و تخلي جعفر عن إمارته وهروبه إلى الأندلس[4].

و مما هيأ للعداوة أن تتوسع بين جعفر وزيري ،وتشتد ثم تتحول في النهاية إلى مواجهة عسكرية وتمرد على الدولة الفاطمية هو ما عزم عليه الخليفة المعز من الرحيل إلى مصر بعد أن تمكن من الاستيلاء عليها سنة358هـ/969م،وبالتالي فهو مضطر أن يرشح أحد عماله ومقربيه لكي ينوبه في ولاية إفريقية والمغرب[5]،وهذا الأمر زاد من شدة التنافس بين عامليه بمسيلة وأشير[6].

ويبدو أن هذا الأمر قد شغل الناس في ذلك الوقت،فظهرت إشاعات حول من يقع عليه الاختيار ليكون نائب الخليفة الفاطمي بالمغرب وإفريقية،ومن الذين أ ُشيع عنهم أنه المرشح لهذا المنصب،خادم المعز جوذر،والذي عبر عن انزعاجه من هذه الإشاعة،وراسل المعز يستفسره عن صحة هذا الأمر،ويطلب منه البقاء معه وملازمته ومرافقته إلى مصر، فرد عليه المعز بجواب طمأنه فيه و بدد مخاوفه،وأظهر له انشغاله

---

[1] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص35.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص334.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص107.النويري،أحمد بن عبد الوهاب ،تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب،تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف حمد. ص308. ابن أبي دينار،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ص74.

[2] ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص107.محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي،ص50.يحيى بو عزيز،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر،ص26.ابن أبي دينار، أخبار إفريقية وتونس،ص74.

[3] ابن الأثير،الكامل،ج8،ص334.

[4] ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص360.النويري،المصدر السابق،ص308.

[5] ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص205.أحمد بن أبي الضّياف،إتحاف أهل الزمان،ص165.

[6] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص64.محمد اليعلاوي،بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسيّ،ص50.

بموضوع الشخصية التي ستخلفه في حكم إفريقية والمغرب بحيث تكون لها القدرة على ضبط الأوضاع و موثوق بها من حيث ولاؤها المطلق للفاطميين[1].

و يظهر أنّ المعز قد وجد في عامله على المسيلة جعفر بن عليّ ،وعامله على أشير زيري بن مناد أمارات الشخصية القوية،والمؤهلة لخلافته على إفريقية والمغرب،فاهتدى إلى تقسيم التركة الفاطمية بالمغرب بينهما نصفين،فقد ذكر النويري أن المعز لما قام ببناء دار ابن رباح المعروفة بدار الإمارة في القيروان،شاع بين الناس أنها بُنيت لجعفر بن علي،وأنه يعطى ولاية إفريقية،بينما يعطى المغرب كله لزيري[2].وقد أشار ابن خلدون أن المعز استدعى جعفرا ليستخلفه على إفريقية قبل رحيله إلى القاهرة[3].ولعل الحل الوسط في اختيار المعز لنائبه بإفريقية والمغرب كان يريد به ترضية ومكأفاة عامليه المتنافسين في خدمة الدولة،وأيضا لكسب ولائهما بعد رحيله إلى مصر و الاستعانة بهما في المحافظة على ممتلكات الفاطميين بالمغرب.

والظاهر أنّ جعفرا لم يرض بهذا الحل، فإن المعز أرسل إليه[4] ليستخلفه على إفريقية،ولكنه امتنع عن المجيء ولم يظهر قبوله لهذا الطلب[5].فهو يطمح أن يكون الحاكم الحاكم الأوحد لإفريقية والمغرب معا[6]و كان يظن أنهما ستكونا من نصيبه،لأنّه ربما رأى نفسه أولى من زيري الصنهاجي بحكمهما ،فهو من نسب عربي يمني،فوالده عليّ وعمه محمد الأندلسي قد سخرا كل حياتهما في تأسيس الدولة الفاطمية والدفاع عنها حتى قبل قيامها،ثم إنّه يعتبر نفسه أقرب إلى الخليفة المعز من زيري الصنهاجي، فهو أخوه من الرضاعة،فلعل كل هذا جعله يصر على أن لا يشاركه في حكم إفريقية والمغرب شخص مثل زيري الصنهاجي البربري والذي كان ظهوره بعد قيام الدولة الفاطمية بمدة .ولكن لما تأكد أن الخليفة المعز مُصر على تقسيم إفريقية والمغرب بينه وبين خصمه

---

1 منصور الجوذري العزيزي،سيرة الأستاذ جوذر،ص109.الدشراوي، الخلافة الفاطمية،ص399.

2 النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص308.وقد أشار ابن خلدون أن المعز أراد استخلاف جعفر على إفريقية فقط وقد استدعاه لذلك.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص205.وعند ابن الأثير أن المعز أراد أن يستخلف يوسف بلكين بن زيري على الغرب لقوته وكثرة أتباعه.ابن الأثير،المصدر السابق،ج7،ص334. وذكر ابن أبي دينار أن الإشاعة كانت تتعلق بيوسف بن زيري وليس بجعفر، وأنّه شاع بين الناس أنّ المعز أرد أن يستخلف يوسف بن زيري على بلاد إفريقية كلها فأغضب ذلك جعفر .ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

3 ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص205.

4 عند النويري:أرسل إليه خادمه فرج الصقلي.النويري، المصدر السابق،ص308.

5 النويري،المصدر السابق،ص308.ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص205.الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية،ج1،ص67.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص355.وذكر ابن أبي دينار أن استدعاء المعز لجعفر للقدوم إليه كان أكثر من مرة ،وأنّه كرر عليه ذلك عدة مرات.ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

6 النويري،المصدر السابق،ص308. روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص67.

زيري زادت عداوته لزيري بن مناد و للفاطميين حتى انتهى به الأمر إلى الانفصال التام[1].

وإذا كان النويري وابن خلدون قد ذكرا أن الخليفة المعز فضّل تقسيم إفريقية والمغرب بين جعفر وزيري،فإنّ المقريزي أورد رواية مخالفة لهما مفادها أنّ المعز الفاطمي اختار في بداية الأمر جعفرا ليستخلفه على إفريقية والمغرب معا،فاستدعاه وأسرّ له بذلك ،فرد عليه قائلا:"تترك معي أحد أولادك أو إخوتك جالسا في القصر وأنا أدبِّر،ولا تسألني عن شيء من لأموال إن كان ما أجبيه بازاء ما أ ُنفقه؛وإذا أردت أمرا فعلتُه ولم أ َنتظر ورود الأمر فيه،لبعد ما بين مصر والمغرب،ويكون تقليدُ القضاء والخراج وغيره من قبل نفسي"[2].فما كان من المعز إلى أن رفض هذا الاقتراح رفضا شديدا ،لأن معنى ذلك أن تصير ولاية إفريقية منفصلة تماما عن الفاطميين واستقلالها عنهم[3]،ولهذا كان رده على جعفر عنيفا،فقال له "يا جعفر:عزلتني عن ملكي،وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري،واستبددت بالأموال والأعمال دوني، قم فقد أخطأت حظّك، وما أصبت رشدك... فخرج[4].."ثم ذكر المقريزي أن المعز بعد هذا اللقاء استدعى يوسف يوسف بن زيري وأخبره بأنه سيتسخلفه على إفريقية و المغرب ،ولكنه امتنع على إجابة هذا الطلب ،وأكبر ذلك وقال:"يامولانا:أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ما صفا لكم المغرب،فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري؟قتلتني يا مولاي بلا سيف ولارمح."[5] ولم يزل به حتى أجاب وقال:" يا مولانا:بشريطة أن تولى القضاء والخراج لمن تراه وتختاره،والخبر لمن تثق به،وتجعلني أنا قائما بين أيديهم،فمن استعصى عليهم أمروني به حتى أعمل فيه ما يجب ،ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين ذلك،"[6] فأثلج هذا صدر المعز وأثنى عليه.

ويبدو أن هذه الراوية مشكوك في صحتها،لأن المقريزي هو الوحيد الذي أوردها في تاريخه، ولعل جوذر هو الأقدر على الإطلاع على مثل هذه الأسرار في الدولة الفاطمية ،وخاصة في القضايا المتعلقة بمشكلة الاستخلاف على المغرب،والنزاع بين عامليه بمسيلة وأشير،ومع ذلك فلم يذكر هذه الرواية، _والتي تمت في السر_ في توقيعاته وجواباته.

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ،تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني.الدار البيضاء:دار الكتاب،سن 1964،ص67.

[2] المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص99.

[3] حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته،مج1،ج1،ص566.

[4] المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج1،ص99.

[5] المصدر نفسه،ج1،ص99.

[6] المصدر نفسه،ج1،ص99.

وأيضا يلاحظ في هذه الرواية تلميع متعمد لصورة بلكين بن زيري،و تصويره على أنه الخادم المطيع الوفي للفاطميين،وبالمقابل إظهار جعفر في صورة الطامع الشره إلى السلطة والغادر،ويلاحظ أيضا الرد البارد للمعز أمام موقف جرأة جعفر ووقاحته،فلم يأمر مثلا بعزله أو سجنه. ثم إن جعفرا في هذه الراوية ليس هو في سيرة الأستاذ جوذر،إذ نجده فيها يتعامل مع المعز الخليفة بدبلوماسية وحكمة.ويبدو أنّ هذه الراوية من وضع مؤرخي الدولة الزيرية،بقصد تشويه صورة خصمهم جعفر بن عليّ وتزيين صورة بلكين بن زيري[1]،ثم نجد آثار هذا الوضع والاختلاق في الشخصية التي رشحها المعز لخلافته بدل جعفر هي يوسف بن زيري،والأصل أن الذي ينبغي أن يحضر هذه الجلسة مع جعفر، هو زيري بن مناد.

وهذه الرواية إن دلت على شيء إنما تدل على الجو السائد في ذلك الوقت،وكيف أن استعداد الفاطميين للرحيل من المغرب بعد فتح مصر،كان له أثره الظاهر في زيادة التنافس والعداوة بين عامل المسيلة وعامل أشير ،و دافعا قويا لكل واحد منهما في أن يبذل جهده في كسب ود الفاطميين وفي الوقت نفسه إضعاف خصمه المنافس له،وإقصاءه وقتله إذا اقتضى الأمر.

ويلاحظ أن زيري استطاع أن يتفوق على جعفر في التقرب من الفاطميين ويبرهن لهم أنه هو الشخصية المناسبة لإبقاء المغرب تحت سلطته بعد رحيلهم،وضرورة إبقائه في ولايته وتقويته حتى يقف سدا مانعا أمام الزحف الأموي الزناتي،خاصة بعدما أظهر مقدرته العسكرية في فتح مدينة فاس ومساندته للقائد جوهر في حملته العسكرية،ومحاربته للزناتيين بالمغرب ودفع خطرهم،وقد كأفاه المعز على هذا بأن منحه المناطق الواسعة الواقعة من تخوم الزاب إلى حدود تاهرت غربا يمارس فيها السلطة باسمه،و أيضا رشحه لاستخلافه على المغرب [2].

والظاهر، أن قوة زيري وتفوقه على عامل المسيلة ترجع إلى عصبيته القبلية،وكثرة أتباعه من صنهاجة[3].و ما يمثله للفاطميين من قوة رادعة للزناتيين وخاصة بني خزر المغراويين المستقرين بالمغرب الأوسط والذين تعهدوا بنصرة الخلافة الأموية بالمغرب ومحاربة الدولة الفاطمية .

---

[1] الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،صص400،401. و يذهب حسين مؤنس مذهب الدشراوي إذ يستبعد صحة هذه الحكاية،ويرىأن ليس من المعقول أنّ الخليفة المعز يختار جعفرا بن عليّ الزناتي_الصحيح عند المؤرخين أن جعفرا بن علي ليس من زناتة،وإنّما أصله عربي_ خليفته على المغرب ويترك أنصاره من كتامة وصنهاجة.ومن غيرالطبيعي أيضا أن يوصي نائبه بلكين بن زيري على المغرب بأن لا يرفع السيف عن البربر؛لأن ذلك النائب ذاته من البربر.حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته،مج1،ج1،ص567.

[2] ابن الأثير،الكامل،ج7،صص 333،334.ابن أبي دينار،المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،ص74.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص334.

[3]ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج6،ص201.

وأما جعفر بن علي ليس له انتماء قبلي يستند عليه،وبالتالي فهو ضعيف أمام قوة زيري القبلية[1] ، وليس له تلك القوة التي يستطيع بها إيقاف الزحف الزناتي.وبالتالي شرع في وضع خطة لإزاحة منافسه وإضعافه أو تصفيته ليتحقق له ولاية افريقية والمغرب معا بعد رحيل الفاطميين إلى مصر.فلكي يقوي نفسه من الناحية العصبية القبلية عقد تحالفا قويا ،وصداقة متينة مع قبيلة بني برزال الزناتية[2] ليقابل بها عصبية زيري الصنهاجية.

وليُفشل أيضا خطة زيري المتمثلة في دحر الزناتيين وتقديم نفسه كمرشح قوي لنيابة الفاطميين بالمغرب بعد رحيلهم، أقدم على مساعدة أمير بني خزر الزناتيين محمد بن الخير بن محمد بن خزر[3] وتقويته،فعقد معه تحالفا سريا ،ودله على عورات زيري و تحركاته ونقاط ضعفه[4]،ولعل هذا الدعم المخابراتي من عامل المسيلة قد سهّل على أمير زناتة من شن هجمات ناجحة ومكثفة على منطقة تيهرت ،ممّا أزعج الخليفة الفاطمي وشغل باله ،وبخاصة أنّه يُجهز نفسه للانتقال إلى مصر [5].

وبطبيعة الحال،إنّ تحالف جعفر بن عليّ مع الزناتيين المغراويين، سيتبعه ربط العلاقة مع الأمويين بالأندلس الذين استثمروا النزاع بين عاملي الفاطميين لصالحهم، فقاموا بالاتصال مع جعفر بن عليّ وعقد صداقة معه،ربما عن طريق حلفائهم الزناتيين،أو مباشرة بواسطة أعوانهم وجواسيسهم[6] بإمارة بني حمدون[7]،مثل أمين بن عثمان الذي لقي كل الحفاوة والتكريم لدى الأمير جعفر[8]،و كاتبه الوهراني الذي اتهمه ابن هانئ الأندلسي بميله إلى الأمويين ،وكراهيته للمذهب الإسماعيلي.وربما قد تمت الاستفادة من نفوذ وخدمة أبي القاسم الغساني السني و محمد بن مهنا البجاني الأندلسي بوصفهما صهري جعفر بن عليّ ،ولذلك كانا لاحقا ضمن من رحلوا معه إلى الأندلس[9].

---

[1]عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،ص192.

[2] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص73.

[3]و ذكر صاحب "مفاخر البربر" نقلا عن ابن حيان أن محمدا بن الخير بن محمد بن خزر كان من أكبر ملوك زناتة وأبسطهم يدا،وأشدهم للمراونية إعظاما وبرا.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص96.

[4] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص35.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص355.

[5] ابن الأثير،الكامل،ج7،ص327.الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص352.

[6] يعد غرس الجواسيس والعملاء وكسب ولاء الزعامات السياسية ومساندة الثائرين من الوسائل الأساسية المستخدمة في الصراع السياسي والمذهبي بين الخلافة الفاطمية بالمغرب،والخلافة الأموية بالأندلس.وهذا ما نلاحظه في السياسة التي انتهجتها للولة الأموية مع أمراء المسيلة ،وقد أتت أُكلها في نهاية المطاف.أحمد مختارالعبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،صص185،190.عبد العزيز الفيلالي،العلاقات السياسية،صص127،128.مرمول محمد الصالح،السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي،ص313.

[7] الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص354.

[8] منصور الجوذري العزيزي،سيرة الأستاذ جوذر،ص123.الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص354.

[9] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص53.

ويبدو أن الخطة التي اتبعها جعفر في إزاحة خصمه وإضعافه،ليكون هو المرشح الوحيد لخلافة المغرب والتي تمثلت في تحالفه مع خصوم الفاطميين،والانضمام إلى الحلف الأموي الزناتي سرا،تسببت في تلك الشكاوي والتحذيرات التي كانت تأتيه من خليفته المعز لدين الله . فاحتياج عامل المسيلة إلى المال الكثير لينفقه على حلفائه الزناتيين،سواء الذين في إمارته ،أو الذين يسندوهم سرا، دفعه إلى الأخذ من مال الجباية ، والإنقاص من مقدارها، مما أزعج الخليفة الفاطمي المعز.والشخص الأموي غير المرغوب فيه من الفاطميين، والذي كان بإمارة جعفر،سببه أيضا التحالف السري الذي عقده مع خصوم زيري من الزناتيين والأمويين.

وبسبب هذا التحالف الحمدوني الأموي الزناتي ضد زيري بن مناد، تحولت العلاقة بين جعفر وزيري من مجرد منافسة داخلية محدودة بين عاملين تابعين للدولة الفاطمية،إلى صراع إقليمي بين خلافتين كبيرتين،الخلافة الفاطمية بالمغرب،و الخلافة الأموية بالأندلس.

وعليه ،إنّ سبب ميل جعفر إلى الأمويين،ومعاداته للفاطميين هو المنافسة التي كانت بينه وبين زيري بن مناد،وقد زاد من شدتها تخطيط الفاطميين للرحيل إلى مصر ، بحيث صار كل طرف يطمع في أن يكون هو المرشح لخلافتهم ،وتحقيق حلمه في الملك والسلطان.وبسبب قوة زيري بن مناد القبلية،وقدرته على التقرب إلى الفاطمين ونيل رضاهم،فكر جعفر بن علي في مواجهة خصمه و إضعافه . ولهذا لم يجد وسيلة لذلك إلا بالتحالف مع خصومه، والذين هم في الوقت نفسه أعداء للفاطميين، فدخل في حلف مع بني خزر الزناتيين، وعقد اتصالات مع الأمويين.

ولكن ما خطط له جعفر بن علي من إضعاف زيري وتصفيته كان مآله الفشل،بل وصل به الأمر إلى أن يتخلى عن إمارته،ويفر من المسيلة بأسرته وبكل ما يملك،معلنا انفصاله عن الدولة الفاطمية ولجوئه إلى مواطن زناتة، ثم رحيله إلى الأندلس لخدمة الخليفة الأموي.ومن ثم ما السبب الجوهري الذي دفعه إلى أن ينقلب كل هذا الانقلاب؟

هناك روايتان مختلفتان في تحديد هذا السبب؛فالرواية الأولى انفرد بذكرها ابن حيان نقلا عن الوراق[1]،وتحصر سبب انفصال جعفر عن الفاطميين،والتحاقه بالزناتيين في فضح التحالف السري الذي كان بينه وبين محمد بن الخير الزناتي ،وانكشاف خيانته للدولة الفاطمية.ومحتوى هذه الرواية أن زيري بن مناد لما قتل[2] الزعيم المغراوي

---

[1] وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الموالاة التي كانت بين جعفر وبني خزر ،ولكن العبارة التي تضمنت هذه الإشارة العابرة جاءت مضطربة وغير واضحة.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص37.

[2] ويتفق ابن الأثير وصاحب "مفاخر البربر "وابن عذارى وابن خلدون أن الذي هاجم محمد بن الخير وفاجأه بمحاصرته هو يوسف بلكين بن زيري، وأن محمد بن الخير لما فوجئ بهذا الهجوم قتل نفسه.ونتج عن هذه المعركة مقتلة كبيرة لزناتة،حيث قتل بضعة عشرة من أمراء زناتة،ومن لم يقتل وقع في الأسر.فكان هذا نصرا كبيرا للخليفة الفاطمي المعز لدين الله وخسارة جسيمة للخليفة الأموي الحكم المستنصر.وتقوية =

"محمد بن الخير[1] بن محمد بن خزر أمير زناتة المناصر للأمويين بالمغرب [2]، وجد عنده فرسا أهداها الخليفة المعز لدين الله إلى جعفر،الذي قدمها بدوره إلى أمير مغراوة هدية.كما وقعت بين يدي زيري بن مناد رسائل مكتوبة بخط جعفر وجدها في بيت محمد بن الخير ،وكانت مرسلة إلى زناتة يعلمهم فيها بتعداد جيش زيري ومواقعه،داعيا إلى محاربته وقتله، وكشف لهم فيها أيضا تحركاته لمهاجمتهم.ولذا قام زيري بإرسال هذه الأدلة الدامغة إلى خليفته المعز إثباتا لخيانة جعفر للفاطميين[3] .

فبعدما تسلم المعز هذه الأدلة،وتبين له عداوة جعفر له وتحالفه مع خصمه محمد بن خزر الزناتي "بلغ ذلك منه أشد مبلغ،وتكلم في جعفر أسوأ الكلام وتهدده بالقتل"[4] ؛ويبدوأنّ رأيه قد تغير تماما في أخيه من الرضاعة وصاحب المنزلة الرفيعة عنده ،فبعدما كان يريد استخلافه على إفريقية[5]، ها هو يبعث إليه[6] من يستقدمه من إمارته[7] ويحمل إليه كتابا يأمره فيه " بعزله عن المسيلة ، وبالقفول إليه بجميع أهله وولده وماله إلى حضرته."[8] وقد ضمّن الكتاب توبيخا وتعزية في حليفه المغراوي،كما ذكره فيه بالفرس التي أهداها له،فوهبها إلى خصمه الزناتي ليكون حربا عليه[9].

=

لنفوذ زيري في المغرب وإضعافا لزناتة.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص327.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص96.ابن عذارى،البيان،ج2،ص243.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص62،63.وكان مقتل محمد بن الخير في منتصف شهر الربيع الثاني سنة 360هـ.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص96.ابن الأثير، الكامل،ج7،ص327.ابن عذارى،البيان،ج2،ص243.وقد ساعد بلكين بن زيري أحد أنصار محمد بن الخير في شن هذا الهجوم المباغت حيث أمده بمعلومات حول مكان أميره،وقد وقع هذا الهجوم في غربي تاهرت بالقرب من تلمسان في 15ربيع الثاني 360هـ/فبراير 971هـ .الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص63.الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص352.

[1] عند ابن الأثير: محمد بن الحسين بن خزر الزناتي. ابن الأثير،الكامل،ج7،ص327.وعند ابن خلدون:محمد بن الحسن بن خزر المغراوي.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص62.

[2] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص35.ابن عذارى،البيان،ج2،ص243.

[3] ابن حيان،المصدر السابق،ص35.الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص403.

[4] ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص35،36.

[5] الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص401.

[6] عند النويري أن المعز أرسل إلى جعفر خادمه فرج الصقلي،مرتين،المرة الأولى لكي يستخلفه على إفريقية.فأوصل له رسالة الخليفة ولكن لم يأت ولم يمتنع.و الثانية،أرسله إليه دون أن يصرح النويري بالسبب في إرساله.النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص308. وعند ابن خلدون أن المعز حين اعتزم الرحيل إلى القاهرة، بعث بعض مواليه إلى جعفر بمسيلة، يطلب منه المجيء إليه لتوليته على إفريقية. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص 205.

[7] الدشراوي، المرجع السابق،ص355.

[8] ابن حيان، المقتبس، تحقيق عيد الرحمن علي الحجي،ص36.

[9] المصدر نفسه،ص36.

ويبدو أنّ جعفرا قد وصلته الأنباء بافتضاح أمره ،وتهديد الخليفة بقتله،والأمر بعزله،بواسطة رسائل جاءته من بعض عيونه عند الخليفة[1]،فغادر المسيلة حينما كان مبعوث المعز على بعد مرحلة من تلك المدينة[2]،وقد تظاهر بالمسير إلى المنصورية[3]،واصطحب معه جميع أهله وولده وعبيده وخاصته،وكل ما يمكن أخذه من مال وسلاح،وكان مرفوقا كذلك بأخيه يحيى[4]،وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة سنة 360هـ/ أفريل 971مـ[5]،ثم مال بعسكره وانضم إلى بني خزر أمراء زناتة[6]،وأعلن معهم على نصرة دعوة الخليفة الأموي الحكم المستنصر،ومحاربة خصمه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله[7]. وقد وصل مبعوث الخليفة إلى المسيلة ودخلها وعلم بانفصال جعفر بن بن عليّ[8].

وهكذا ، كان جعفر بين خيارين،إمّا تسليم نفسه للمعز ، وبذلك سيخسر حياته ويتعرض للإذلال والحبس والقتل،وإما أن يضحي بإمارته وولايته، وقصوره وسلطانه بمسيلة ، ويفر إلى الزناتيين حلفاء الأمويين.فكان الخيار الصعب هو الإبقاء على حياته ،

[1]المصدر نفسه،ص36.وذكر ابن خلدون أن جعفرا استراب مما كانت السعاية كبرت فيه.فخاف من مبعوث الخليفة المعز على نفسه،فكان هذا سببا في هروبه من المسيلة ولحوقه بمغراوة الزناتيين .ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،صص 205،204.وفي موضع آخر من تاريخه أورد أن زيري بن مناد بعد أن فتك بزناتة و طاردهم سعى بجعفر:" إلى الخليفة و ألقح له في جوانحه العداوة".. فكانت هذه السعاية سببا في لجوء جعفر إلى زناتة. ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص108.

[2] النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص308.الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص67.

[3]ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص37.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص96.النويري،المصدر السابق،ص308.الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص 355.وعند الداعي إدريس أن جعفرا هرب من المسيلة إلى فاس وبلاد زناتة .الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص730.

[4] ابن حيان، ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص36. ابن عذارى،البيان،ج2،ص243. مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص 96.النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص308.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية،ج1،ص67.

[5]ابن حيان،المصدر السابق،ص36.ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص243.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص96.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين، ص730.الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج1،ص67.

[6] ابن حيان،المصدر السابق،ص36.ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص243.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص108،ج6،ص205.

[7] ابن حيان،المصدر السابق،ص36. مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص308.النويري،المصدر السابق،ص308.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص108.

[8] .النويري،المصدر السابق،ص308. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج1،ص67.

والانضمام إلى الحلف الزناتي الأموي.وبذلك تكتمل قطيعته للفاطميين، ويصير تحالفه ضدهم علانية بعدما كان سرا.

وأما الرواية الثانية في تحديد سبب خروج جعفر بن عليّ عن طاعة المعز ولجوئه إلى زناتة نجد لها ذكرا عند ابن حيان في كتابه المقتبس[1] نقلا عن أبي جعفر بن الجزار،وعند صاحب "مفاخر البربر"[2] نقلا عن ابن حيان ،وأوردها أيضا النويري[3]. وملخصها أنّه لما تمكن زيري من السيطرة على معظم منطقة المغرب وعلى القبائل الزناتية المستقرة فيها،تمادى في ملاحقته للزناتيين حتى دخل بجيشه إلى عمل جعفر بدون إذن منه،وقام بمطاردة وإيذاء القبائل الزناتية النازلة بنواحي المسيلة،والتي كانت في حماية جعفر ورعايته .وهذا ماجعله يحقد على زيري وعلى الدولة الفاطمية،وبذلك انضم إلى بني خزر الزناتيين ووالى الأمويين.

وهذه الرواية يمكن ربطها برواية الوراق بالرجوع إلى ما أفادنا به صاحب مفاخر البربر نقلا عن ابن حيان أن التعدي الذي حصل من زيري على ولاية جعفر،كان بعد أن هاجم ابنه بلكين محمد بن الخير وما تبع ذلك من انتحاره والقضاء على عدد من أمراء زناتة الذين كانوا متواجدين معه[4].و من خلال ما رواه ابن حيان نقلا عن الوراق أن زيري وجد في المكان الذي قتل فيه محمد بن الخير فرس المعز ورسائل من جعفر تثبت تحالفه مع بني خزر الزناتيين و غدره وخيانته للفاطميين[5]،وبالتالي صارت منطقته منطقته مستباحة، وغدت مهاجمة حلفائه الزناتيين المستقرين بولايته مشروعة،فلا فرق بينه وبين بني خزر الزناتيين من حيث التعامل معه كعدو للدولة الفاطمية.وبهذا يمكن أن نفهم جرأة زيري على التغلغل إلى عمل جعفر، و إيذاء حلفائه من القبائل الزناتية المستقرة بإقليمه.

و هكذا،رحل جعفر إلى بني خزر الزناتيين[6]،فقبلوه قبولا عظيما وملكوه عليهم [7]. ولما علم زيري بن مناد بفرار خصمه ولحوقه بالزناتيين،أراد أن يفاجئهم قبل أن يستفحل خطرهم ويقوى أمرهم[8]؛ولعل الخليفة المعز هو الذي أصدر له الأمر بملاحقة

---

[1] ينظر ابن حيان،المصدر السابق،صص36،37.

[2] ينظر مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص96.

[3] ينظر النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص308.

[4] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص96.

[5] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص35.

[6] وقد كانوا تحت قيادة الخير بن محمد بن الخير بن خزر. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج1،ص67.

[7] ابن الأثير،الكامل،ج7،ص334. النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص309.ابن أبي دينار، المؤنس،ص74.

[8] ابن حيان،المصدر السابق،ص37.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.ابن خلدون،تاريخ ابن =

جعفر بعدما علم بانقلابه عليه من مبعوثه الذي وصل إلى المسيلة متأخرا[1].فأسرع زيري إلى الخروج بنفسه على رأس جيش قبل أن يستكمل التعبئة[2] وينتظر" فارس كتيبته ومدبر حربه ابنه بلكين والذي كان غائبا في قاصية عمله،"[3]ليتقوى به في المعركة التي سيخوضها مع جعفر والزناتيين.

ومن جهة أخرى، فإنّ جعفرا شق الصحراء مع زناتة ورئيسها الخير بن محمد بن الخير و الذي كان مصمما على الثأر لمقتل أبيه للالتقاء بزيري،فوصلوا إلى موضع بالقرب من ملوية[4] عند مشارف المغرب الأقصى [5].وأما زيري فزحف إليهم مبادرا المكان الذي عرف اجتماعهم فيه[6]. فالتقى الجيشان في يوم الخميس 10 من شهر رمضان سنة 360 هـ[7]/28 جوان –جويلية 971م-[8]،واشتد بينهما القتال،فانتهت المعركة بقتل زيري بعدما سقط عن فرسه وعددا من رجاله وهزيمة نكراء للصنهاجيين[9]. وقد

=

خلدون،ج6،ص206.

[1] الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص730.الدشراوي،الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص355.

[2] ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص108.

[3] ابن حيان،المصدر السابق،ص37.

[4] وملوية عند ابن خلدون "نهر يقع في آخر المغرب الأقصى،وهو نهر عظيم،منبعه من فوهة في جبال قبلة تازَى،ويصب في البحر الرومي عند غَسَاسة،وعليه كانت ديار مكناسة بهم في القديم"ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،صص133،134.

[5] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص36.ابن عذارى،البيان،ج2،ص243.محمد عبد الله عنان،،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافةالأموية والدولة العامرية،ص493.وعند الداعي إدريس أن زيري سار خلف جعفر إلى بلد زناتة نحو شهرين من عملها.الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص730. ويرى الهادي روجي إدريس أنّ المعركة وقعت حول أسوار تاهرت. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج1،ص67.

[6] ابن حيان، المقتبس،تحقيق عبد الرحمن الحجي،ص37.

[7]ابن حيان،المصدر السابق ،ص 36.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص309. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص205.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص334.الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص730.

[8] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج1،ص67.

[9] ابن حيان،المصدر السابق،صص36،37.ابن عذارى،البيان،ج2،ص243.ابن الأثير،المصدر السابق،ج7،ص334.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.النويري،المصدر السابق،ص309.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص108.ج6،ص205.الداعي إدريس،المصدر السابق،ص730..ابن أبي دينار، المؤنس،ص74. الدشراوي، الخلافة الفاطمية،ص355.

كانت هذه "الوقيعة من أعظم الوقائع وأبعدها صيتا،"[1]حيث ثأر الزناتيون لقتل أمرائهم ،ولما لقوه من مطاردة وتضييق من لدن زيري[2].

وهكذا أكد جعفر بن عليّ انفصاله التام عن الفاطميين وانضمامه الأكيد إلى زناتة وبني أمية بالأندلس ، وقد كان لهذا الحدث أثره العميق على أطراف عدة.فهو يُعتبر ضربة قاسية للفاطميين،فإنّهم خسروا بسبب هذه القطيعة حلفيين كبيرين لهما، جعفر بن عليّ وزيري بن مناد[3] ،فقد ذكر صاحب مفاخر البربر نقلا عن ابن حيان أنه ورد على المعز الفاطمي **"النكبتان معا:فساد الأندلسي وخلعه،وهزيمة زيري وقتله، فاشتد ذلك عليه وأقلقه"**[4]. خاصة أنّ كل ما خطط له منذ توليه الخلافة وما جهّزه من حملات إلى المغرب للسيطرة على الزناتيين والحد من نفوذ خصومه الأمويين يراه مهددا بالضياع[5]. بالضياع[5]. بينما رأت الدولة الأموية في هذه القطيعة نصرا إستراتيجيا لها،وخاصة أنها جاءت في سياق تجهز الخليفة الفاطمي المعز للرحيل إلى مصر.لأن في ذلك دلالة واضحة على فشل المخطط الفاطمي للتوسع إلى جهة الغرب والاستيلاء على الأندلس وتمكين المذهب الإسماعيلي بها وإسقاط الخلافة الأموية.

وأما أثر هذه القطيعة على بني حمدون،فقد تجلى في الخسارة السياسية التي منيوا بها، وتمثلت في زوال إمارتهم بمسيلة وإقليم الزاب ،وما ترتب عن ذلك من ضياع طموحاتهم في حكم إفريقية والمغرب نيابة عن الفاطميين.وفي المقابل كان رحيلهم إلى الأندلس مكسبا كبيرا لخصومهم بني زيري.حيث في سنة 361هـ/ 972مـ عيّن الخليفة المعز بلكين بن زيري خليفته على إفريقية والمغرب معا،وأضاف إليه المسيلة والزاب وكل ما كان في ولاية جعفر بن علي[6].

كما كان لقطيعة بني حمدون مع الفاطميين أثرا على زناتة،وبالأخص على بني خزر المغراويين، لأنّ نشوتهم بالانتصار على زيري وقتله، ثم انضمام جعفر بن عليّ إليهم لم يطلا،إذ تلقوا ضربة قاسية من بلكين بن زيري،فلم يكد يعلم بمقتل أبيه حتى قام بتجهيز جيش كبير ،وبمساندة من الخليفة المعز ،وهذا أهّله أن يحقق هدفين في الوقت نفسه للثأر من زناتة، وإعادة الهيبة والنفوذ للخلافة الفاطمية.فتحرك بهذا الجيش الكبير في أول سنة 361هـ ، وشرع في مطاردة وتقتيل الزناتيين في كل منطقة المغرب[7] ،حتى

---

[1] ابن حيان،المصدر السابق،ص36.

[2] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص243.

[3] الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص353. حسين مؤنس،تاريخ المغرب وحضارته،مج1،ج1،ص573

[4] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.

[5] الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص356.

[6] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص205. النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتابة نهاية الأرب في فنون الأدب،ص310.

[7] مؤلف مجهول، مفاخر البربر،صص97،98.

،حتى أنّه لاحقهم إلى المغرب الأقصى ،واستطاع أن يصل إلى أميرهم الخير بن محمد بن الخير بن محمد الخزري إلى أن قتله بسلجماسة[1].وقد نتج عن هذه الحملة الانتقامية إضعاف التواجد الزناتي المغراوي بالمغرب الأوسط بحيث اضطر كثير من الزناتيين إلى الهروب والتحصن بالمغرب الأقصى[2].

وقد ترتب عن هذه القطيعة أيضا دخول قبيلة بربرية زناتية بأعداد كبيرة إلى الأندلس،وهي قبيلة بني برزال المستقرة بنواحي المسيلة[3]،والتي لها علاقة قوية بجعفر بن عليّ[4]،فقد كان بينهما حلف سياسي[5]،ترتب عنه وقوفها بجانب جعفر في مواجهته لبني لبني زيري ومشاركتها إياه في معركته ضد زيري.وبالتالي ستكون ملاحقة ومطاردة من بلكين بن زيري،وستنال حظها من انتقامه لمقتل أبيه.وهذا الأمر قد دفع أفرادها إلى النزوح الجماعي إلى الأندلس،والالتحاق بحليفهم جعفر بن عليّ،بعد أن مهد لهم الطريق لدى الخليفة الحكم المستنصر[6] ،والذي استدعاهم ليكافئهم على دورهم في التخلص من زيري بن مناد ،فوجدوا عنده حسن القبول،والعطاء الواسع،وغض الطرف عن اعتناقهم لمذهب الخوارج النكارية،وجعلهم ضمن جنده الخاص[7].

وقد كان لدخولهم إلى الأندلس أثره العميق في الوضع السياسي،وفي التركيبة الاجتماعية الأندلسية.فقد شكلوا تجمعا سياسيا وعسكريا في البلاط الأموي كان له دوره الخطير في سير الأحداث.إذ قام الخليفة الأموي الحكم المستنصر بتقريبهم ، وضمهم إليه ،"فاستخدمهم ونظمهم في طبقات الجند."[8].ثم صار هذا الجند البرزالي مقربا من

---

[1] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج7،صص37،38.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق،ج7،ص38.

[3] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص73.

[4] المصدر نفسه،ج7،ص73. لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص237.

[5] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج2،ص92.

[6] المستنصر الأموي الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله (302 - 366 هـ = 914 – 976مـ): خليفة أموي أندلسي.ولد بقرطبة،وولي الخلافة بعد أبيه (سنة 350 هـ).كان عالما بالدين ملما بالأدب والتاريخ، ضليعا في معرفة الأنساب، يروى له شعر.محبا للعلماء يستحضرهم من البلدان النائية فيستفيد منهم ويحسن إليهم، جماعا للكتب، قيل: إن مكتبته بلغت أربع مئة ألف مجلد.قال ابن حزم:" اتصلت ولايته خمسة عشر عاما في هدو وعلو.توفي بقرطبة مفلوجا" .الزركلي،الأعلام،ج2،ص227.ينظر المقري،نفح الطيب،ج1، ص382.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص41.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص185.ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،ص100.

[7] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،صص192،193. ابن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص73.يحيى بوعزيز،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر،ج1،ص27. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج2،ص92. عبد العزيز فيلالي،العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب،ص211.وذكر صاحب "مفاخر البربر" نقلا عن أبي مروان عبد الملك بن موسى الوراق أن استدعاء الحكم المستنصر لبني برزال إلى الأندلس سببه ما سمعه عنهم من شدتهم شجاعتهم في الحروب،فأمر بمكتاتبتهم،وضمهم إلى جنده يخدمون في جيشه.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص135.

[8] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج7،ص73. ابن حيان،المقتبس،صص192،193.

جعفر المصحفي[1] بعد توليه أمور الدولة نيابة عن الحكم المستنصر بسبب مرضه[2].وقد استعان محمد بن أبي عامر[3] بهذا الجند في التمكين لنفسه،والسيطرة على مقاليد الحكم ،خاصة في المواجهة التي كانت بينه وبين القائد غالب[4]،وقد استمالهم بعد قتل حليفهم جعفر بن عليّ ،فأصبحوا له عصبة،وكان يستعملهم في الولايات النبيهة والأعمال الرفيعة[5].ولعل الدور الأبرز لهم ظهر بعد سقوط الدولة الأموية ونشوء ما يسمى بملوك الطوائف،حيث تأسست لهم إمارة بالأندلس،في مدينة قرمونة[6].

---

[1] جعفر المصحفي: (ت372 هـ = 982 م) جعفر بن عثمان بن نصر، أبو الحسن، الحاجب المعروف بالمصحفي: وزير، أديب، أندلسي، من كبار الكتاب، وله شعر كثير جيد.أصله من بربر بلنسية.استوزره المستنصر الأموي إلى أن مات.وولي جزيرة ميورقة في أيام الناصر.ولما ولي الحكم استوزره، وضم إليه ولاية الشرطة.وآلت الخلافة إلى هشام المؤيد ابن الحكم، فتقلد حجابته وتصرف في أمور الدولة.وقوي عليه المنصور بن أبي عامر بخدمته لصبح (أم هشام المؤيد) فاعتقله وضيق عليه، فاستعطفه جعفر بمنظومه ومنثوره، فلم يرق له، وصادره في ماله حتى لم يترك له ولا لابنائه ما يسدون به أرماقهم، ثم قتله وبعث بجسده إلى أهله.ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،صص 257،259 .المقري،نفح الطيب ،ج1،صص 402،420،421.ابن خاقان،مطمح الأنفس،من ص56 إلى65. ابن عذارى،البيان،ج2،صص254،255،256.الزركلي،الأعلام،ج2،ص125.

[2] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص260.

[3] المنصور أبو عامر: (326 - 392 هـ = 938 - 1002 م) محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني، أبو عامر، المعروف بالمنصور ابن أبي عامر: أمير الأندلس، في دولة المؤيد الأموي.وأحد الشجعان الدهاة.أصله من الجزيرة الخضراء.قدم قرطبة شابا، طالبا للعلم فبرع.واستخلف على قضاء كورة (ريه) ثم عهد إليه بوكالة السيدة صبح (أم هشام المؤيد) فولي النظر في أموالها وضياعها، وعظمت مكانته عندها.وولي الشرطة والسكة والمواريث، وأضيف إليه القضاء بإشبيلية.ولما مات المستنصر الأموي كان (المؤيد) صغيرا، وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبي عامر لأم المؤيد سكون البلاد واستقرار الملك لابنها.وقام بشؤون الدولة، وغزا،وفتح.ودامت له الإمارة 26 سنة، غزا فيها بلاد الإفرنج 56 غزاة، لم ينهزم له فيها جيش.وكانت الدعوة على المنابر في أيامه للمؤيد (وهو محتجب عن الناس) والملك لابن أبي عامر، لم يضطرب عليه شئ منه أيام حياته، لحسن سياسته وعظم هيبته.ومات في إحدى غزواته بمدينة سالم، ولا يزال قبره معروفا فيها.ابن الأبار،الحلة السيراء ،ج1،من ص268 إلى ص277.تاريخ قضاة الأندلس،ص 80 .المقري،نفح الطيب ج1،صص296،399،596،600.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 4،صص189،190. ابن الأثير،الكامل،ج 8،ص25 .ابن بسام الذخيرة، **ج4** ،ص35.وابن عذارى،البيان،ج2،صص 256،257،258،259.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج1،من ص199إلى ص 203. الزركلي،الأعلام،ج2،ص226.

[4] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص263.يحيى بوعزيز،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر،ج1،ص26.

[5] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص73.

[6] إمارة قرمونة:تقع في منحنى الوادي الكبير بين إمارة قرطبة شرقا،ومملكة إشبيلية غربا،وقاعدتها مدينة قرمونة قرمونة الحصينة الواقعة شمال شرقي إشبيلية .وهذه المدينة كان يحكمها منذ أيام هشام المؤيد وقبل انهيار الدولة العامرية حاكمها الحاجب أبي عبد الله بن عبد الله بن برزال المعروف بأبي عبد الله البرزالي،وقد =

أما فيما يتعلق بمصير جعفر بن علي بعد هروبه من المسيلة والتجائه إلى الزناتيين،وبعد معركته مع زيري والتي خرج فيها منتصرا، فيبدو أنه قرر الرحيل إلى الأندلس بدل البقاء بالمغرب.وهذا سينقلنا إلى البحث في كيفية دخول بني حمدون إلى وطنهم الأول الأندلس؟ولماذا فضلوا مغادرة المغرب وعدم البقاء مع الزناتيين؟ثم كيف كان استقبال الأمويين لهم؟ و ما هو الدور الذي قاموا به في ظل خلافة الحكم المستنصر،و أهم الأحداث التي جرت لهم في عهده؟.

2_ لجوء بني حمدون إلى الأندلس ودورهم في خلافة الحكم المستنصر الأموي:

بعد النصر الكبير الذي حققه جعفر وحلفاؤه الجدد من زناتة على زيري بن مناد،بادر إلى التقرب من الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالأندلس،فأرسل إليه كاتبه علي البغدادي،بكتاب يعبر فيه عن إخلاصه في ولائه له،وملقيا بنفسه إليه معتصما بدعوته،راغبا في تقبله،وإنزاله منزلة لائقة به ،فتسلم الخليفة كتابه وأكرم رسوله[1].

ثم أرسل أخاه يحيى[2] مع رؤساء من بني خزر الزناتيين[3] إلى الأندلس حاملين معهم رأس زيري[4]،بقصد التقرب إلى الخليفة الأموي و لرفع منزلتهم عنده[5].وقد وصلوا إلى

=

عيّنه ابن أبي عامر حاكما على هذه المدينة،ثم بعد زوال الدولة الأموية تملكها وصارت تحت سلطته وذلك في سنة 404هـ/1013مـ،وصارت إمارته ذات أهمية،وثاني الإمارت البربرية بعد غرناطة،توفي أبو عبد الله البرزلي سنة 434هـ بعد أن حكم ثلاثين عاما، فتولى الحكم بعده ولده العزيز الملقب بالمستظهر، وقد انتهت هذه الإمارة باستيلاء ابن عباد على قرمونة في سنة 459هـ/1067مـ. لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،صص236،237. مؤلف مجهول، مفاخر البربر،ص135.يحيى بوعزيز،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر،ج1،ص27.مؤلف مجهول، مفاخر البربر،ص135. محمد عبد الله عنان،دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس.القاهرة:مكتبة الخانجي،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،ط2،سنة 1389هـ/1969مـ،صص148،149،150،151.

[1] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص39.ابن عذارى،البيان،ج2،ص242.

[2] عند ابن الأبار أن جعفرا انتقل إلى الأندلس ثم لحق به أخوه يحيى.ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص306.

[3] ذكر ابن حيان نقلا عن عيسى بن أحمد الرازي أنّ أسماءهم:عبدون بن الخير بن محمد بن خزر ومسعود بن عطية بن عبد الله بن خزر ومقاتل بن أبي خزرون بن أبي العزيز خزر.ابن حيان،المصدر السابق،ص40.

[4] ويبدو أنّ قطع رأس زيري بن مناد وإرساله للخليفة الأموي والحرص على رفعه أثناء الاحتفال باستقبال جعفر وأخيه يحيى في الأندلس هو رد فعل لما فعله الخليفة المعز برأس محمد بن الخير بن محمد بن خزر بعد قتله،حيث تم إرسال رأسه المقطوعة إليه ،فاحتفل به،وقعد للهناء به ثلاثة أيام،ثم أرسله إلى القاهرة مع رؤوس 3000 من الزناتيين مع خطبة له يعلن فيها هذا الانتصار الكبير.الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص63.الدشراوي،الخلافة الفاطميةبالمغرب،ص352.

[5] ابن حيان،المصدر السابق،صص37،38.ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص243.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.ابن أبي دينار، المؤنس،ص74.وينظر-Lèvi-Provençal, Histoire de l'Espagne Muslaman ,le califat umaiyad de Cordoue. Paris:Edition C.P =

الأندلس في يوم الاثنين 05 شوال في سنة 360هـ/أول أوت 971مـ[1].فنزل يحيى بمرسى من عمل بجانة،ونزل رؤساء بني خزر بمرسى المريَّة[2].

ولما ورد الخبر بوصولهم،سار إليهم عليّ البغدادي كاتب جعفر،والذي سبقهم إلى الأندلس،ليلقاهم ويرافقهم في مسيرهم .ثم جاء إليهم بعض رجالات الدولة الأموية[3] فاستقبلوهم وأعطوهم الخيول والمراكب الفخمة وأكرموهم وقدموا لهم كل ما يحتاجونه من الخدمة[4].وبعد أيام خاطب الخليفة الأموي الحكم المستنصر[5]"القواد والعمال بكور الأندلس وأعلام رجالها لمشاهدة دخول يحيى بن علي وبني خزر القادمين برأس زيري بن مناد الصنهاجي"[6]إلى قرطبة،"فكرم الحكم وفادتهم ونصب رأس زيري بسوق قرطبة،وأسنى جوائز الوفد ورفع منزلة يحيى بن علي"[7].

ويبدو من إرسال جعفر لكاتبه ثم لأخيه يحيى،أنه كان يهيئ نفسه للانتقال إلى الأندلس وأن يكون قريبا من الخليفة الأموي.ولكن الظروف التي أحاطت به منعته من أن يسرع في الرحيل إلى الأندلس. لأنّ مقتل زيري بن مناد سيتبعه حتما انتقاما شديدا من ابنه بلكين،والذي يبدو أنه كان يستعد لذلك،وهذا الأمر كان لا يخفى على بني خزر الزناتيين ، فشرعوا بعد معركتهم مع زيري الاستعداد لذلك .فراسلوا الخليفة الأموي ليقويهم ويسندهم[8].ثم إنّهم تمسكوا ببقاء جعفر معهم واعصوصبوا له[9]،فكما أنه شاركهم في قتل زيري بن مناد فهم يريدون أيضا أن يكون شريكهم في دفع الهجمة الكبيرة التي سيقوم بها بلكين بن زيري .

ويبدو أن جعفرا "أظهر المقام معهم"[10]،منتظرا الفرصة السانحة للرحيل إلى الأندلس،وربما في تريثه هذا كان ينتظر رسالة تأتيه من الخليفة الأموي تدعوه إلى الأندلس بعدما مهد لذلك عن طريق كاتبه عليّ البغدادي وأخيه يحيى.

=

.Maisonneuve,Ed.E.J.Brill,1950,tome2,p188

[1] الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج1،ص67.
[2] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص40.
[3] وهم ناجيت بن محمد وأحمد بن عبد الملك.ابن حيان،المصدر السابق،ص40.
[4] ابن حيان،المصدر السابق،ص40.
[5] ابن عذارى،البيان،ج2،ص243.
[6] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص41. ابن عذارى المصدر السابق،ج2،ص243.
[7] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108. مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.
[8] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص39.
[9] المصدرنفسه،ص38.
[10] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص38.

ولكنّ جعفرا لم ينتظر طويلا،فإنه قرر مغادرة المغرب بسرعة والرحيل إلى الأندلس بعد أن احتال على بني خزر[1] وفر منهم[2]. لأنّه وجد نفسه عاجزا على مواجهة بلكين ورد انتقامه[3] ،وأيضا رأى أنّ زناتة الذين ملكوه عليهم،أظهروا التمرد عليه وندمهم على مقتل زيري لمّا وصلهم أن الأمير بلكين بن زيري يطالبهم بدم أبيه ،ويتوعدهم بالإبادة والهلاك الأكيد،وشعروا بعدم القدرة على الدفاع عن أنفسهم،ودرء هذا الخطر القادم إليهم[54]؛فبدأوا يخططون للغدر بجعفر و القبض عليه[6]وتسليمه إلى بلكين بلكين لعله يتوقف عن انتقامه وحربه لهم.ولعل هذه الأجواء المشحونة بالتوتر جعلت جعفرا يشعر بالخوف من مكر زناتة وشرهم وانقلابهم عليه[7]،وبالتالي فلابد له من أن ينقذ نفسه وأهله قبل أن يلحقه الأذى المتوقع؛ ويسرع في رحيله إلى الأندلس ليستقر حاله ويطمئن على نفسه وأهله[8].

وأما الكيفية التي تخلص بها جعفر من قبضة الزناتيين وهرب منهم إلى الأندلس، فإنّه أشار إلى زناتة أن يتحصنوا بالجبال المنيعة بعد أن أقنعهم أنّ " يوسف بلكين لا يترك ثأر أبيه ولا يرضى بمن قتل منكم" ،فعملوا برأيه، ثم حمل ماله وأهله وعبيده وأمتعته إلى مراكب قد أعدها لذلك،وعاد إلى زناتة وتظاهر أنّه سيبقى معهم ،وقد أمر عبيده بأن يُحدثوا في المراكب فوضى وفتنة،فلما رأى أنّهم فعلوا ذلك قال لزناتة:"أريد

---

[1] ابن حيان،المصدر السابق،ص38.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.

[2] وهذا نص ابن حيان عن قرار مغادرة جعفر لزناتة ودخوله إلى الأندلس "ثم رأى بعد ذلك اللحاق بباب سدّة أمير المؤمنين...". ابن حيان،المصدر السابق،ص41.وقال أيضا ابن عذارى:"ثم سار إليه بنفسه.." ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص243.وهكذا يشيران إلى أن جعفر اختار الرحيل إلى الأندلس بإرادته الحرة بدون أن يتلقى أمرا من الخليفة الأموي الحكم المستنصر.بينما أكد صاحب "مفاخر البربر" وابن خلدون أن الحكم المستنصر هو الذي أذن لجعفر بالمجئ إلى الأندلس.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص108.

[3] ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص108. ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص360. يحيى بوعزيز ،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر،ج1،ص26.ويرى ابن الخطيب أنّ فرار جعفر إلى الأندلس كان بعد أن خاض معارك شديدة مع بلكين وانهزامه فيها. لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،ص67.ولكن أغلب المصادر تذكر أن حملة بلكين ضد زناتة كانت في سنة 361هـ،بينما رحيل جعفر إلى الأندلس كان في سنة 50 من ذي القعدة 360هـ.لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،ص67.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق،ج4،ص108.

[5] ابن الأثير،الكامل،ج7،ص334.

[6]ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

[7] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص38.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.ج7،ص37.

[7]ابن حيان،المصدر السابق،ص41.

[8]المصدر نفسيه،ص41.

أنظر ما سبب هذا الشر"؛فأسرع إلى المراكب الجاهزة للإبحار،فركبها وأقلع إلى العدوة الأندلسية مبتعدا عن زناتة،وقد أفلت من قبضتهم,ولما رأوا أنّه خدعهم ونجا منهم ندموا على أنّهم لم يسرعوا في قتله ويغنموا أمواله وعبيده[1] .

فسار المركب بجعفر وبمن معه إلى أن وصلوا إلي مرسى بزليانه من عمل مالقة،في يوم الأربعاء 05 من شهر ذي القعدة سنة 360هـ[2]/سبتمر971هـ[3].وهنا انفرد ابن حيان بنقل تفاصيل الاستقبال الضخم والفخم ،الذي حظي به جعفر وأسرته[4] ومن معه من خواص رجاله،من أول خطوة لهم على أرض الأندلس،وقد ارتكز وصفه الدقيق والمفصل على ما سجله المؤرخ عيسى بن أحمد بن محمد الرازي[5].

وقد وضعت الخلافة الأموية برنامجا مفصلا ودقيقا للترحيب بضيفها الكبير جعفر وأسرته.فبعد أيام[6]من وصوله إلى الأندلس،أُسندت مهمة استقباله إلى صاحب السكة والمواريث وقاضي اشبيلية محمد بن أبي عامر،والذي سيرافقه إلى قرطبة لاستقبال الخليفة الأموي.وقد أعد له ولأسرته المراكب الفاخرة والخيول الفارهة،والألبسة الراقية، وسلمه هدايا الخليفة الثمينة،فلقي وهو في طريقه إلى قرطبة كل حفاوة واهتمام بشخصه ،وفي أثناء تنقلاته التقى بأخيه يحيى[7].

و في "يوم الثلاثاء، لخمس بقين من ذي القعدة" سنة 360هـ[8]/971مـ وصل جعفر جعفر بن عليّ وأخوه يحيى وأعيان بني خزر إلى قرطبة لملاقاة الخليفة الحكم المستنصر [9]؛وقد فصّل المؤرخ ابن حيان نقلا عن عيسى بن محمد الرازي مراسيم استقبال الخليفة لضيوفه ودخولهم عليه بالمجلس القبلي من قصر الزهراء.وذكر أن هذا

---

[1]ابن الأثير،الكامل،ج7،ص34. ابن حيان،المصدر السابق،ص38.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص97.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص 108.

[2]ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص41.

[3]الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج1،ص67.

[4] ذكر ابن حيان أسماء من دخلوا مع جعفر بن علي إلى الأندلس والمنتمين إلى أسرة بني حمدون،وهم:إبراهيم بن جعفر.عمار وعلي وحسن وميمونة وسكينة وتامة وفاطمة وفاطمة وهند أولاد يحيبن علي.وعزيزة بنت علي بن حمدون وابنها حمدون وزوجها أبو القاسم الغساني السني.وزينب بنت عليّ وزوجها محمد بن مهنا البجاني. ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص53.

[5] المصدر نفسه،ص39.

[6]ورد الخبر بوصوله في يوم الجمعة 07 من ذي القعدة سنة 360هـ.وكان وصول محمد بن أبي عامر إلى جعفر لاستقباله يوم الثلاثاء 11 من ذي القعدة. ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص41.ابن عذارى،البيان،ج2،ص243.

[7]ابن حيان،المصدر السابق،41،42،43. ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،صص243،244.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص42.

[8] ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص44.

[9] الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب،ص356.

الحفل الملكي الرفيع حضرته كل الشخصيات الكبيرة بالأندلس،ووقفوا حسب مراتبهم في الدولة،من الحجاب والوزراء والقادة وعمال الولايات لإلقاء التحية.ثم بدأ تحرك جعفر وأخيه يحيى ومن معهما من الزعماء الزناتيين برفقة صاحب السكة والمواريث ابن أبي عامر،للدخول إلى بلاط الخليفة،وقد حملوا على قنوات طويلة رأس زيري بن مناد ورؤوس أصحابه الذين قتلوا معه في المعركة،وهم في كل خطوة يخطونها داخل القصر،يلقون من يرحب بهم ويحييهم من الجند وأهل الخدمة بألبستهم الزاهية وغيرهم من رجال الدولة،حتى وصلوا إلى الخليفة الحكم المستنصر،والذي أجلس جعفرا وأخيه يحيى بجانبه،فحاورهم،وكلمهم مُرحبا بهم، وامتدح لجوءهم إليه ونصرتهم له وتخليهم عن حزب الشيعة[1].وقد لوحظ أن جعفرا،ومن فرط تأدبه مع الخليفة الأموي،أنه كان إذا أراد إجابته، نهض من مجلسه،وتكلم واقفا، ثم جلس.وبعد نهاية حفل الاستقبال،انصرف جعفر وأخوه ومن كان معه من رؤساء زناتة في صحبة محمد بن أبي عامر وبعض رجالات الدولة إلى الدور [2]التي خُصصت لإقامتهم[3].

وقد نظم شعراء البلاط الأموي القصائد الطوال في تمجيد حدث دخول جعفر بن علي إلى الأندلس و تخليد الحفل الملكي الفخم الذي خُصص لهذه المناسبة[4]. وقد أكد كل من أرّخ لهذا الترحيب الذي لقيه جعفر ومرافقوه في ذلك اليوم ،أنه "**كان يوما مشهودا** "[5]،وهو "**من الأيام العقم التي طار خبرها بالأندلس في الحسن والزينة... خلد زمنا في أهلها**"[6].وبعد هذا التكريم ،استمر احتفاء الخليفة الحكم المستنصر بهما[7]، وأجرى لهما مقدارا من المال[8]. و"تضاعفت عليهما الجرايات وتردد الصلات."[9]ثم إنّه زاد في رفع مكانتهما وتقديرهما، فجعلهما في "طبقات الوزارة"،وألحقهما "بالقوم من أولياء

---

[1]ابن حيان،المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،من ص44 إلى ص52. ابن عذارى،البيان،ج2،ص244. محمد عبد الله عنان،،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،ص493،الإحالة رقم2.

[2]نزل جعفر بن علي في دار يوسف بن علي بن سليمان ،ونزل أخوه يحيى في دار قاسم بن يعيش.وأقام بنو خزر في دار إبراهيم الفتى الخليفة الموسومة ب"النزل".ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص52،53.

[3]المصدر نفسه،ص53.

[4] المصدر نفسه،صص54،55،61.ابن عذارى،البيان،ج2،ص244.

[5] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ اسبانية الإسلامية،ص42.

[6] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص53.

[7] ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص306.

[8] ذكر ابن حيان أن الحكم المستنصر أجرى لهما "ألف دينار دراهم على كل واحد منهما للشهر،ومن القمح لنفقاتهما لكل شهر لكل واحد منهما سبعون مدياً." ثم إنه زيد في جراية جعفر بن علي وابنه إبراهيم،فبلغت "ثمانمائة دينار وازنة لكل شهر". ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص53،70.

[9] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص53. ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص108.

الدولة"[1]،وكان يدعوهما في المناسبات والأعياد،ويجلسهما ببلاطه مع كبار الشخصيات بدولته[2].

غير أنّ الحفاوة بالأخوين الحمدونيين لم تدم طويلا،فقد تعرضا إلى محنة شديدة من الخليفة الحكم المستنصر الأموي[3]،فما هي أسباب هذه المحنة وسخط الخليفة الأموي الأموي عليهما بعد ذلك التكريم والتشريف؟؟ ذكر ابن خلدون أن سبب ذلك،يعود إلى أنهما خرقا حدود الأدب مع الخلافة [4]،فاستدعهما إلى القصر وأمر بسجنهما تأديبا لهما.وأورد ابن الأبار أنه سُعي بهما إلى الحكم المستنصر،فكان ذلك سببا في سخطه عليهما ،وأمره" بإزعاجهما ومن معهما رجّالةً من منازلهم إلى المُطبق بمدينة الزهراء"[5]،والتشهير بهم .

غير أنّ ابن حيان كشف أكثر سبب محنة جعفر وأخيه يحيى ،فذكر أن الحكم المستنصر طلب منهما أن يُصيّرا إليه العبيد التابعين لهما مقابل ثمن معين،ليضمهم إلى جيشه لما كانوا يتصفون به من البأس والشجاعة[6].وقد كان أكثرهم يركب الخيل[7].فرفضا الخيل[7].فرفضا طلبه[8]،وقيل أنهما عبّرا عن رفضهما بأن قالا كلاما لا يحمد في حق الخليفة،وامتدحا الخلفاء الفاطميين،فنُقل ذلك إليه[9]،ممّا أغضبه،وأمر بسجنهما[10]،ثم فصل العبيد عنهما،وضمهم إلى جند الخليفة،وكان ذلك في شهر شوال سنة 363هـ/974مـ[11].

يبدو أنّ إلحاق الخليفة الأموي الحكم المستنصر عبيد جعفر في خدمته، تدخل في سياسة الاحتواء،التي انتهجها مع القوى التي وفدت عليه من المغرب،والتي يتكون معظمها من العنصر البربري،وعمل على ضمها إلى جيشه، وتسخيرها لخدمته وحماية ولي عهده [12]هشام[13]،بدل أن تستغلها أطراف

---

[1] ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص108.

[2] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص82،156.

[3] ابن أبي دينار، المؤنس،ص74.

[4] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.

[5] ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص306.

[6] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص192. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص500.

[7] وذكر الداعي إدريس أنّ عدد هؤلاء العبيد الذين اصطحبهم جعفر معه إلى الأندلس أربعة آلاف غلام. الداعي إدريس،تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب،ص730.

[8] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص192.

[9] محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص500.

[10] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص192.

[11] محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص500.

[12] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص192،193.

[13] سماه أبوه الحكم المستنصر هشاما،وأمه صبح الجارية، وكنيته أبو الوليد،والملقب بالمؤيد،ومولده سنة 365هـ/5فبراير 965مـ. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة =

أخرى ضده.وهذه القوة العسكرية البربرية ،والتي تعدادها نحو سبعمائة فارس مكوّنة من ثلاث فئات،فئة العبيد التابعين للأمير جعفر،وفئة رجال بني برزال الذين التحقوا بحليفهم جعفر بن علي،وفئة العبيد والخدم المناصرين لأحد أمراء الأدارسة[1] الداخل إلى الأندلس[2].واعتبر ابن حيان أن هذه السياسة من الخليفة الأموي هي السبب في بروز قوة البربر،ونفوذهم في الدولة الأموية،وتحولهم إلى طرف في الأحداث الخطيرة التي وقعت فيما بعد،وأدت إلى نشوء ملوك الطوائف وسقوط الخلافة الأموية[3].

ويضاف إلى السبب السابق،أن الحكم المستنصر ربما خشي من تعاظم قوة جعفر،وانقلابه عليه،كما انقلب على حلفائه الفاطميين السابقين،معتمدا في ذلك على عبيده الذين جاء بهم من إمارته بمسيلة،لهذا عمل على اتخاذ إجراء وقائي،بأن يسلب من جعفر قوته العسكرية والمتمثلة في عبيده المدججين بالسلاح.وربما امتنع جعفر عن تلبية طلب الخليفة الحكم بتسيير عبيده إليه خشية إضعافه وتجريده من القوة التي تحميه من المؤامرات التي تحاك ضده.

وذكر ابن الأبار أنّ يحي بن علي حينما حُبس مع أخيه جعفر أظهر "من شهامته وتجلّده في هذه المحنة ما شُهر."[4] وأطلق عبارته التي يعبر فيها عن تأسفه على فراقه للفاطميين ،وحنينه إليهم،وهي:"لا،بل جزاء من آثر بني مروان على وَلَدِ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"[5].وقيل أن المعز لما وصلته هذه الكلمة من يحيى، أثنى عليه، وعطف على ما تبقى من أفراد أسرة بني حمدون بالمغرب[6]،وهذا يدل على بقاء نوع من ولاء يحيى للفاطميين،بخلاف أخيه جعفر.

ولكن هذه المحنة لم تستمر طويلا،فبعد أيام قلائل[7] تمكن عبد الملك بن القاضي منذر بن سعيد البَلّوطِيّ[1] صاحب خطة الردّ أن يقنع الخليفة الحكم المستنصر بالإفراج

=

العامرية،العصر الأول،ص503. ولخص ابن حزم حياته فقال:"ولي أمر الخلافة وهو ابن أحد عشر عاما؛وكان متغلبا عليه،لا أمر ولا نهي،تلقّب بالمؤيد،وخُلع مرة بعد مرة؛ وقد انقرض،ولا عقب له .." ابن حزم،جمهرة أنساب العرب،ص100.ينظر لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ إسباتية الإسلامية،ص43.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج4،ص188.المقري، نفح الطيب،ج1،ص396.

[1] وهو "حسن بن قنون". ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص178.

[2] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص192. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص501.وينظر Lèvi-Provençal, Histoire de l'Espagne Muslaman ,tome3,pp80,81.

[3] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص193.

[4] ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص306.

[5] المصدر نفسه،ج1،ص306.

[6] المصدر نفسه،ج1،ص306.

[7] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109وذكر عبد الله عنان أنّ مكثهما في السجن كان بضعة أشهر،وأُطلق سراحهما في شهر رجب سنة 363هـ. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص500.

عن جعفر وأخيه يحيى،وهذا بعدما استشفع لهما بلطف ولي العهد الصغير هشام بن الحكم[2]،فأطلق الخليفة سراحهما.و هكذا استرجعا مكانتهما بالبلاط الأموي على النحو الذي كانت عليه من قبل[3].ولكن ما لبث أن أصيب الخليفة بالشلل،فحدث ركود في النشاط العسكري الأموي بالمغرب،فرأى جعفر بن عثمان المصحفي المتولي أمور الدولة نيابة عنه[4] أن يعقد ولاية فاس و المغرب[5] لجعفر بن عليّ[6].

وكان اختيار جعفر بن عثمان المصحفي جعفربن علي واليا على المغرب بدافع التخلص من الخطر الذي قد يشكله مع أخيه وهما في الأندلس،وفي الوقت نفسه ليتجنب انتقامهما من محنة السجن التي تعرضا لها[7]،وأيضا ليضعف نفوذهما السياسي داخل القصر.كما وجد فيهما سلاحا جديدا يمكن استخدامه ضد الفاطميين وأنصارهم بالمغرب[8]،ومن ثم يضبط الأوضاع في هذه المنطقة،ويبقيها تحت نفوذ الأمويين[9].ويضاف إلى تلك الأسباب أن المغرب بلد جعفر بن علي،وهو أعرف به[10]

=

[1] يلاحظ أن والد عبد الملك هو القاضي منذر بن سعيد بن عبد الله النفزي البلوطي السماتي(ت355هـ)، أصله من قبيلة سماتة البربرية المستقرة بإقليم الزاب، والتي هاجر بعض أفرادها إلى الأندلس واشتهر البعض منهم بالفصاحة والبلاغة،وتقلدت مناصب مهمة في الدولة الأموية كالقاضي منذر بن عبد البلوطي والذي تولى منصب قاضي القضاة بالأندلس في عهد الخليفة الناصر لدين الله ،وابنه الحكم.ومن المعلوم فإن جعفرا ويحيى كانا أميرين على هذا الإقليم،و أمهما من البربر،وعمهما أبي عبد الله الأندلسي قد استوطن بلاد سماتة وربط علاقته بقبائلها البربر من نفزة وكتامة.بالإضافة إلى ما قيل أن والد عبد الملك كان فيه شيء من التشيع.فربما كان هذا النسب البربري والولاء الشيعي سببا في إقدام عبد الملك دون غيره في مساندة جعفر ويحيى في محنتهما،وكان وراء الإفراج عنهما.ابن حزم،جمهرة أنساب العرب،ص500.الطالبي،الدولة الأغلبية،ص632،الإحالة رقم 89. نور الهدى بو خالفة،أنساب القبائل العربية المهاجرة ،ص465. محمود علي مكي،التشيُّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية،ص22.

[2] ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص306.

[3] ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1،ص306. ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص192.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

[4] محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص510.

[5] وعقد جعفر بن عثمان المصحفي ولاية المغرب الأقصى لجعفر وأخيه يحيى نيابة عن يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي. والذي استدعي إلى الأندلس لسد ثغورها.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.

[6] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص109.

[7] مؤلف مجهول،مفاخرالبربر،ص103.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص109.

[8] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس،ص229.

[9] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.

[10] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.

وأنّه خصم لبني زيري الصنهاجيين الذين يشكلون تهديدا لسلطة الأمويين بالمغرب الأقصى.

وهكذا جعل جعفر بن عثمان ولاية المغرب الأقصى لجعفر بن علي وأخيه،" وأباحهما على ما افتتحاه من البلاد،وخلع عليهما خلعا فاخرة؛ودفع إليهما مالا وكسى واسعة...وضم إليهما بعض رجالهما وأنفذهما،فوصلا إلى قلعة الحجر[1]..."[2] وعلى هذا النحو كان مسير جعفر بن علي وأخيه يحيى إلى العدوة المغربية في سنة365هـ[3]/976-975مـ،وبين أيديهما الألوية والطبول[4].

وقد حقق جعفر بن علي نجاحا باهرا في ضبط الأوضاع بالمغرب الأقصى[5]،فاستقام أمر هذه المنطقة [6]بفضل الكفاءة والمهارة التي أظهرها في ولايته،فانحازت إليه زناتة حتى سار عددهم ستة آلاف فارس[7]،واجتمع إليه ملوك زناتة[8] زناتة[8] من بني يفرن ومغراوة وسجلماسة[9]. وغيرهم من أبناء المغرب المواليين للأمويين[10].فكانت هذه الوحدة الزناتية التي تحققت على يد جعفر بن علي قوة دافعة لخطر بلكين بن زيري[11].

---

[1] قلعة حجر نسر:قلعة بالريف من أرض غمارة على مسيرة ثلاثة أيام من سبتة تقع جنوب شرق البصرة على قمة جبل شاهق وعر من الصخر يصعد إليها بطريق ضيق،بناها الأمير إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس سنة 317هـ/929مـ؛وكانت قاعدة أمراء الأدارسة وحصنهم بعد زوال نفوذهم في نواحي المغرب الأقصى.ينظر سعدون نصر الله،تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة.بيروت:دار النهضة،ط1،سنة2003،ص 188.وينظر أيضا محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول.القاهرة:مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط4،سنة 1389/ 1963مـ،ص492.

[2] مؤلف مجهول، مفاخرالبربر، ص103.

[3] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.ابن عذارى،البيان،ج2،ص249.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4 ،ص107.

[4] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص249.

[5] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص109.

[6] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.

[6] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.

[7] المصدر نفسه،ص103.

[8] و منهم " يدو بن يعلى بن محمد صاحب بني يفرن، و زيري وأخوه مقاتل ابنا عطية بن عبد الله بن تبادلت المغراوي عظماء زناتة؛وغيرهم من أبناء أمراء المغرب...".مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.

[9] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.

[10]ذكر صاحب "مفاخر البربر" نقلا عن ابن حيان منهم:بني البوري وبني مرين وبني مروة وغيرهم.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.محمد بن عميرة،دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،ص249.

[11] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص103.

وقد استمرت ولاية جعفر بن علي بمنطقة المغرب التابعة للأمويين إلى أن توفي الخليفة الحكم المستنصر، وتمكن الحاجب محمد بن أبي عامر من السيطرة على مقاليد الحكم.فقام هذا الحاجب باستدعائه إلى الأندلس،وهنا تبدأ مرحلة جديدة في الحياة السياسية لأسرة بني حمدون بالأندلس،فماهي مميزات هذه المرحلة؟ولماذا طلب الحاجب بن أبي عامر من عامله بالمغرب الدخول إلى الأندلس؟وماهو الدور الذي لعبه جعفر في دولة هذا الحاجب؟ وما هي نتائجه؟؟

3_دور بني حمدون في دولة الحاجب المنصور بن أبي عامر:

توفي الحكم المستنصر في شهر صفر سنة 366هـ/976مـ،وقد كان أخذ البيعة لولده هشام من الخاصة والعامة،وجمع كبار رجال دولته وأخذ العهد منهم على مناصرته ومساندته،وذلك في شهر جمادى الثانية سنة 365هـ/5 فبراير 976مـ[1].ولكن ولي عهده كان صغيرا،غير مؤهل ليتولى كرسي الخلافة بنفسه،مما جعل الناس ينقسمون إلى أحزاب مختلفة،كل حزب له رأيه الخاص الذي يناسبه فيما يتعلق بمن يخلف الحكم المستنصر[2].وقد برز من بين هذه الأحزاب حزبان كبيران متنافسان؛حزب العسكريين وحزب الوزراء[3].

فحزب العسكريين يمثله أمراء الصقالبة[4]،ورجال الجيش بزعامة اثنين من كبار الصقالبة والحرس الخليفي، وهما فائق وجوذر،و قد قررا بعد وفاة الحكم المستنصر تولية منصب الخلافة للمغيرة بن الناصر أخي الحكم، ويعزلا هشام بن الحكم بسبب صغر سنه،وبذلك يضمن هذان الفتيان بقاء السلطة في قبضتهما باعتبارهما أكبر فتيان

---

[1] ابن عذارى،البيان،ج2،صص249،253.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،تحقيق شوقي ضيف.القاهرة:دار المعارف،ط3،سنة1955،ج1،ص199.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ اسبانية الإسلامية،ص44. أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون تاريخ،ص226. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص509.

[2] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،صص44،45.أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون تاريخ،ص226.

[3] أحمد مختار العبادي،المرجع السابق،ص224.

[4] الصقالبة:(جمع صقلبي؛بالإسبانية:Eslavos؛وبالإنجليزية:Slavs) وهم رقيق أو عبيد من سبي الشعوب السلافية الذين بيعوا إلى عرب الأندلس و أطلق عليهم اسم الصقالبة،وقد توسع معنى هذه الكلمة،فأصبحت تعني أيضا الرقيق المجتلب من أوربا.وظهر الصقالبة في البلاط الأندلسي بكثرة في عهد الحكم المستنصر،وكان عددهم في قصره زهاء ألف،ولهم نفوذ عظيم،وفي يدهم الحرس الخليفي،ومعظمه منهم.وجاء أغلب هؤلاء العبيد أطفالا إلى قرطبة وتلقى الذكور منهم تربية عسكرية إسلامية واستخدموا في أعمال القصر والحرس والجيش ثم ارتفعت منزلتهم فصار منهم الوزراء والقواد و كبار الدولة الأموية، وكانوا يسمون أيضا بالفتيان و الخلفاء،كما وردت تسميتهم بالخرس و المجابيب والمماليك.ينظر ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،ص48،الإحالة رقم2. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص 517. ابن الخطيب،تاريخ المغر ب العربي،ص43، الإحالة رقم1.

القصر ،ولأنّهما أيضا من دبّر هذه الخطة[1].وقد اتفقا على أن يبقى هذا القرار بينهما سرا ،وأن يتخلصا كذلك من الحاجب جعفر المصحفي حتى لا يقف في وجههما.ولكن تراجعا عن قرارهما،وفضلا ضمه إليهما ومشاورته فيما أرادا القيام به[2].

وأما حزب الوزراء ،فكان يضم جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر وغالب الناصري[3]،ورأيه الالتزام ببيعة هشام للخلافة ،وتنصيبه خلفا لأبيه الحكم[4].ويلاحظ أن هذا الحزب اكتشف خطة الصقالبة عن طريق جعفر المصحفي الذي التقى بجوذر وفائق الصقلبيين وطلبا منه تأييدهما في ترشيح المغيرة أخي الحكم،فأظهر لهما الموافقة،ثم اجتمع بأصحابه من أنصار هشام ،مثل محمد بن أبي عامر،واستدعى بني برزال ،إذ كانوا بطانته من سائر الجند ،واستحضر سائر القادة العسكريين،فأخبرهم بما أقدم عليه الصقالبة من نكث بيعة هشام،وترشيح المغيرة.وبيّن لهم أن مشروع الصقالبة في ترشيح المغيرة للخلافة خطر داهم عليهم،وعلى نفوذهم،وبالعكس،فتولية هشام يحفظ لهم مكانتهم في الدولة[5].

وعلى هذا وافق أصحاب جعفر بن عثمان المصحفي على إفساد خطة الصقالبة،وقرروا اغتيال المغيرة،وكلفوا محمد بن أبي عامر بهذه المهمة،فقام بتنفيذها بمساعدة جماعة من الجند[6].ثم أكد حزب الوزراء على تنصيب هشام خليفة،بأن أجلسوه للبيعة في 04 من شهر صفر سنة 366هـ/أكتوبر 976هـ، ودعوا الناس لذلك،فاتفقوا كلهم على مبايعته بما في ذلك الصقالبة.وقد كان لابن أبي عامر دور كبير في أخذها[7].

---

[1] ابن عذارى،البيان،ج2،ص260. ابن بسام الشنتريني،الذخيرة،ج4،ص36. ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج1،ص 200. لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص60.عبد العزيز،الأندلس وآثارهم.ص323.

[2] ابن بسام الشنتريني،الذخيرة،ج4،ص 36.ابن عذارى،البيان،ج2،ص260.

[3] غالب الناصري:هو القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري صاحب مدينة سالم،وكان مولى للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر،وكان غالب من مستشاريّ الحكم المستنصر ونصحائه،وأعظم قائد أندلسي في ذ لك العهد،وقد أسند له الحكم القيادة العليا، وأصدر مرسومه بذلك إليه في سنة 361هـ،وقلّده سيفين مُذهبين من ذخائر سيوفه،وسماه :"ذا السيفين". محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص512.

[4] ابن عذارى،البيان،ج2،ص260. لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص60.أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس،ص224.

[5] ابن بسام،الذخيرة،ج4،ص36. ابن عذارى،البيان،ج2،ص260. ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج1،ص200. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص517.

[6] ابن بسام،الذخيرة،ج4،ص36.ابن عذارى،البيان،صص260،261.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب، ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص188.المقري،نفح الطيب،ج1،ص396.

[7] ابن عذارى ،البيان،ج2،صص260،261. ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج2،ص200.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص188.المقري،نفح الطيب،ج1،ص396.

ثم شرع جعفر المصحفي بمعونة محمد بن أبي عامر يخطط للقضاء على نفوذ الصقالبة بالقصر،وبالأخص التخلص من جوذر و فائق.وقد كانت العلاقة بين الطرفين قد ساءت،فأسند جعفر إلى بن أبي عامر مهمة تجريدهما من أتباعهما وجندهما. فضيّق الخناق على الصقالبة كلهم،فأمرهم بالبقاء في دورهم،ثم عزلهم عن تدبير الدولة كلية،وأخذ منهم أموالهم،واضطرهم أن يخرجوا من قرطبة والرحيل عنها[1].وبهذا كان النصر حليف حزب الوزراء في البلاط الأموي.واستقر الأمر لخلافة الطفل هشام المؤيد،فقُلد جعفر بن عثمان المصحفي حاجبا له،ومحمد بن أبي عامر معاونا له في تدبير شؤون الدولة[2] ورُقي إلى مرتبة الوزارة[3].

ولكن ابن أبي عامر كان له طموح أكبر من أن يكون مشاركا في الحكم،إذ أنّه كان يعمل منذ أن دخل إلى قرطبة،على أن يكون الرجل الأوحد الذي يدير الأندلس كلها و يحكمها بدون منازع.فاستطاع أن يدخل إلى قصر الخليفة ،ويترقى في المناصب[4]،وهذا بعدما تقرب من زوجة الحكم المستنصر صبح[5]،ثم أظهر مهارة ونجاحا في المهام المسندة إليه[6].ولكن وجد أمام وصوله إلى السلطة وانفراده بها طريقا صعبا طويلا مليئا

---

[1] ابن عذارى،البيان،ج 2،صص262،263،264. ابن بسام الشنتريني،الذخيرة،ج4،ص38. لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص61.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص189.المقري،نفح الطيب،ج1،ص396.

[2] لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص60.عصام محمد شبارو،الأندلس من الفتح المرصود إلى الفردوس المفقود.بيروت:دار النهضة العربية،ط1،سنة2002،ص193.

[3] محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص524.

[4] من أول المناصب التي تولاها محمد بن أبي عامر أنه استخلف على قضاء كورة ريه، ثم تصرف في وكالة صبحٍ أم هشام، وولي الشرطة والسكة والمواريث.ابن بسام ،الذخيرة،ج4،ص37. ثم قدمه الحكم إلى الأمانات بالعدوة،ثم أضاف إليه النظر في الحشم آخر أيامه. لسان الدين ابن الخطيب،المصدر السابق،ص59.

[5] صبح أم المؤيد:ظهرت في بلاط قرطبة في أوائل عهد الحكم المستنصر بالله،وهي جارية بشكنسية أي نافارية.وكانت جارية أو حظية الحكم المستنصر، فزاد تعلقه بها خاصة لمّا ولدت له ولدين،أولهما يسمى عبد الرحمن،ولكن مالبث أنّ مات، والثاني اسمه هشام،وهو المعروف بهشام المؤيد الخليفة الأموي .وقد كانت صبح ذات نفوذ كبير في البلاط والحكومة،حتى كان يطلق عليها " السيدة صبح" و" السلطانة صبح"،بمعنى أنّها كان لها مواصفات الملكة الشرعية،وكان الحكم يثق بها ، ويستمع لرأيها، وكانت تتدخل في تعيين الوزراء ورجال الدولة.وكان لها دور في صعود ابن أبي عامر إلى أعلى المراتب في الدولة الأموية.توفيت نحو 390هـ/1000مـ. محمد عبد الله عنان،تراجم إسلامية شرقية وأندلسية.القاهرة:مكتبة الخانجي،ط2،سنة 1390هـ/1970مـ،صص199،200،201.

[6] ابن عذارى،البيان،صص258،259.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج1،ص199.لسان الدين بن الخطيب،تاريخإسبانية الإسلامية،صص59،60،78.المقري،نفح الطيب،ج1،ص399.

بالخصوم والأعداء في داخل البلاد وخارجها،فعمد إلى الإيقاع بين خصومه،وضرب بعضهم ببعض ،ثم قضى عليهم واحدا بعد الآخر بجميع الوسائل الممكنة[1].

فبدأ خطته بالتخلص من منافسه الأول الحاجب جعفر المصحفي وإزاحته مستعينا بالقائد غالب الناصري،أقوى شخصية بالأندلس بعدهما، والذي كانت بينه وبين جعفر عداوة ومنافسة[2].وقد حاول جعفر تفادى مواجهته وضمه إلى صفه،فأشار إلى محمد بن أبي عامر باستمالته وتقريبه[3].

فكانت هذه فرصة لابن أبي عامر اغتنمها ليتقرب من غالب ويعتمد عليه في إزاحة جعفرفولاّه بأمر الخليفة خطة الوزارتين،وقيادة جيش الثغر،بينما يتولى هو جيش الحضرة، ويشاركه في حملاته العسكرية ضد النصارى. فاستطاع في أثناء هذه الحملات أن يأخذ منه موافقته الأكيدة ودعمه القوي للقضاء على خصمه جعفر[4].

وقد زاد ابن أبي عامر في إحكام خطته لإزاحة جعفر بأن استمال الناس إليه[5]وكسب تأييد الوزراء له في كل ما يريد القيام به[6].بالإضافة إلى ذلك أنه وطد نفوذه داخل داخل القصر،بتعيين حرس خلافي جديد يضم عناصر موالية له،مكان الحرس الصقلبي الذين تجاوزوا الألف[7].

فشرع في عزل جعفر عن منصبه[8].و لكن المصحفي تنبه إلى خطة ابن أبي عامر،فبادر إلى مصالحة غالب،وخطب أسماء بنته لابنه عثمان،وكادت السياسة تؤتي أكلها،ولكن ابن أبي عامر حال دون تحقيق هذه المصاهرة،فقد أقنع غالبا بفسخ هذه الخطوبة،و يوافق على تزويجه ابنته[9].ثم زاد في تقريبه لغالب بأن مكنه من تولي

---

[1] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص189.أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب و الأندلس،صص227،228.

[2]ابن بسام الشنتريني،الذخيرة،ج4،ص39.ابن عذارى،البيان،ج2،ص265.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص61.

[3]ابن بسام الشنتريني،الذخيرة،ج4،ص39. ابن عذارى،البيان،ج2،ص265.

[4] ابن بسام الشنتريني،المصدر السابق،ج4،ص40. ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص265.

[5] ابن بسام الشنتريني،المصدر السابق،ج4،ص37. ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،صص264،265.

[6] ابن خاقان،مطمح الأنفس،ص62. ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص271.المقري، نفح الطيب،ج1،ص420.

[7] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص259،263.عصام محمد شبارو،الأندلس من الفتح العربي إلى الفردوس المفقود،ص193.

[8] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،صص266،276.

[9] ابن بسام الشنتريني،الذخيرة،ج4،ص40.ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،صص267،268.السيد عبد العزيزسالم،تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر،سنة 1408هـ/1988مـ،ص330.

منصب الحجابة مشتركا مع جعفر.ثم واصل ملاحقته لجعفر، فجرده من أمواله وسجنه بالمطبق ثم قتله[1]في سنة 372هـ/[2]982مـ.

وبعد أن تخلص محمد بن أبي عامر من جعفر المصحفي شرع في إحكام سيطرته على شؤون الدولة،"فغرس صنائعه ورجاله عوضا عن صنائع جعفر وشيعه،وقدم أولياءه لمراتب الوزارة"[3]،واتخذ فريقا من الصقالبة عرفوا بالخلفاء.وأخر رجال العرب ،وأسقطهم عن مراتبهم[4].وبنى لنفسه مدينة[5] ينزلها ويدير منها دولته ،وعطل قصر الخليفة من جميعه،ومنع هشام من كل تدبير،وأشاع أنه فوّض إليه النظر في أمر المُلك تجردا لعبادة الله.ومن ثم صيّره في قبضة يده ،فلا يدعه يقوم بشيء إلا عن أمره وإذنه[6].فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك ،و الاستبداد بالأمر[7].

ثم تحوّل بعد ذلك إلى شخصية قوية أخرى قد تنافسه في حكم الأندلس،وهي شخصية صهره غالب والذي كان مقيما بالثغر بعيدا عن قرطبة رغم تقلده لرتبة الوزارة[8].وقد كان قائدا شجاعا محنكا[9]،يمتلك قوة عسكرية كبيرة،فجيش الثغر تحت يده،وهو "فارس الأندلس بلا منازع "،و"شيخ الموالي" كلها ،"صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى"[10]،و"سيف الدولة الحكمية والناصرية،وأنف عزتها"[11].ولمواجهته شرع

---

[1] ذكر ابن بسام أن جعفر المصحفي قُتل بأن دس له شربة سم قضت عليه. ابن بسام الشنتريني،المصدر السابق،ج4،صص40،41. وزاد ابن عذارى :قيل قتل خنقا . ابن عذارى،البيان،ج2،من ص267 إلى ص272.وينظر أيضا لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص61.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص189.المقري،نفح الطيب،ج1،ص397.

[2] ابن بسام ،الذخيرة،ج4،ص42.ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص259.

[3] لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص61.

[4] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص189.السيد عبد العزيزسالم،تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،ص331.

[5] وهي المعروفة باسم مدينة الزاهرة،وهي التي بناها المنصور سنة370هـ/980مـ في شمال شرق قرطبة،وهي تقابل مدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر في شمال غرب قرطبة.ولقد اندرست هذه المدينة الزاهرة بعد مدة قصيرة من بنائها خلال الثوارت التي قامت ضد ولده عبد الرحمن بن المنصور المعروف بشنجول سنة399هـ.أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،صص244،245.وينظر الحميري،الروض المعطار،ص283،284. ابن عذارى،البيان،ج2،ص276،.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص62.

[6] ابن عذارى،البيان،ج2، من ص 272 إلى ص 278.لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص62.

[7] محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص536.

[8] المرجع نفسه،ص537.

[9] أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،ص228.

[10] ابن عذارى،البيان،ج2،ص265.

[11] لسان الدين الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية،ص61.

يبحث عن "ضد له من أصحاب السيوف والحرابة المشهورين "[1]، وقائد عسكري قوي وماهر،وفارس شجاع مثله[2]. فلم يجد أصلح لهذه المهمة مثل جعفر بن عليّ،عامله على المغرب الأقصى[3].والذي اشتهر "بشدة بأس وربط جأش ونباهة ذكر وجلالة قدر"[4].فجدّ في استجلابه،وتواترت كتبه إليه،يستحثه على المجيء[5].

ولكن يبدو أنّ جعفرا امتنع عن الاستجابة لدعوته فصار يلتوي عليه ويكره العودة خوفا من أن ينقلب عليه ويسيء إليه مثلما حدث له مع الحكم المستنصر[6].أو ربما وصلته وصلته أخبار الحاجب جعفر المصحفي،وما فُعل به.ورغم تردده في الدخول إلى الأندلس وكرهه لذلك،إلا أنّه في الأخير اضطر إلى الاستجابة لدعوة ابن أبي عامر.وسبب ذلك أن أخاه يحيى خالفه،و انقلب عليه،فاقتطع مدينة البصرة[7] وما وراءها لنفسه وذهب بأكثر الرجال عنه[8].

ويبدو أنّ القطيعة بين الأخوين جعفر ويحيى لم تكن من عدم ،وإنّما كان لها أسبابها؛فقد أشار صاحب مفاخر البربر نقلا عن ابن حيان إلى أن يحيى هو سبب الخلاف وفساد العلاقة لأنه كان من الجهل والتهور بمكانة[9].و من غير المستبعد أن تكون هناك خلافات خفية بين الأخوين منذ أن كانا أميرين بمسيلة. فيحيى هو الآخر كان له طموح الاستقلال بالحكم،وربما فكر في ذلك منذ عهد الإمارة بالمسيلة.وقد تطورت هذه الخلافات وبرزت على السطح،وانتهت بالانفصال التام بين الأخوين وهما في المغرب الأقصى.

---

[1] ابن عذارى،البيان،ج2،ص278.

[2] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس،ص228.

[3] ابن عذارى،البيان،ج2،ص278.

[4] المصدر نفسه،ص278.

[5] المصدر نفسه،ج2،ص278.وينظر Lèvi-Provençal, Histoire del'Espagne Muslaman,tome2,p224.

[6] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص104.

[7] البصرة: تقع بين أصيلا والعرائش على مسافة ثلاث مراحل من فاس.بناها الأدارسة أواسط القرن الثالث الهجري. سعدون نصر الله،تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة.بيروت:دار النهضة،ط1،سنة2003،ص184.ويصفها البكري بأنّها "مدينة كبيرة واسعة،ولكثرة ألبانها تعرف ببصرة الذبان وتعرف أيضا ببصرة الكتان وتعرف أيضا بالحمراء لأنها حمراء التربة.والبصرة محدثة أبيضا،أستت في الوقت الذي أسست فيه أصيلة." البكري، المغرب،ص110.وذكر الإدريسي أنّها "كلنت مدينة مقتصدة عليها سور،ليس بالحصين.ولها قرى وعمارات وغلاّت.وأكثر غلاّتها القطن.والقمح وسائر الحبوب بها كثير." الإدريسي، المغرب العربي،ص186.وينظر ابن عذارى، البيان،ج1،ص235.

[8] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص104.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.

[9] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص104.

ونتج عن استيلاء يحيى على البصرة واستحواذه على الرجال والأموال إضعاف أخيه جعفر عسكريا وماليا.ورغم هذه المحنة لم يسرع في الذهاب إلى الأندلس،ولكن هناك أمر آخر،ضيق عليه فرصة البقاء في المغرب الأقصى .إذ أنه كان يرغب في تعويض ما ضاع منه من أموال ورجال بأي وسيلة، بدل الرضوخ لطلب ابن أبي عامر،فأقدم على الدخول في مواجهة عسكرية مع برغواطة[1]، ومحاولة الاستحواذ على أموالها وإخضاع رجالها،ولكن انتهت هذه المواجهة بهزيمته وإضعافه أكثر، بحيث صار في وضعية حرجة،وضائقة مالية خانقة[2]، ممّا اضطره أن يترك ولاية المغرب لأخيه يحيى[3]، و يعبر إلى الأندلس في سنة367هـ[4] تلبية للدعوة التي وجهها له محمد بن أبي عامر والتي رفضها أول مرة، ليكون في خدمته،ويده اليمنى التي يضرب بها خصمه غالب.

و دخل جعفر إلى الأندلس بجيشه البربري،فأنزله بن أبي عامر قصر العقاب بعد أن أعدّه له ،وعمل على تقريبه وإعلاء مكانته،ورفعه إلى مرتبة الوزارة،و"أحلّه محلّ الأخ في الثقة ،فوجد عنده ما أحبه وفوق ما قدره"[5] وتمناه.

وبعدما ضم ابن أبي عامر إليه جعفر بن علي وضمن ولاءه له،اتجه إلى تكوين قوة عسكرية قوية وموالية له ليواجه بها جيش القائد غالب،وسماها **"جند الحضرة"** أي جيش العاصمة قرطبة، وجل عناصره من الجند المغربي البربري التابع لجعفر بن علي[6]،وكانوا نحو ستمائة فارس [7]،بالإضافة إلى البربر الذين دخلوا إلى الأندلس في عهد عهد الحكم المستنصر،خاصة من قبيلة بني برزال[8]،أو الذين كان يستدعيهم من العدوة

---

[1] ذكر ابن خلدون أنّ برغواطة من أوفر بطون المصامدة،"وهم الجيل الأول منهم، كان لهم في صدر الإسلام التقدم والكثرة...وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنقى وأسقى...وكان كبيرهم لأول المائة الثانية من الهجرة طريف أبوصبيح،وكان من قواد ميسرة... القائم بالدعوة الصفرية... ثم انقرض أمر ميسرة والصفرية ،وبقي طريف قائما بأمرهم بتامسنا...ثم هلك وولي مكانه ابنه صالح،"فحكم برغواطة، وورّث حكمها لولده من بعده.ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج6،ص276. ينظر أيضا ابن عذارى،البيان،ج1،من ص223 إلى ص228.البكري، المغرب،من ص134إلى ص141.

[2] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص105.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.

[3]مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص105. ابن عذارى،البيان،ج2،ص278.

[4] مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص105.

[5] ابن عذارى،البيان،ج2،ص278. ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص109.ابن الأبار،الحلة السيراء،ج2،ص306.

[6] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس،ص229.عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي إلى الفردوس المفقود ،ص194.

[7] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص278.

[8] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،ص192.

المغربية[1] ،وقد أغدق عليهم الأموال والنعم حتى صاروا طوع إرادته،وخاصته وبطانته،وأكثر أجناد الأندلس،وأظهرهم نعمة وأعلاهم منزلة[2].

والظاهر،أن المنصور قد أوكل تسيير هذا الجيش البربري وتنظيمه وقيادته إلى جعفر بن عليّ [3]لأن معظمه من جنده التابعين له[4]،بالإضافة إلى وجود صداقة وثيقة،وعصبية قوية بينه وبين البربر الذين وفدوا إلى الأندلس،وبالأخص مع بني برزال حلفائه بمدينة المسيلة[5].وقد اعتدل أمر جعفر بهذا الجند البربري وقوي ظهره[6].و"هكذا صار جيش الدولة مقسما إلى قسمين:الجيش المرابط في الثغور وعليه غالب،والجيش المرابط في العاصمة وعليه المنصور"[7] وأغلبيته من البربر،وبقيادة جعفر بن علي.

وقد استاء القائد غالب من ابن أبي عامر الذي أحكم سيطرته على مقاليد الخلافة ،وصار هو الآمر والناهي في شؤون الدولة سياسيا وعسكريا[8].وازداد حنقا عليه لما قام باستدعاء جعفر بن علي،إذ وجد في ذلك تخطيطا للقضاء عليه[9] .و من ثم حاول غالب أن أن يستبق خطر خصمه، فاحتال عليه ليتخلص منه،فدعاه في إحدى غزواته،وانفرد به،وشرع في عتابه،ثم كرّ عليه بسيفه؛فأصابه بجراح،ولكنّ ابن أبي عامر نجا من هذه المكيدة بأعجوبة،ثم رجع إلى قرطبة[10].وهكذا تأكد لغالب الناصري بعد هذه الحادثة أن المواجهة العسكرية مع ابن أبي عامر آتية لامحالة.فبدأ في تجهيز نفسه،وتحالف مع ملوك النصارى[11].

---

[1] ابن عذارى، البيان،ج2،ص278.

[2] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص279.أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس،ص229.

[3] ومما يدل على ذلك ما أشار إليه صاحب "مفاخر البربر" نقلا عن ابن حيان في قوله:"فاتصل [جعفر] بمحمد[المنصور] وجذب إليه البرابر." مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص105. وأيضا ما ذكره ابن عذارى أن جعفرا"اعتدل بالبرابرة أمره وقوي ظهره،وكانت هذه القطعة من البربر نحو الستمائة." ابن عذارى،البيان،ج2،ص279.

[4] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص189.عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي إلى الفردوس المفقود،ص194.

[5] ابن حيان،المقتبس،تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،صص.192،193.لسان الدين بن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية،ص237.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،صص72،73.

[6] ابن عذارى، البيان،ج2،ص278.

[7] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس،ص229.

[8] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية،ص62.

[9] ابن عذارى،البيان،ج2،ص279.

[10] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية،ص62.

[11] لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق،ص62.ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص279.استعان براميروا الثالث ملك ليون حيث أمده ببعض القوات. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص538.

وهكذا صارت المواجهة بين المنصور وصهره غالب وشيكة الوقوع،وبلغ الصراع بينهما ذروته.واستغل بلكين بن زيري هذه النزاعات على السلطة بالأندلس،فجهّز حملة عسكرية كبرى و "ضخمة"[1]، تعدادها "ستة آلاف فارس لا زيادة"[2]وسيّرها نحو المغرب الأقصى في سنة369هـ/970- 980مـ[3]،ففرت منه زناتة[4]،وتحصن ملوكها ومن تبعهم بمدينة سبتة[5]،وكان يحيى بن عليّ صاحب البصرة من الهاربين إلى هذه المدينة[6]،وبعثوا إلى ابن أبي عامر أمير مغراوة محمد بن الخير،طالبا منه النجدة[7].

فاستولى بلكين بن زيري على فاس و سجلماسة وبلاد الهَبْط[8] كلها،وطرد من جميعها عمال بني أمية[9]،ثم رحل إلى سبتة في طلب من لجأ إليها من الأمراء الموالين لحكام الأندلس خاصة الزناتيين[10].فشرع ابن أبي عامر في تجهيز جيش كبير،سار به إلى الجزيرة الخضراء[11]،وخرج معه جعفر بن علي ورجال الدولة[12]،فأقام بالجزيرة،ثم بعث

---

[1] ابن عذارى،البيان،ج1،ص231.

[2] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص106.

[3] مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص106.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.الناصري أبو العباس أحمد بن خالد،الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري.الدار البيضاء:دار الكتاب،ط1،سنة1972،ج1،ص263.وحدد صاحب "مفاخر البربر" نقلا عن ابن حيان في موضع آخر من كتابه تاريخ هذه الحملة في آخر صفر من سنة 368هـ/978-979.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص93. وذكر ابن عذارى أن هذه الحملة العسكرية كانت في سنة 367هـ/977-978مـ.وفي موضع آخر من تاريخه ذكر أنها كانت "يوم الأربعاء لخمس بقين من شعبان من سنة 368هـ"/978-979.ابن عذارى،البيان،ج2،صص230،231.أما ابن الأثير يحدد تاريخها بسنة365هـ/975-980مـ.ابن الأثير،الكامل،ج7،ص361.

[4] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص206.

[5] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص106.ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،صص206،207.الناصري،الإستقصا،ج1،ص263.

[6] مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص106.ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص207.

[7] ابن خلدون،المصدرالسابق،ج6،ص207.الناصري،المصدر السابق،ج1،ص263. محمد بن عميرة،دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،سنة1984،ص252. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية ،ج1،ص91.

[8] الهبط:هي نفس منطقة الغرب بالمغرب الأقصى. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،ص252،الإحالة رقم 2.

[9] ابن عذارى،البيان،ج1،ص231.

[10] ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص231.محمد بن عميرة،المرجع السابق،ص252.

[11] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص106.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص207.

[12] مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص106.

جعفرا إلى سبتة[1] "في أتم قوة وأظهر عدة،"وأمده بمائة حمل من المال[2]،وعقد له على حرب بلكين،فانضمت إليه ملوك زناتة،وتجهزوا للقتال بظاهر سبتة[3].

فلما رأى بلكين شدة تحصين مدينة سبتة، والجيوش الأموية المحتشدة بها،قرر عدم اقتحامها،وفك الحصار عنها[4].وبدلا من ذلك، رجع إلى البصرة[5]،فهدمها؛"وكان فيها عمارة عظيمة."[6] ولعله أراد من تخريبها الانتقام من جعفر جعفر ويحيى ابني عليّ،لأنها كانت دار ملكهما بالمغرب[7].ثم انشغل بلكين بمحاربة قبيلة برغواطة،ولم يفك قبضته عن المغرب الأقصى حتى وفاته سنة373هـ[8]. وحينما تأكد جعفر بن علي من زوال الخطر الزيري رجع إلى الأندلس ليكون في خدمة محمد بن أبي عامر،وكانت عودته على الأرجح في سنة 371هـ أو قبلها[9].

---

[1] مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص106.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص109.ج6،ص207.وذكر ابن عذارى أن في سنة 367هـ ، وصل يوسف بن زيري إلى سبتة وحاصرها ،بعث إليه ابن أبي عامر برأس جعفر بن عليّ ،وأراد أن يرضيه بذلك.والمؤرخ نفسه في جزئه الثاني من تاريخه يؤكد أن مقتل جعفر كان في سنة372هـ.ابن عذارى،البيان،ج1،ص231.ج2،ص281.

[2] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص207.الناصري،الإستقصا،ج1،ص263.

[3] مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص106.ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص207.الناصري،المصدر السابق،ج1،ص263.

[4] ابن عذارى،البيان،ج1،ص231. ابن أبي دينار،المؤنس،ص76.عندصاحب" مفاخر البربر" نقلا عن ابن حيان أن يوسف بن زيري لما عاين ما عليه سبتة من التحصين وكثرة الجيوش الأموية ،قال لمن حضر:"إنما سبتة حية ولت ذنبها هوانا؛وفغرت فاها نحونا."ثم قرر الانصراف بعسكره عنها.وعند ابن خلدون أنه لما رأى سبتة وحصانتها قال:"هذه الأفعى فغرت إلينا فاها وكر راجعا إلى عقبه".ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص207.

[5] وذكر صاحب" المؤنس" أنّها المعروفة في زمنه باسم " أصيلة".ابن أبي دينار،المؤنس،ص76.

[6] ابن عذارى،البيان،ج1،ص231.وينظر أيضا ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،ص207.الناصري،الإستقصا،ج1،ص263.

[7] ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص207.ابن أبي دينار، المؤنس،ص76.

[8] ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص237.مؤلف مجهول،مفاخر البربر،ص107.ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص207.الناصري،المصدر السابق،ج1،ص263.

[9] ذكر ابن عذارى أن مقتل جعفر بن علي كان في سنة372هـ،وهذا يفيد أن دخوله إلى الأندلس كان في هذه السنة أو قبلها،والأرجح أنها كانت في سنة371هـ أو قبلها لأن المواجهة بين جيش محمد بن أبي عامر وجيش القائد غالب كانت في سنة 371هـ.ومن المؤكد فإن هذه المواجهة كانت بعد فك يوسف بن زيري الحصار عن سبتة ورجوع ابن أبي عامر بجيشه إلى قرطبة.ينظر ابن عذارى،المصدر السابق،ج2،ص281.ابن حزم الأندلسي،رسائل ابن حزم،تحقيق إحسان عباس.بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،سنة1981،ص95.لسان الدين بن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية،ص63.محمد بن عميرة،دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،ص253،الإحالة رقم 9.

وبعد أنّ اطمأن ابن أبي عامر إلى استقرار الوضع بالعدوة المغربية ،شرع في الإعداد لمواجهة القائد غالب وجيشه، فجهز حملة عسكرية كبيرة، وسار بجيش الحضرة إلى مدينة سالم بشمال الأندلس،للقاء خصمه ،ثم توجه إلى أُنْتِيسَة،حتى نزل أمام حصن شنت بجنت San Vicente بالقرب من هذه المدينة ،في يوم الخميس 02 محرم سنة 371هـ[1]/أغسطس981مـ.فلما علمت النصارى بتحرك جيش المنصور،انضمت إلى غالب لمساندته[2].

والتقى الجيشان للمواجهة[3]،وقد عبأ ابن أبي عامر عسكره أحسن تعبئة[4]، فجعل على ميمنة الجيش جعفر بن عليّ وأخيه يحيى و البرابر ، وعلى الميسرة أبي الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي[5] والحسن بن أحمد بن عبد الودود[6] وغيرهم من أهل الثغور، الثغور، وبقي هو في القلب[7].وبدأ القتال،فأظهر غالب شجاعة وبراعة رغم كبر سنه الذي الذي قارب الثمانين،واستطاع أن يشن هجوما كاسحا على ميمنة وميسرة جيش ابن أبي عامر فشتتهما، فصار ابن أبي عامر يصفق بيده دهشا ورجلاه تضطربان،ولا يشك أنه سيقتل،وهو مع ذلك ثابت في مكانه رابط الجأش.ثم حدث مالم يكن في الحسبان،حيث سقط غالب ميتا على فرسه في أثناء المعركة ولا أثر لشيء من السلاح في جسده،فقيل أن قربوس سرجه أصاب جانب قلبه،وقالوا غير ذلك[8]،ولم يتفقوا في سبب موته[9].

---

[1] لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية،ص63.ابن حزم،رسائل ابن حزم،ص95.

[2] يتكون جيش النصارى المتحالف مع غالب لقتال ابن أبي عامر من طائفة البَشْكَنِش مع ابن ملكهم رُذْمِير ابن شانْجُه بَرِيّ قَرَجُه كما يعرف في الرواية العربية،ويسمى راميرو بن سانشو شانجه،وقد كان من بين قتلى المعركة.لسان الدين بن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية،ص63. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص539،الإحالة رقم 1.

[3] ذكر لسان الدين بن الخطيب أن المعركة دامت ثلاثة أيام:يوم الخميس والجمعة والسبت 04 محرم سنة 371هـ. لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص63.

[4] المصدر نفسه،ص63.

[5] ووصفه ابن عذارى بفارس العرب، ،وذكر أنه بعدما قتل جعفرا غيلة،قام ابن أبي عامر بقتله بعد ذلك.ابن عذارى،البيان،ج2،ص279.

[6] الحسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي أحد وزراء ابن أبي عامر، ولاّه بعد ذلك حكم المغرب، ومنحه السلطان المطلق فيه سنة 376هـ،وقد مات متأثرا بجراحه بعد خوضه معركة مع بني يفرن وذلك في سنة 381هـ. محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص546.

[7] ابن حزم الأندلسي،رسائل ابن حزم الأندلسي،ص94. لا يذكر لسان الدين بن الخطيب حضور يحيى في الجيش.لسان الدين ابن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص63.

[8] " وقد زعم قوم من غلمانه [غالب]أنّه عدل عنهم في أوّل هذه الصدمة عقب المباهلة ؛فأمسكوا عنه ،ورأوا أنّه يريد الحاجة ،وتوارى عنهم في وَهدة ؛فأبطأ؛فاستشرفوا حاله ؛ فوجدوه ساقطا ميتا،لا حراك به ." لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص65.

[9] ابن حزم الأندلسي،رسائل ابن حزم،صص94،95.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،صص =

وهكذا تخلص الحاجب بن أبي عامر من خصمه العنيد والقوي،وسهل عليه السيطرة على مقاليد الحكم بالأندلس،واتخذ سمة الملك،وأطلق على نفسه "الحاجب المنصور"،واستحوذ على جميع السلطات[1]،وتحقق له كل هذا بفضل اعتماده على خدمات جعفر العسكرية،وجيش الحضرة البربري.

ويظهر أنّ استدعاء ابن أبي عامر لجعفر بن عليّ من المغرب الأقصى،وتوليته وزيرا له، وقائدا على جيش بربري يدين له بالولاء والطاعة، قد أوجد ومن دون قصد منه قوة سياسية وعسكرية، قد تنازعه السلطة،وربما تخطط للانقلاب عليه وتصفيه[2].و لأجل هذا ،صارت تحركات جعفر واجتماعاته المريبة بمنزله في قصر العقاب مع البربر مرصودة من عمال ابن أبي عامر ورجاله،وخاصة من أبي الوليد محمد بن جهور بن عبيد الله[3] أحد وزرائه المقربين منه ،حيث" استأذن على المنصور في وقت لم يكن يصل فيه إليه أحد،" [4]ليطلعه على أخبار جعفر واجتماعه بالبربر،فاستمع إليه،وقَبِل نصيحته بالتخلص منه قبْل أن يعظم خطره،ثم ما لبث أن دبّر من يغتاله بعد هذه الزيارة المفاجئة[5].

ويبدو أن ابن جهور[6] ليس هو الوحيد الذي نصح ابن أبي عامر وساعده و أيده في التخطيط للإيقاع بجعفر وقتله،بل نجد غيره من أصحاب المناصب العليا في الدولة،و من أبرزهم أبو الأحوص معن بن عبد العزيز التُّجِيبي الذي باشر بنفسه عملية القتل[7]،وابن عبد الودود وابن ذي النون[8] وغيرهم من رجال الدولة[1].ونلاحظ أن مصلحة هؤلاء التقت

=

63،64،65.أحمد مختار العبادي،في تاريخ المغرب والأندلس،صص229،230.

[1] محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر الأول،ص541.

[2] يحيى بوعزيز،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر،ج1،ص26.

[3] أبو الوليد محمد بن جهور بن عبيد الله:ينتمي إلى أعرق بيوتات الموالي الأندلسية،وكان جدهم الداخل إلى الأندلس،يوسف بن بخت بن أبي عبدة الفارسي،مولىعبد الملك بن مروان،دخل في كنف الطالعة البلجية، وكان من أنصار عبد الرحمن الداخل، ثم ولاّه حجابته،ثم تولى القيادة في عهد ولده هشام وتولى أبناؤه بعد ذلك مناصب الوزارة،ومنهم محمد بن جهور وزير ابن أبي عامر،ووالد أبو حزم مؤسس دولة بني جهور بقرطبة بعد زوال الدولة الأموية.محمد عبد الله عنان،دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس.القاهرة:مكتبة الخانجي،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،ط2،سنة 1389هـ/1969مـ،ص21.

[4] ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص33.

[5] المصدر نفسه،ج1،ص33.

[6] عند ابن خلدون "ابن جوهر".ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص189.المقري،نفح الطيب،ج1،ص397.

[7] ابن عذارى، البيان،ج2،ص279.عند ابن سعيد المغربي نقلا عن كتاب" فرحة الأنفس "أن قاتله هو عبد الرحمن بن هاشم التجيبي.ابن سعيد المغربي،المغرب في حلى المغرب،ج1،ص202.

[8] ذو النون:بنو ذي النون من أصول البربر،من قبائل هوارة،يقال أنّ لقبهم هو زنون فغيّر إلى رسمه المعروف،وقد ظهروا منذ أيام الدولة الأموية،حيث كان جدهم الأعلى ذو النون بن سليمان حاكما لحصن إقليش في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن،وقد نال عطف جدهم ذي النون عطف الأمير الأموي ومنحه سجلا بولايته

=

مع مصلحة ابن أبي عامر في التخلص من جعفر خشية أن يقوم بانقلاب عسكري عليهم بمساعدة من جنده البربري ,وهذا لِما رأوه من التفاف عسكري من حوله ،وعلى وجه الخصوص عصبية بني برزال له[2].

وهكذا،وبعدما تأكد ابن أبي عامر ورجالات دولته بخطر جعفر عليهم،شرعوا في وضع خطة للقضاء عليه، ولكن بدون إثارة أتباعه من البربر النافذين في جيش قرطبة.فعمل ابن أبي عامر على عدم إظهار **العداوة** له ،ووضع حيلة لقتله بأيدي خفية ومجهولة،بحيث يكون بعيدا عن دائرة الاتهام. فذكر ابن عذارى أنه في ليلة الأحد 03 من شهر شعبان سنة 372هـ/983م[3]- عزم-بزعمه- على إكرام جعفر ،مكرا منه،وحيلة لقتله؛فانتخبه ساقي المجلس بكأس؛فقال له ابن أبي عامر:"اسقها أعزَّ الناس عليَّ".فأمسك الساقي حيرةً لكثرة من ضمّ المجلس من العِلْية؛فزجره ابن أبي عامر وقال:"ناولها الوزير أبا أحمد عليك لعنة الله" فقام جعفر؛فتناولها على قدمه،واستخفه الطرب حتى قام يرقص؛فلم يبق أحد بالمجلس إلاّ فعل كفعله،وأمليت إليه الكؤوس حتى ثقل وانصرف في جوف الليل مع بعض غلمانه؛فخرج إليه معن[أبو الأحوص التجيبي]وأصحابه[4]،فلم يكن فيه امتناع لما كان عليه من السُّكر"؛فقتلوه وحملوه سرا إلى ابن أبي عامر.فأظهر الحزن والعزاء لمقتله[5].

وهكذا تخسر أسرة بني حمدون أميرها القوي،وقائدها السياسي والعسكري.وبمقتله تبدأ النهاية السياسية لهذه الأسرة. فلم يبق من رجالات أسرة بني حمدون البارزين سوى يحيى بن عليّ. والذي قرر العودة مرة أخرى إلى موالاة الفاطميين وخدمتهم. فلماذا هذه العودة إلى الفاطميين؟ وما هي المحاولة التي أقدم عليها لاستعادة مجد أسرته السياسي ،وماذا كانت نتيجتها ؟

4 النهاية السياسية لأسرة بني حمدون:

=
على ناحيته وارتهن أولاده كفالة بحسن طاعته،ومن ذلك الحين يبرز اسم بني ذي النون على مسرح الأحداث،وفي أيام المنصور بن أبي عامر ظهر منهم عبد الرحمن بن مطرف بن إسماعيل بن ذي النون وولده إسماعيل. محمد عبد الله عنان،دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،صص95،96.

[1] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص189.المقري،نفح الطيب،ج1،ص397.

[2] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص73. يحيى بوعزيز،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر،ج1،ص26.

[3] ابن عذارى،البيان،ج2،ص280.وعند ابن خلكان أن جعفر اقتل في سنة 364هـ/374-375م.وصاحب "المؤنس" يجعل مقتله سنة 367هـ ،وذكر أن ابن أبي عامر بعث برأس جعفر إلى بلكين بن زيري في اثناء حملته على المغرب الأقصى، ويبدو أنّ ابن أبي دينار قد نقل هذه الرواية من ابن عذارى.ينظر ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص360.ابن أبي دينار،المؤنس،ص74.

[4] وبيّن ابن عذارى أن أصحابه من الأندلسيين.ابن عذارى،البيان،ج2،ص279.

[5] ابن عذارى،البيان،ج2،صص280،281. لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانية الإسلامية،ص65.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،صص109،189.

عزم يحيى بن عليّ الرحيل عن الأندلس بعد علمه بمقتل أخيه جعفر،وصرّح لابن أبي عامر بنيته في ذلك عند أول لقاء معه بعد مقتل أخيه قائلا له:"قد علمنا من قتله،وهذا جزاء مثله،ولا مُقام بأرضك بعدَه"[1]ويبدو من كلام يحيى أنّه على علم بقاتل أخيه،وكأنّه يلمح إلى ابن أبي عامر[2]،ثم نراه يبدي رضاه بمقتل أخيه،و تخوّفه من بقائه في الأندلس .

فكان رد ابن أبي عامر على ما لمح إليه يحيى من اتهامه بقتل جعفر وكراهية بقائه بأرضه عنيفا، فهدّده بالقتل قائلا :"لولا أن أصدّق ظنَّك في أخيك لألحقتك به"[3] ثم وجدها فرصة لطرده من الأندلس،و بالتالي يجنب نفسه المتاعب التي قد يسببها له يحيى إذا بقي،فقال له مهددا وموبخا:" فاخرج إلى لعنة الله غير مكلوء ولا مصاحَب"[4].وليس هذا فقط،بل وكل به من أزعجه[5]فما كان منه إلا أن خرج إلى العدوة بالمغرب[6] متوجها إلى الفاطميين بمصر[7].

ويلاحظ أنّ يحيى اختار اللجوء مرة أخرى إلى الفاطميين دون غيرهم،ممّا يشير إلى بقاء نوع من الولاء لهم في نفسه،وقد لوحظ هذا حينما أظهر تحسره على فراقهم أثناء محنته في عهد الحكم المستنصر،ثم إنّه لم يجد مكانا آخر يلجأ إليه إلا مصر،فالمغرب كله بيد خصومه الزيريين،والأندلس والعدوة المغربية بيد قاتل أخيه جعفر المنصور ابن أبي عامر،فلم يكن له خيار آخر إلا الرحيل إلى القاهرة، عاصمة الدولة الفاطمية. وأما التاريخ التي خرج فيه يحيى من الأندلس ليتوجه بعائلته إلى مصر،فيُحتمل أن يكون إما في سنة 272هـ أو في سنة273هـ،وهي السنة التي توفي فيها أبو الفتوح يوسف بن بلكين[8]،لأن خروج يحيى كان في حياة هذا الأمير الزيري،وبعد وفاة أخيه جعفر.

وسار يحيى بأسرته إلى مصر، وبصعوبة استطاع أن يجتاز المغرب، سالكا طريقا إلى الجنوب،مارا بسَجلماسة ثم الصحراء،خوفا من وقوعه في قبضة أبي الفتوح يوسف بن بلكين،والذي فطن لمروره بمنطقته،فقامت عليه القيامة،واجتهد في البحث عنه

---

[1] ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص307. لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص65.
[2] ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1،ص307،الإحالة رقم 1.
[3] ابن الأبار، الحلة السيراء،ج1،ص307.
[4] المصدر نفسه،ج1،ص307.
[5] ابن الأبار، المصدر السابق،ج1،ص307.لسان الدين بن الخطيب،تاريخ إسبانية الإسلامية،ص65.
[6] ابن الأبار، المصدر السابق،ج1،ص307.
[7] ابن الأبار، المصدر السابق،ج1،ص307.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص109.
[8] ابن عذارى،البيان،ج1،ص239.

،ولكن لم يقدر الإمساك به،وإن كان استطاع العثور على أحد أولاده تخلف عنه بالمغرب فقبض عليه وقتله[1].

ولما وصل يحيى إلى مصر،استقبله الخليفة الفاطمي العزيز بالله أبي المنصور بن نزار بحفاوة[2] ،فتلقاه بالمبرة والتكريم[3]،وأدخله في يوم زينة[4]،وأنزله في داره[5].و بعد هذا هذا الاستقبال،أظهر يحيى للخليفة الفاطمي اعتذاره على ما بدر منه من القطيعة عنهم وتحالفه مع خصومه الأمويين،معترفا بالزلة،وطالبا منه العفو والإقالة.فقبل العزيز بالله اعتذاره،وسامحه على كل ما كان منه،وكشف له أن كلمته التي قالها بالزهراء وهو بالسجن قد أتت على ذلك كله[6]،والتي عبّر فيها عن حنينه إلى الفاطميين وندمه على تفضيله لبني أمية عنهم.

فاستقر يحيى في رعاية العزيز بالله وعنايته،وتصرف في خدمته[7].ولم تذكر الروايات التاريخية أنه كُلف بمهمة ما في عهد هذا الخليفة الفاطمي.فلما وُلي الحاكم بأمر الله الحكم بعد وفاة والده العزيز بالله، أسند إليه القيام بمهمة يؤديها له بالمغرب انطلاقا من مدينة طرابلس[8].

و قبل أن نبحث في حقيقة هذه المهمة ، وفي أسبابها ونتائجها،من المفيد أن نسلط الضوء أولا على قضية مدينة طرابلس والنزاع الذي نشب عليها بين الفاطميين ونوابهم بني زيري بالمغرب. والجدير بالملاحظة،فإن هذه المدينة بعدما كانت تحت الإدارة المباشرة للخليفة الفاطمي المعز ،وضمن أعمال مصر،صارت تابعة للأراضي الخاضعة لدولة بني زيري،وذلك في سنة 367هـ/977_978مـ حينما تولى العزيز بالله حكم الخلافة الفاطمية،فضم هذه المدينة ونواحيها إلى ولاية نائبه بافريقية والمغرب،أبي الفتوح يوسف بن بلكين بن زيري[9]. فولى عليها تَمُوصَلت بن بكار[10]،من خواص

---

[1] ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص307.
[2] المصدر نفسه،ج1،ص307.
[3] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج1،ص110.
[4] ابن الأبار،الحلة السيراء،ج1،ص307.
[5] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص110.
[6] ابن الأبار، المصدر السابق،ج1،ص307.
[7] ابن خلدون، المصدر السابق،ج4،ص110.
[8] المصدر نفسه،ج4،ص110.
[99] ابن عذارى،البيان،ج1،ص230.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص 65.ج7،ص55. الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص135.عند التجاني أن طرابلس كانت مستثناة على باديس لا يليها أحد من قبله.بل تتعين ولاتها من مصر. التجاني،أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد،رحلة التجاني ،قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب.تونس:المطبعة الرسمية،سنة 1958،ص 182.
[10]عند المقريزي:تموصلت بن بكار. المقريزي،تقي الدين أحمد بن علي،اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،تحقيق محمد حلمى محمد أحمد.القاهرة:المجلس الأ علـى للشئون الإسلامية،لجنة التراث =

مواليه[1].فلم يزل واليا عليها،حتى حل عهد باديس بن أبي الفتح الزيري، فأرسل عامل طرابلس إلى الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ،يقترح عليه الاستقالة من ولايته،و يسلم إليه طرابلس[2]،واستأذن في الرحيل إلى القاهرة ليستقر بها[3].

وكان في بلاط الحاكم بأمر الله رجل قوي،استبد بتدبير أمور الدولة نيابة عن الخليفة الفاطمي[4]،وهو الفتى أبو الفتوح برجوان[5]،وكان الذي ينافسه في الرئاسة، خادم من خدام العزيز بالله،وهو أبو الحسن يانس الصقلبي العزيزي[6]، وحتى يتخلص منه ويخرجه من قصر الخليفة، عقد له ولاية برقة[7].ولما وصلته كتب تموصلت بن بكار

=

الإسلامي،سنة1971مـ،ج2،،ج2،ص34.وعند ابن خلدون تمصولة بن بكار.ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،ج7،ص55.و في موضع آخر من تاريخه باسم عصولة بن بكار. المصدر نفسه،ج4،ص 75.كما ذكر أنّه كان من خواص موالي يوسف بن بلكين الزيري،وكان واليه على بونة قبل أن ينقله إلى ولاية طرابلس.ابن خلدون،المصدر نفسه،ج4،ص75.ج7،ص 55.وذكره ابن تغري بردي باسم تمصولت الأسود الحاكمي.ابن تغري بردى،جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.مصر:مؤسسة مصر:المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،دون تاريخ،ج4،ص373.

[1] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص55.

[2] ذكر الهادي روجي إدريس أن السبب الذي دفع تموصلت بن بكار بالتخلي عن ولايته وتفضيله تسليمها للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله،والرحيل إلى مصر،هو أنه "ارتكب عدة تجاوزات وجمع ثروة طائلة بواسطة استغلال منظوريه.وعندما أحيط باديس علما بالأمر طلب إليه القدوم إلى القيروان لتوضيح هذه القضيةوخوفا على نفسه وعلى أملاكه،اقترح تموصلت على الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أن يسلّم إليه طرابلس،واستأذن في الرحيل إلى القاهرة ليستوطنها."الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص135.

[3] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص55.ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9.التجاني،رحلة التجاني،ص 182.الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص135. وعند المقريزي أن الذي كان يراسله تمصولت بن بكار ليسلمه طرابلس هو برجوان المشرف على دولة الحاكم بأمر الله.المقريزي،تقي الدين أحمد بن علي،اتعاظ الحنفا ،ج2،ص34.وذكر ابن خلدون أن تموصلت لما وصل إلى مصر ،ولاّه الحاكم بأمر الله ولاية دمشق،ولم يستمر إلا سنة في حكمها ثم مات.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص75.

[4] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص75.ج7،صص55،56. المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[5] برجوان:عرّفه ابن خلكان في وفياته بأنّه:" خادم العزيز ،الأستاذ أبو الفتوح برجوان الذي ينسب إليه حارة برجوان بالقاهرة؛ كان من خدام العزيز صاحب مصر ومدبري دولته، وكان نافذ الأمرمطاعاً، نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب وأعمال الحضرة، وذلك في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ،وكان أسود.وقتل عشية يوم الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر، وقيل: بل قتل يوم الخميس منتصف جمادى الأولى سنة تسعين وثلثمائة في القصر بالقاهرة بأمر الحاكم". ابن خلكان،وفيات الأعيان،ج1،ص270.

[6] خصي من خدام العزيز بالله،أنابه في الإشراف على القصور الفاطمية،فلما توفي أقره الحاكم بأمر الله على ولايته وخلع عليه،حتى نقل بعد ذلك إلى ولاية برقة،وإليه تنسب طائفة العسكر اليانسية التي عرفت بها حارة اليانسية.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34،الإحالة رقم 1 .

[7] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،صص55،56. عند المقريزي أنه تحايل عليه حتى أخرجه إلى

=

بتسليم طرابلس إلى الخليفة الفاطمي بمصر،رأى أنها فرصته لإبعاد منافسه يانس عنه ، فأشار إلى الحاكم بأمر الله ببعث يانس إلى طرابلس،فعقد له الحاكم عليها،وأمره بالنهوض إلى عملها[1].فوصلها في منتصف شهر جمادى الأولى[2] سنة390هـ[3]/999_1000م.فسلمها له تموصلت ومضى إلى مصر[4]،بعد أن ترك وراءه معظم عسكره،فاختلفوا مع أصحاب يانس حتى اقتتلوا وتعرضوا إلى معاملة سيئة من جنوده ،و اضطرهم هذا أن يلجأوا إلى أبي مناد باديس ويشكوا إليه ما نزل بهم[5] ،فعلم منهم أنّ يانس دخل إلى طرابلس _التي تعتبر جزءا من الإمارة الزيرية_فتولاها دون أن يستأذنه في ذلك.

ولذا أرسل باديس إلي يانس مستفسرا عمّا جرى،وطالبا منه أن يستظهر "سجلّ الولاية" على طرابلس[6].ولكنّ يانس أساء الرد عليه،بقوله" إنما بعثت نائبا عن أمير المؤمنين ومثلي يكبر عن أن يولى بسجل"[7].فرد باديس على جوابه بأن أرسل له جيشا لمقاتلته بقيادة جعفر بن حبيب[8]،فأقام بقرية أجاس من قرى طرابلس يستعد لمواجهته،فبعث إليه يخيره بين ثلاثة خيارات"إما بعث السجل إن كان بيده،وإما القدوم على باديس ليفاوضه فيما وصل إليه،وإما المناجزة بالحرب،"[9]فاختار يانس خيار الحرب.فحدثت المواجهة بينهما بمكان يقال له زنزور قرية من قرى طرابلس[10].

وكانت نتيجة المعركة مقتل يانس وفرار " فتوح بن علي[11] من قواده" ببقية أصحابه إلى طرابلس.فتبعه جعفر بن حبيب وحاصره بها مدة[1]بعدما امتنع أهل طرابلس

=

برقة.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[1] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص56. المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9.

[2] المقريزي،المصدر السابق،ج2،ص34.

[3] ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص9.ابن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص56.وعند المقريزي أن ذلك كان في سنة سبعين،ويريد بهاسنة سبعين وثلاثمائة(370هـ).المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[4] ابن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص 56.المقريزي،المصدر السابق،ج2،ص34.وذكر ابن خلدون أن تمصولت لما وصل إلى مصر بأهله وولده وماله،تلقاه الحاكم بأمر الله بحفاوة و هيأ له القصور ورتب له الجراية،وقلده دمشق وأعمالها،فهلك بها لسنة من ولايته.ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص75.وينظر أيضا،ابن تغرى بردي،النجوم الزاهرة،ج4،ص373.

[5] المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[6] التجاني،رحلة التجاني،ص181.ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9.

[7] التجاني،المصدر السابق،ص181. ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص9.

[8] ابن خلدون،المصدر السابق،ج7،ص56. ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص9.المقريزي،المصدر السابق،ج2نص34.عند ابن عذارى:جعفر بن عطية.ابن عذارى،البيان،ج1،ص256.

[9] التجاني،رحلة التجاني،ص181.

[10] المصدر نفسه،صص181،182.

[11] عند ابن خلدون:فتوح بن علي بن غفيانان.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص 56.وعند المقريزي:فتوح بن

=

تمكينه من المدينة ومن اللاجئين إليها[2].وفي هذه الأثناء وصلته الأخبار[3] أن فلفول بن سعيد بن خزرون الزناتي[4] أحد المتمردين على باديس،فر إلى قابس متوجها إلى طرابلس.فانتقل جعفر إلى ناحية الجبل لكي يحمي ظهره من فلفول وجيشه.ولكن ضاق عليه الحال هو وأصحابه،فعزم الهجوم على قابس ودخولها بالقوة[5].

ولكن فلفول فضّل عدم المواجهة،فترك قابس ليدخلها جعفر بجيشه[6]،واتجه إلى طرابلس ،فتلقاه سكانها و**مكنوه** من دخولها[7]،وتنازل له فتوح بن علي عن إمارتها[8] وذلك في سنة390هـ[9]/999-1000مـ،أو في سنة391[10]/1000-1001مـ.وبعث فلفول إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله يطلب منه الدخول في طاعته وخدمته[1].

=

عليّ عِقِيَان .المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[1] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص56. ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9.التجاني،رحلة التجاني،صص 182،183.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[2] التجاني،رحلة التجاني،ص183.

[3] ذكر ابن عذارى أن باديس خرج للمرة الثانية لملاحقة فلفول بن سعيد بعد أن أرسل إليه يوسف بن عامر عامله بقابس كتابا يعلمه فيه بتوجه فلفول بن سعيد إلى طرابلس مارا بقابس.وعند ابن خلدون أن عامل قابس المذكور أرسل كتابا إلى جعفر بن حبيب يعلمه بدخول فلفول بن سعيد قابس وهو يريد التوجه إلى طرابلس.ابن عذارى،البيان،ج1،ص251.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص56.

[4] فلفول بن سعيد:هو ابن سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر.وقد نزع أبوه إلى صنهاجة.فولاه المنصور بن بلكين عمل طبنة،و بعد موته،عقد عمله لإبنه فلفول.وزوجه ابنته.وبعد تولي باديس بن المنصور الحكم،أبقاه على عمله،ولكنه تمرد عليه،فطارده باديس،فلجأ إلى طرابلس،وأرسل إلى الخليفة الفاطمي يعرض عليه طاعته و مساعدته.فبعث إليه يحيى بن علي لينجده وليتولى طرابلس.ولكن يحيى فشل في مهمته،وعاد إلى مصر،فصارت ولاية طرابلس لفلفول،واستبد بحكمها.ولما يئس من نجدة الفاطميين له من خطر بني زيري،أرسل إلى حاكم قرطبة في ذلك الوقت يطلب منه النصرة، وقبل أن يأتيه المدد من الأندلس،توفي في سنة400هـ.فورث حكم طرابلس بعده أخوه ورّوا بن سعيد.وقد حدثت صراعات بينه وبين إخوته على الحكم.وتعرضت ولايته لهجمات بني زيري.ولكن رغم ذلك استمر بني خزرون في حكم طرابلس حتى انقرضت إمارتهم بهذه المدينة في سنة540هـ.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،من ص53إلىص 59.ابن عذارى،البيان،ج1،صص258،259،266.

[5] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص56.

[6] المصدر نفسه،ج7،ص56.

[7] ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص56.ابن عذارى،البيان،ج1،صص251،252.التجاني،رحلة التجاني،ص183.

[8] ابن خلدون،المصدر السابق،ج4،ص56.ابن عذارى،البيان،ج1،صص251،252.

[9] التجاني،رحلة التجاني،ص182.

[10] ابن عذارى ،البيان،ج1،صص 251،252.ابن خلدون،تاريخ خلدون،ج7،ص56. واكتفى ابن الأثير والمقريزي بذكر أحداث مقتل يانس وهروب أصحابه إلى طرابلس و حصار جعفر بن حبيب لها دون أن يأتيا على ذكر حركة فلفول إلى طرابلس ودخوله إليها.وقد حدد ابن الأثير تاريخ حصار جعفر للمدينة

=

وهنا يبرز دور يحيى بن علي.فاختاره الحاكم بأمر الله للذهاب إلى طرابلس،وأمده بالعسكر[2]،ومنحه مالا يأخذه إذا دخل برقة[3].ولعل ترشيحه لهذه المهمة دون غيره قد يعود إلى إخلاصه وولائه المطلق للفاطميين،وأيضا إلى العداء القديم بين بني حمدون وبني زيري الصنهاجيين[4]. وأما عن السبب وراء إرساله إلى طرابلس فقد اختلفت روايات المؤرخين في ذلك.فابن خلدون ذكر أن فلفول بن سعيد هو الذي استنجد بالحاكم لاسترجاع طرابلس من بني زيري المتغلبين عليه[5].بينما ابن الأثير والمقريزي أكدا أن طلب النجدة من الخليفة الفاطمي جاءت من سكان طرابلس المحاصرين[6].ولكن ما يعارض هذه الرواية، هو خروج جعفر بن حبيب من طرابلس واستيلاء فلفول عليها،وهذا مالم يتعرض له ابن الأثير والمقريزي للحديث عنه[7].ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار المدة التي تعرضت فيها طرابلس لحصار جعفر بن حبيب،قبل وصول فلفول ،فليس من المستبعد أن نداءات النجدة قد صدرت من المحاصرين بطرابلس قبل فك الحصار عنهم ،وأيضا من فلفول بن سعيد بعد دخوله إلى المدينة[8].

ويلاحظ أن يحيى بن علي سيكلف بمهمة عسكرية تتمثل في المساندة والمساعدة لفلفول بن سعيد في مواجهة بني زيري،ومهمة سياسية تتجلى في منح الحاكم بأمر الله له ولاية طرابلس وقابس ليتولاها بدل فلفول[9].وقد كان خروجه إلى طرابلس في سنة 392هـ[10]،وعند دخوله إلى برقة[11] ،اختلفت عليه أمور العسكر[1]بسبب أنه لم يجد المال

=

سنة390هـ. ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9. وحدده المقريزي بسنة391هـ..المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[1] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.

[2] ابن الأثير،الكامل ،ج8،ص9.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.ابن عذارى،البيان،ج1،ص256.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص56.

[3] ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص9.المقريزي،المصدر السابق،ج1،ص34.

[4] نور الهدى بو خالفة،أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة،ص488.

[5] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص75.

[6] ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج34،2.

[7] الهادي روجي إدريس،الدولة الصنهاجية،ج1،ص137،الإحالة رقم 98.محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،ص282،الإحالة رقم5.

[8] محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،ص282،الإحالة رقم 5.

[9] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص75.ج7،ص56.

[10] ابن عذارى،البيان،ج1،ص256.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص75.وعند ابن الأثير أن سنة خروج يحيى إلى طرابلس هي سنة390هـ. ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9.وعند المقريزي ، هي سنة391..المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[11] ذكر ابن عذارى والمقريزي أن الذي كان يتولاها رجل اسمه زيدان الصقلي.ابن

=

الذي خُصص له لتمويل جيشه[2].بالإضافة إلى" سوء عقله،وضعف تدبيره"[3] فوصل إلى طرابلس[4] في أسوأ حال[5]،فاستخف به فلفول واحتقره[6].

ويبدو أن يحيى أراد أن يستكمل مهمته بضم قابس إليه وجعلها تحت ولايته،في الوقت نفسه ليزود جيشه بما عساه أن يحصل عليه من غنائم،بإلحاق الهزيمة بأنصار باديس[7].فزحف إليها في سنة 393هـ[8] ومعه فلفول بن سعيد ،وفتوح بن علي ،في عساكر زناتة،فحاصروها مدة ثم رجعوا إلى طرابلس[9].

وبعدما رأي يحيى ما وقع فيه من الفشل الذريع،بسبب قلة المال واضطراب حاله وعجزه على أخذ قابس،بالإضافة إلى المضايقات التي تعرض لها من مجاورته لفلفول وجنوده[10]، اضطر أن يرجع مع أصحابه إلى مصر " في أقبح عود"[11] ،وكان ذلك في سنة 394هـ[12]، فأراد الحاكم بأمر الله قتله عقوبة له على فشله،ولكنه عفا عنه [13]بعد أن عرف منه أن المتسبب في اضطراب حاله وفشله هو عامل برقة الذي رفض إمداده بما يحتاجه من المال[14].

ولعل الأسباب التي أدت إلى فشل يحيى بن علي في مهمته،تعود أولا إلى خروجه من مصر بدون أن يجهز جيشه تجهيزا جيدا بسبب عدم حصوله على المال وهو ببرقة ،و قد نتج عن ذلك تمرد عسكره وعصيانهم لأوامره،وتفرق بعضهم عنه.وقد أكد

=

عذارى،البيان،ج1،ص256.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[1] ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص256. المقريزي،المصدر السابق،ج2،ص34.

[2] ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9.المقريزي،المصدر السابق،ج2،ص34. وعند ابن خلدون أن بني قرة اعترضوا طريق يحيى بن علي ببرقة، ففضوا جموعه.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص75.

[3] ابن عذارى، البيان،ج1،ص256.

[4] عند ابن عذارى أن وصول يحيى إلى طرابلس كان في سنة392هـ يوم الجمعة 9 من شهر ربيع الأول.ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص256.

[5] ابن الأثير،الكامل،ج8،ص9.

[6] ابن عذارى،البيان،ج1،ص256.

[7] محمد بن عميرة،دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي،ص283.

[8] ابن الأثير،الكامل،ج8،ص25.ابن عذارى،البيان،ج1،ص256.

[9] ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص25.ابن عذارى،المصدر السابق،ج1،ص256.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج7،ص56.

[10] ذكر ابن الأثير أن فلفول وأصحابه أخذوا خيول يحيى ومن معه بين غصب وشراء.ابن الأثير،المصدر السابق،ج8،ص25.

[11] المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[12] نور الهدى بو خالفة،أنساب القبائل العربية المهاجرة،ص488.

[13] ابن الأثير،الكامل،ج8،ص25.المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[14] المقريزي،المصدر السابق،ج2،ص34.

المقريزي أن معظم جنوده كانوا من بني قرة[1]،وقد خالفوه وهو سائر إلى طرابلس[2] وعند وعند رجوعه إلى مصر[3]،حيث "كسروا عسكره ورجعوا إلى موضعهم"[4]،ولهذا قام الحاكم بأمر الله بمعاقبتهم[5].

وذكر ابن عذارى سببا آخر لهذا الفشل،ويتمثل في نقص كفاءة يحيى وضعفه في قيادة جيشه وإدارة الأمور[6].وأشار ابن الأثير أن من الأمور التي ساهمت في هذا في الفشل أيضا ما أظهره فلفول من سوء المعاملة ليحيى ومضايقته[7]،لأن من غير المستبعد أن فلفول كان هو الآخر له طموح في ولاية طرابلس،خاصة بعدما لقي استقبالا حارا من سكانها وسمحوا له بالدخول إليها،وتنازل عاملها جعفر بن علي له عن ولايتها ، ومن المحتمل أنه لما أرسل للحاكم بأمر الله فروض الطاعة والولاء كان يرغب في أن يعينه واليا على هذه المدينة رسميا،ولكن وعلى ما يبدو فإن الخليفة الفاطمي لم يطمئن لولائه بصفته زناتيا،فأرسل يحيى بن علي ليكون واليا بدلا عنه،وبالتالي حرمه من طموحه في ولاية مدينة طرابلس،فكان من مصلحته أن يفشل يحيى في مهمته،ولهذا ضيّق عليه حتى لا يبقى فيها ويُفضّل الرحيل إلى مصر.

وهكذا كان فشل يحيى في مهمته العسكرية والسياسية **إلى** طرابلس إعلانا بنهاية الدور السياسي والحضاري لأسرة بني حمدون[8]، وقد كان من الممكن لهذه الأسرة أن

---

[1] المقريزي،المصدر السابق،ج2،ص34.

[2] ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص75.

[3] المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[4] المصدر نفسه،ج2،ص34.

[5]ذكر المقريزي أن بني قرة بعدما تفرقوا عن يحيى عند خروجه من المغرب،بعث الحاكم بأمر الله يستدعيهم،فخافوا وامتنعوا،فتحايل عليهم حتى قبض على طائفة منهم وقتلهم. المقريزي،اتعاظ الحنفا،ج2،ص34.

[6] ابن عذارى،البيان،ج1،ص256.

[7] ابن الأثير،الكامل،ج8،ص25.

[8] يرى بعض الباحثين أن بني حمدون استمروا في نشاطهم السياسي بالمغرب ،وكان لهم دور في دولة بني حماد حماد ببجاية ،وفي عهد الدولة الموحدية. مصطفى أبو ضيف أحمد عمر،القبائل العربية في المغرب،ص56.بوخالفة نور الهدى،القبائل العربية،ص488. ويبدو أن هناك خلطا واضحا بين بني حمدون العرب الجذاميين الأندلسيين ،والذين هم موضوع هذه الدراسة ،وبني حمدون وزراء بني حماد. وقد ذكر ابن عذارى أنّه كان لبني الناصر بن علناس بن حماد وزراء يعرفون ببني حمدون،وقد توارثوا وزارتهم.و من أبرزهم ميمون بن حمدون، والذي كان وزيرا ليحيى بن العزيز بالله الحمادي المتولي للحكم سنة 518هـ.وكان لهذا الأمير ولد يسيء معاملة الوزير ميمون وينعته بالشيخ الكذاب،،فخاف على نفسه،واتصل بالموحدين وساعدهم في الاستيلاء على بجاية.ابن عذارى، البيان،ج1،صص309،310،311. وذكر صاحب الحلل الموشية أيضا أنّه "كان بين الخليفة عبد المؤمن وبين ابن حمدون ،وزير صاحب بجاية كتب ومداخلة،فلما سمع به،فتح له باب بجاية." مؤلف مجهول،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة.الدار البيضاء:دار الرشاد الحديثة،ط1،سنة 1399هـ/1979م،ص149.وقد ذكرهم ابن خلدون أيضا في تاريخه،حينما تحدث عن دولة بني حماد،وأخبر أنّ يعقوب بن المنصور أحد حكام الدولة الموحدية نقلهم من =

تجدد مجدها السابق،وتعيد تأسيس إمارة أخرى في طرابلس الغرب،و تحويلها إلى منارة حضارية كسابقتها بإقليم الزاب،لو حالف يحيى بن علي النجاح في تمكين ولايته بطرابلس.ولكن شاء القدر أن تغرب شمس أسرة بني حمدون الأندلسيّة بانعزال يحيى بن على عن مسرح الأحداث،ويُفسح الطريق لأسرة فلفول بن سعيد بن خزرون الزناتي ، لتحكم مدينة طرابلس وتتوارث الحكم بها .

=

بجاية إلى "سلا" بالمغرب الأقصى بسبب اتهامهم بالتحالف مع ابن غانية . ولم يبين ابن خلدون أصلهم، وقد أورد عبارة فيها تحريف وطمس تتحدث عن شخص اسمه حمدون ،وذكر أنّ أصله من صنهاجة البربر، وهذا نصها: "وبنى حمدون وورا بنى حماد وهو حمدون بن سليمان بن محمد بن على بن علم."وأعتقد أنّ الصيغة الصحيحة لهذه العبارة هي"بني حمدون وزراء بني حماد"،وإذا ثبت أنّ هذا هو المراد في هذه العبارة ،فسيكون أصل بني حمدون من صنهاجة.ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج6،صص 202،235،327.

الخاتمة

خـاتمة

لقد كـان هذا البحث محاولـة لمعاينـة **دور أسرة بنـي حمدون الأندلسيّة في المغرب والأندلس خلا ل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، وفـي الوقت نفسه سعيت إلى استكشـاف مـا أحـاط ذلك مـن أحداث تاريخيـة وسياسيـة.وانطلاقا من هذا التصـور،كان من الضـروري الوقـوف علـى الوجـه الآخـر لإمـارة بنـي حمدون،وكـان إبراز جوانبها العمرانية والاقتصادية والثقافية مسلكا لتحقيق ذلك.

وعلى هذا النحو ،وتأسيسا على ما سبق، أفضى بنا البحث إلى مجموعة من النتائج:

يتبين ممّا تقدّم أنّ بنـي حمـدون ينتسبون إلـى أسرة جذاميـة عربيـة أندلسية الموطن،وهي تنتمـي إلـى الشـاميين الـذين اسـتوطنوا الأنـدلس.ويمثـل حمـدون أحد أفرادها،إذ رحل بعائلته من الأندلس إلى المغرب ، واستوطن فـي موضع بالقرب من مرسـى بجايـة،و ربمـا كـان ذلك لأسباب سياسية ومذهبيـة. وقد تكوّنت أسرة حمدون من ولديه أبي عبد الله محمد الأندلسي ،وثعلبة الذي عُرف فيمـا بعد باسم علي.

وفي ظل توسّع أسرة بني حمدون ،نلاحظ انفراد عليّ بن حمدون عن أخيـه أبي عبد الله الأندلسي بأن كوّن أسرة بالمغرب،عن طريق زواجه من امرأة كتامية بربرية،وقد أنجبت لـه جعفرا ويحيـى اللـذين صـارا بعد ذلـك أميـرين علـى إقليم الزاب.وفي ضوء ذلك برزت على مسرح الأحداث في ظل الدولة الفاطمية ،وفي البلاط الأموي بالأندلس.ومن ثم لم تكن هذه الأسـرة عربيـة خالصـة،وإنما كانت بربرية مغربية أندلسيّة.في حين كـان الحضـور السياسـي لأبـي عبـد الله الأندلسـي محـدودا زمنيـا،حتى أنّ أخبـاره انقطعت فـي مرحلـة الـدعوة الفاطميـة فجأة وفق ماورد في المصادر التاريخية.وقد يؤشر ذلك على موته المبكر.

لـم يكـن خافيـا أنّ علاقـة حمـدون بالفـاطميين كانـت محاطـة بكثيـر مـن الغموض ،وبخاصـة مـا اتصـل بطبيعـة العلاقـة وكيفيتهـا،غير أنّ ذلـك انتفـى مـع ابنيـه،حيث اتّضـح مـن خـلال البحـث أنّ أبـا عبـد الله الأندلسـي اتصـل بالـدعوة الفاطميـة منـذ وقت مبكـر، ولـذا اسـتوطن نفس الموضـع الـذي استقر فيـه الـداعي الحلواني،و اتصل بتلاميذه ،وانخرط معهم في الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي ،بل صار من كبار دعاة الإسماعيلية بوصفه عالما ومعلما.

وفي هذا السياق ،يسترعى الانتباه ملاقاة عليّ بن حمدون للداعي أبي عبـد الله الشيعي وتأثـره بـه ،ودخولـه فـي خدمتـه.وذلـك رغم اختلاف الروايـات فـي كيفية اتصاله بالدعوة الفاطميـة .ولاشك أنّ هذا الاتصـال جعل الأخوين يسـهمان في قيام الدولـة الفاطميـة بـالمغرب.وفـي الوقت نفسـه،من غيـر المستبعد أن تكون أسرة بني حمدون قد اعتنقت مذهب التشيع وهي في الأندلس.

وهكذا ستتميز أسـرة بنـي حمـدون الأندلسـية عن غيرهـا مـن الأسر المواليـة للفـاطميين بسـبقها فـي الـدعوة الفاطميـة بـين قبائـل البربر،وهـذا يكشـف أن هـذه

خـاتمة

الدعوة لم تكن محصورة فقط في الدعاة المشارقة.بل كان للفاطميين دعاة للمذهب الإسماعيلي بالأندلس،وهذا قبل أن تظهر لهم دولة بالمغرب.

وسيتضح أيضا أنّ دور أسرة بني حمدون قد تميّز في مرحلة الدعوة الفاطمية بأمرين،حيث إنّها ساهمت أوّلا في إتمام مهمة الحلواني ،والمتمثلة في تهيئة الناس لقدوم صاحب البذر الداعي أبي عبد الله الشيعي؛ وتجلى الأمر الثاني في انخراطها ضمن صفوف الداعي الشيعي، والوقوف في جانبه ،ومساعدته. كما أنّ علي بن حمدون كان في رفقة عبيد الله المهدي عند دخوله إلى المغرب وفي خدمته.

وعليه تبدّت أسرة بني حمدون من أعرق الأسر العربية في خدمة الفاطميين،وساهمت بفعالية في قيام الدولة الفاطمية بالمغرب.

والظاهر أنّ أسرة بني حمدون قد استمرت في ولائها وخدمتها للفاطميين حتى بعد قيام دولتهم. ويلاحظ أنّ علاقتها بالأسرة الفاطمية المالكة قد توثقت بعدما تكفل عبيد الله المهدي برعاية جعفر ويحيى ولدي عليّ بن حمدون ؛وبالأخص حينما أرضعت زوجة علي المعز الفاطمي،والذي صار فيما بعد رابع الخلفاء الفاطميين.

ولعل النجاح الكبير الذي حققه عليّ بن حمدون في سفارته للدولة الفاطمية بالمشرق،وما أظهره من إخلاص وتفان في خدمة ولي العهد أبي القاسم،قد رشحه لإنجاز مشروعيين كبيرين ومهمين بالنسبة لأسرة بني حمدون.أولهما مشروع بناء مدينة المسيلة وتعميرها.إذ بنيت هذه المدينة الجديدة في موقع استراتيجي هام.وفضلا عن ذلك،فإنّه كان موطنا لمجموعة من القبائل البربريةالخارجية والزناتية، وكلها تتفق في معاداتها للدولة الفاطمية ولمذهبها.

وقد اندرج تأسيس الفاطميين لمدينة المسيلة ضمن إستراتيجية عسكرية دفاعية،وقد كان الغرض من ورائها إنشاء قاعدة لهم بإقليم الزاب قريبة من قاعدة تيهرت وهذا لدعمها، ولتكون أيضا معسكرا للجيوش الفاطمية تستريح فيه وتتزود من المؤن في أثناء حركتها في المغرب، وكذلك لكي تساعد على ضبط الأوضاع بالإقليم، و من ثم تصبح سدا منيعا أمام الزحف الزناتي الأموي،ومرصدا لمراقبة القبائل الخارجية المتمردة والمستقرة بالقرب من مدينة المسيلة.

أما فيما يتعلق بالمشروع الثاني، والمتمثل في تأسيس الإمارة،فقد أظهرت أسرة بني حمدون من خلال هذا المشروع مساهمتها في الدفاع عن كيان الدولة الفاطمية ،والمحافظة على نفوذها في إقليم الزاب الواسع ،والعامر بالقبائل المتمردة والمعادية للفاطميين.

وفي هذا الإطار كان لإمارة بني حمدون بإقليم الزاب دورا في وضع نهاية لثورة أبي يزيد الخارجي ،حيث اتخذ الخليفة المنصور مدينتها المسيلة حصنا ومقرا له لمواجهة هذه الثورة، وعقد الاتفاقيات والتحالفات.

خـاتمة

ويمكـن القـول ،إنّ إمـارة بنـي حمـدون قـد بلغـت أوج قوتهـا السياسـية والعسكرية والحضـارية فـي عهد الأمير الحمدوني جعفر الذي خلف أباه علياً ،والذي قتل فـي أثنـاء مواجهتـه لثـورة أبـي يزيـد الخـارجي.و اللافت للانتبـاه أنّ يحيى كان يساعد أخاه الأمير جعفرا في تسيير إمارته.

وكـان مـن الواضـح بـروز قبيلـة بنـي بـرزال المستقرة حـول مدينـة المسيلة كحليف للأمير جعفر بن عليّ،وقد كانت علاقتها الوثيقة مع أسرة بنـي حمـدون سببا في رحيلها إلى الأندلس، وتحوّلها إلى قوة عسكرية وسياسية أثرت علـى المشـهد السياسـي فـي الأنـدلس بعـدما لحقـت بجعفـر بـن علـيّ إثـر قطيعتـه مـع الفاطميين.

ولقد اقترن ضعف ولاء بني حمدون للفاطميين بعهد الخليفة المعز ، حيث فترت هذه العلاقة تدريجيا حتى انتهت إلى القطيعة التامة.و ليس من شك أنّ المنافسة التي كانت بين جعفر بن علـيّ وزيـري بـن منـاد الذي حظي بامتيـازات لدى الخليفة المعز قد كانت سببا رئيسيا في ذلك.

ويبدو جليا أنّ إمارة بني حمدون قد اندرجت من الناحية السياسية والإدارية تحت ما يسمى بإمارة استكفاء (إمارة عقد عن اختيـار) ،وترتـب عـن هذا النـوع من الإمـارة المتبـع فـي التنظيم الإداري للدولـة الفاطميـة منح الأمير صـلاحيات واسعة واستقلالية في إدارة إمـارته مع تبعيتـه للدولة.

والحق أنّ دور إمارة بني حمدون لم يقتصر على حراسة الحدود الغربية للفـاطميين ،بـل تجـاوز ذلـك إلـى تحويـل إمـارتهم إلـى مركـز إشـعاع حضـاري ،فأصـبحت قبلـة للعلمـاء والأدبـاء.ومـن ثـم ازدهـرت مدينـة المسيلة فـي عهـدهم اقتصـاديا و عمرانيـا وثقافيـا. ورغم انـدثار المنشـآت المعماريـة التـي أنشـأها بنـو حمدون في هذه المدينة إلاّ أنّ الشاعر ابن هانئ منحنا إشـارات مهمـة فـي قصـائده تدل على اهتمام بني حمدون بالعمارة والثقافة وحياة الترف.

وعليه، تعتبر قطيعة بني حمدون مع الفاطميين مرحلـة فاصـلة فـي تـاريخ هـذه الأسـرة،إذ تسـبب ذلـك فـي تلاشـي مشـروعها السياسـي والحضـاري بـإقليم الزاب ،وبالخصوص زوال الإمارة . ومن ثم تغيّر دورهـا التـاريخي الذي تجسد أصلا في الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي، وخدمة المشروع الفاطمي منذ أن كـان دعوة إلـى أن صـار دولـة وخلافـة.و أسفر هذا عن دخولها فـي مرحلـة تتنـاقض جوهريا مع ماضيها السياسي والمذهبي،وتحولها مكانيا من منطقة المغرب إلـى الأنـدلس موطنهـا الأول ؛كمـا تحوّلـت سياسيا مـن خدمـة الخلافـة الفاطميـة إلـى موالاة الخلافة الأموية في الأندلس.

وعلـى هذا فالسبب الجـوهري للقطيعـة بين بنـي حمـدون و الفـاطميين هو ذلك التنافس السياسي الذي احتدم بين جعفر بـن علـيّ أمير مسيلة و مجـاوره فـي الولاية زيري بن مناد الصنهاجي أمير أشير، وقد تنامى هذا التنـافس إلـى حد أن

أصبح تحاسدا وعداوة ، وتسارعت وتيرته حينما اختار الخليفة المعز زيري بن مناد ليخلفه على المغرب، بينما منح حكم إفريقية لجعفر الطامح إلى بسط نفوذه على المغرب وإفريقية معا.

والحاصل أنّ التنافس الشديد والعداوة المستحكمة بين أمير المسيلة وأمير أشير دفعت جعفر بن عليّ إلى التحالف مع بني خزر المغراويين والأمويين خصوم زيري بن مناد والفاطميين بقصد إضعافه. ونتيجة افتضاح هذا التحالف اضطر جعفر بن عليّ إلى ترك المسيلة واللجوء إلى زناتة، ثم الرحيل إلى الأندلس ،والاستقرار بها في ظل الرعاية الأموية.

ومن ثم كانت هذه القطيعة ضربة قاسية للدولة الفاطمية ،ومؤشرا على فشل مشروعها التوسعي بمنطقة المغرب لأنّ أسرة بني حمدون المنقلبة عليهم تعتبر من أعرق الأسر ولاءً لهم ،ومن المؤسسين الأوائل لدولتهم.وبالمقابل كانت هذه القطيعة نصرا استراتيجيا ومهما للخلافة الأموية بالأندلس، لأجل ذلك كان الاحتفال بدخول جعفر وأخيه يحيى إلى الأندلس كبيرا وفخما.

وعلى وجه العموم كانت علاقة الأميرين جعفر ويحيى مع الخليفة الأموي الحكم المستنصر وثيقة وودية ،إذ كان يتعامل معهما كما يعامل الوزراء وكبار الدولة. فتكفل برعايتهما وإكرامهما باستثناء محنة السجن التي أصابتهما في عهده، ولكن لم تستمر طويلا إذ سرعان ما استرجعا مكانتهما في البلاط الأموي.وأسند لهما مهمة ولاية المغرب الأقصى،وقد أظهر جعفر بن علي نجاحا وكفاءة ،إذ استطاع أن يضبط الأوضاع ، ويصد هجمات بني زيري الصنهاجيين.وفي هذا السياق التاريخي تعرضت أسرة بني حمدون في ظل الدولة الأموية إلى نزاع عائلي أدى إلى القطيعة بين جعفر بن علي وأخيه يحيى.

وفضلا عن ذلك،فإنّ الحاجب محمد بن أبي عامر استعان بالخبرة العسكرية لجعفر بن عليّ وتعصب البربر له في القضاء على خصمه القائد غالب الناصري ؛ولمّا انفرد بالسلطة انقلب عليه وقتله.

وهكذا بدأت النهاية السياسية لأسرة بني حمدون بمقتل جعفر بن عليّ ،ورحيل يحيى عن الأندلس ولجوئه إلى الفاطميين بمصر معلنا من جديد ولاءه لهم.و كان لفشل يحيى بن علي في مهمته العسكرية التي كلفه بها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في طرابلس ،ثم اختفائه عن مسرح الأحداث إعلانا عن نهاية الدور السياسي لأسرة بني حمدون.

وعلى العموم، كانت مساهمة أسرة بني حمدون في قيام الدولة الفاطمية ،وتثبيت أركانها كبيرة ومهمة،كما أنها تركت بصماتها التاريخية على الخريطة العمرانية والسياسية لمنطقة المغرب حيث إنّها صاحبة الفضل في بناء مدينة المسيلة وتعميرها وتحضيرها.واستطاعت أيضا أن تؤسس لنفسها إمارة قوية ، وساهمت من خلالها في تنشيط منطقة المغرب حضاريا وعمرانيا وثقافيا

خـاتمة

،وبالأخص إقليم الزاب.**والأمر المميّز** لهذه الأسرة أنّها جمعت بين الدور السياسي وما فيه من تناقضات وصراعات، و الدور الحضاري وما فيه من إنجازات .ويمكن اعتبار الاضطراب السياسي الذي تخلل تاريخ أسرة بني حمدون انعكاسا للوضع السائد خلال القرن الرابع الهجري، و ما اعتراه من صراعات مذهبية وسياسية.

وفي الأخير ، لا أدّعي أنني أحطت بكل جوانب الموضوع، فلابد أن هناك بعض الفجوات والنقائص التي تحتاج إلى الإتمام والإكمال وتسليط الضوء عليها.و تظل هذه الدراسة محاولة متواضعة لمقاربة **دور أسرة بني حمدون الأندلسيّة في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**.ولكن أتمنى أن يسهم هذا البحث في كشف جوانب من التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس.

"وما توفيقي إلاّ بالله"

شجرة نسب أسرة بني حمدون[1]

عبد الحميد الجذامـي الشامي

أحمـد

إبراه

حسب ابن حيان و(منصور)لدى البكري و ابن

سعيد

حسب ابن حيان و(مسعود)لدى البكري و ابن

سملك

حسب ابن حيان و(سماك)لدى البكري و ابن

حمدون

ثعلبة(أبو الحسن علي ابن الأندلسي)

269 هـ/334 هـ- 883 م/931 م

أبو عبد الله محمد الأندلسي

جعفر (أبو أحمد)

372هـ/983 م

يحيى (أبو زكريا)

شارك أخاه في حكم

عزيزة

زينب

عمار علي حسن ميمونة سكينة تامة

حمدو

إبراه

علي

(مات صغيرا)

---

[1]- ينظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق : عبد الرحمن علي الحجّي ، صص . 33-34-53 . البكري ، المغرب ،ص59. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج 4 ، صص. 42-107 . ديوان ابن هانىء الأندلسي ، ص 116 .

قصائد ابن هانئ في أمراء بني حمدون[1]
مرتبة ترتيبا زمنيا تقريبيا

قافية المطلع	البحر	عدد الأبيات	الممدوح	التاريخ التقريبي ومكان النظم	ملاحظات
1 شَذْفَا	طويل	71	جعفر بن حمدون	959/348المسيلة	أولى مدائح جعفر
2 نُهَّدْ	منسرح	35	جعفر	959/348المسيلة	
3 رِكَابَا	كامل	61	جعفر	960/349 المسيلة	
4 نَافِثُ	طويل	36	جعفر	960/349 المسيلة	
5 مُسْتَفْرِ	كامل	46	يحيى بن حمدون	960/349 المسيلة	
6 مُقَلْولُ	طويل	60	يحيى	961/350 المسيلة	
7 حَجَمِ	بسيط	17	جعفر	؟961/350المسيلة	مرض جعفر
8 غِرّاءِ	كامل	11	يحيى	؟961/350المسيلة	
9 هَوثْرُ	طويل	90	جعفر	؟961/350الزاب (بعيدا عن المسيلة)	الشاعرمع يحيى؟ إشارة إلى عيدالفطر.
10 مَشُوقُ	طويل	90	جعفر	961/350 (بعيدا عن المسيلة)	
11 البيدِ	كامل	50	يحيى	962/351 المسيلة	قصْدُ يحيى
12 كِتمَانُها	كامل	100	إبراهيم بن جعفر	962/351 المسيلة	وصف قصر إبراهيم
13 دُونِهِ	كامل	36	إبراهيم و (جعفر)	962/351 المسيلة	جعفر في حملة حربية
14 الشرقِ	سريع	76	يحيى	؟962/351المسيلة	
15 فيكِ	كامل	43	يحيى	؟962/351المسيلة	
16 هلاَ حِلُ	كامل	114	جعفر	؟963/352المسيلة	جعفر بالقيروان؟
17 نديمُ	كامل	13	إبراهيم	؟963/352المسيلة	
18 يُؤرقهْ	طويل	62	جعفر و (إبراهيم)	؟963/352المسيلة	إبراهيم في حملة بالمغرب؟
19 تَبلِّجَا	طويل	39	يحيى	؟963/352	
20 منكِ	خفيف	29	إبراهيم	؟963/352	

---

[1] محمد اليعلاوي،ابن هانئ المغربي الأندلسي(شاعر الدولة الفاطمية)،من ص68إلىص71.

21 حَسدْ	رمل	97	رثاء الحفيد	؟	
22 النَّذْرُ	كامل	61	رثاء الأم	؟	
23 يُنْتَهَى	متقارب	86	رثاء الأم	؟	تحريض الأخوين على الوفاق
24 الكُدرْ ي	طويل	90	جعفر ويحيى	352؟/963 المسيلة	يشفع في يحيى؟
25 نظمُ	طويل	14	جعفر	352؟/963 المسيلة	يشفع في يحيى؟
26 حاكمُ	طويل	65	يحيى	964/353 المسيلة	
27 البُهمْ	متقارب	75	جعفر	964/353؟ المسيلة	شكو الشاعر
28 ردْعُ	طويل	35	جعفر	967/356؟ المسيلة أو القيروان؟	تحذيره من الأمويّين؟
29 الأسْدُ	طويل	60	جعفر	967/356؟ من القيروان	ذكر قلعة كيانة

قائمة المصادر والمراجع

المصـادر

ابن الأبار ،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت635هـ/1238م):
1_تكملة لكتاب الصلة،تحقيق عبد السلام الهراس.بيروت:دار الفكر ،سنة.1995
2_الحُلَّة السيَرَاء،تحقيق حسين مؤنس:القاهرة:دار المعارف،ط2،سنة .1985
3_**ابن الأثير** ،علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزيري الشيباني (ت630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ ،تحقيق أبـو الفداء عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلميـة،ط2،سنـة 1415هـ / .1995
4_**الإدريسي** ،أبو عبد الله محمد الشريف السبتي(ت 548هـ/ 1154م): المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق،تحقيق محمد صادق الحاج.ديوان المطبوعات الجامعية،سنة 1983.
5_**إدريس** ، عماد الدين الداعي (ت872هـ/ 1468مـ):تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار،تحقيق محمد اليعلاوي.لبنان:دار الغرب الإسلامي،ط1،سنة .1985
6_**ابن بسَّام،** أبو الحسن عليّ الشَّنتَرينيّ(ت543هـ/1147م):الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تحقيق سالم مصطفى البدري.بيروت:منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،ط1،سنة 1419هـ/1998مـ.
7_**ابن بَشكُوَال،** أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت سنة 578هـ/1183م):كتاب الصِّلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهوّاري.بيروت:المكتبة العصرية،ط1،سنة 1423هـ/2003مـ،.
8_**البغدادي**،**عبد القاهر بن محمد (ت**429هـ**)**:الفَرق بين الفِرق،تحقيق،محمد محي الدين عبد الحميد.بيروت:دار المعرفة للطباعة والنشر،(د.ت)
9_**البكري** ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز المرسي (ت487هـ/ 1094م):المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تحقيق دوسلان De Slane. القاهرة: دارالكتاب،(د.ت)
10_**التجاني** ،أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (كان موجودا في سنة 702هـ/ 1309م):رحلة التجاني ،قدم لها حسن حسنى عبد الوهاب.تونس:المطبعة الرسمية،سنة 1958.
11_**ابن تغري برد ي**،جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت874هـ/ 1469م):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.مصر:مؤسسة مصر:المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،دون تاريخ.
12_**الجوذري** ، أبو علي منصورالعزيزي، (أواخر القرن الرابع الهجري) :سيرة

الأستاذ جوذر،تحقيق محمد كامل حسين و محمد عبد الهادي شعيرة.مصر:دار الفكر العربي،(د.ت).
ابن حزم الأندلسي،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت456هـ/1063م):
13_جمهرة أنساب العرب،تحقيق عبد السلام هارون.مصر:دار المعارف،سنة.1962
14_رسائل ابن حزم،تحقيق إحسان عباس.بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،سنة.1981
15_**ابن حماد** ،أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد(ت 628هـ/ 1230م):أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم،تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس.القاهرة:دار الصحوة،سنة1401هـ.
الحموي ، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الروميّ(ت626هـ/1229مـ):
16_معجم البلدان.بيروت:مكتبة الخياط،(د.ت).
17_مُعجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.بيروت:دار الكتب العلمية،ط1، سنة 1411هـ/1991م.
18_**ابن حوقل**:أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (ت 367هـ)،صورة الأرض.بيروت:منشورات دار مكتبة الحياة ،(د.ت)
19_**الحميدي** ،أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي(ت488هـ/1095م) :جذوة المُقتبس في ذكر ولاة الأندلس،تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي.بيروت:منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية،ط1،سنة.1997
20_**الحميري**،محمد بن عبد المنعم السبتي الحميري(ت.في أواخر القرن التاسع الهجري/ 15م) :الروض المعطار في خير الأقطار،تحقيق إحسان عباس.بيروت:مكتبة لبنان،ط2،سنة 1984.
ابن حيان ،أبو مروان حيان بن خلف القرطبي(ت469هـ/1076م):
21_المقتبس(الجزء الخامس)، نشرها ب.شالميتا بالتعاون لضبطها وتحقيقها مع ف.كورينطي و م.صبح وغيرهما .مدريد:المعهد الإسباني العربي للثقافة،كلية الآداب بالرباط،سنة .1979
22_المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي.بيروت:دار الثقافة،(د.ت)
23_**ابن خاقان** ،أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الاشبيلي(ت535هـ/ 1134م): مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس،تقديم وتحقيق وتعليق مديحة الشرقاوي.مصر:مكتبة الثقافة الدينية،ط1،سنة.2001
24_**ابن خلدون**،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت 808هـ/ 1405م):تاريخ ابن

خلدون المسمى:ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار.بيروت:دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع،سنة.2000
25_**ابن خلكان** ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت .681هـ/ 1181مـ) :
وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تحقيق إحسان عباس.بيروت:دار الثقافة،سنة.1968
26_**الدّوادارِي**، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك(ت 736هـ/ 1335م):كنز الدُّرَر و جامعُ الغُرَر،الدّرة المضِيّة في الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدّين المنجد.القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار،سنة 1380هـ/1961مـ،
27_**ابن أبي دينار** ،أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيراوني(ت1110هـ/1699م):المُؤنس في أخبار إفريقية وتونس.تونس:المكتبة العتيقة،ط2،سنة.1967
28_**ابن رشيق** ،أبوعليّ الحسن (ت.456هـ/ 1064مـ) :العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،تحقيق عبد الحميد هنداوي.بيروت:المكتبة العصرية،سنة 1424هـ/2004مـ.
29_**الزبيدي**،السيد محمد مرتضى الحسيني(ت1205هـ):تاج العروس من جواهر القاموس.بيروت:منشورات دار مكتبة الحياة،ط1،سنة 1306هـ.
30_**أبو زكرياء** ، يحيى بن أبي بكر(ت سنة 471هـ):كتاب سير الأئمة وأخبارهم،تحقيق إسماعيل العربي.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،ط3،سنة1984.
ابن سعيدالمغربي،أبو الحسن علي بن موسى(ت568هـ/1286):
31_كتاب الجغرافيا،حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،ط2،سنة1982.
32_المغرب في حلى المغرب،تحقيق شوقي ضيف.القاهرة:دار المعارف،ج2،ط3،سنة1955.
33_**الشهرستاني** ،محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548هـ) :الملل والنحل،تحقيق محمد سيد كيلاني.بيروت:دار المعرفة،سنة1404هـ.
34_**ابن الصغير**(عاش في القرن الثالث الهجري):أخبار الأئمة الرستميين،تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز.بيروت:دار الغرب الإسلامي،سنة 1406هـ/1986مـ.
35_**ابن عبد الحكم** ،عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت سنة 214هـ/829م) :فتوح إفريقيا والأندلس ،تحقيق عبد الله أنيس الطبّاع . بيروت:الشركة العالمية للكتاب،دار الكتاب اللبناني ،دار الكتاب العالمي،سنة .1987
36_**ابن عذارى** ، المراكشي أبو العباس أحمد بن عذارى(كان حيا

سنة712هـ/1312م):
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (الجزء الأول والثاني) ، تحقيق ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال.بيروت:دار الثقافة،ط2،سنة 1400هـ1980مـ،1.
37_**الغبريني** ،أبو العباس أحمد بن أحمد(ت سنة 704هـ):عُنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،تحقيق رابح بونار.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة .1981
38_**الفراهيدي**،الخليل بن أحمد (ت سنة 175هـ):كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي.بيروت:منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية .
_**القاضي النعمان**،أبو حنيفة بن محمد المغربي(ت363هـ/973م) :
39_افتتاح الدعوة،تحقيق فرحات الدّشراوي.تونس:الشركة التونسية للطباعة والنشر،سنة .1975
40_كتاب المجالس والمسايرات،تحقيق الحبيب الفقي و إبراهيم شبُّوح و محمد اليعلاوي.تونس:المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،سنة .1978
41_**ابن القوطية** ،أبو بكر محمد بن عمر (ت367هـ/ 977م):افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري.القاهرة:دار الكتاب المصري ،بيروت:دار الكتاب اللبناني،ط1،سنة 1402هـ/1982م.
لسان الدين بن الخطيب،أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت776هـ/1374م):
42_الإحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق محمد عبد الله عنان.القاهرة: الشركة الوطنية للطباعة والنشر،مج2،ط1،سنة.1974
43_تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام،تحقيق إ.ليفي بروفنسال.بيروت:دار المكشوف، ط2،سنة.1956
44_تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط،القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ،تحقيق أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني.الدار البيضاء:دار الكتاب،سن .1964
45_**مؤلف مجهول**:الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة.الدار البضاء:دار الرشاد الحديثة،ط1،سنة 1399هـ/1979م.
46_**مؤلف مجهول** (عاش في القرن 6هـ/ 12م):كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار،تحقيق سعد زغلول عبد الحميد.الدار البيضاء،المغرب:دار النشر العربية،سنة .1985
47_**مؤلف مجهول** (كان حيا سنة 712هـ/ 1312م):مفاخر البربر،تحقيق عبد القادر بوباية.الرباط:دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ط1،سنة2005.
48_**الماوردي** ، أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري:الأحكام السلطانية والولايات الدينية(ت450هـ).الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،سنة.1983
49_**المراكشي** ، محي الدين عبد الواحد بن علي(ت.في النصف الثاني من القرن

7هـ/ 13م):المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد سعيد العريان.القاهرة:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة إحياء التراث،سنة1383هـ/1963مـ

50_**المقري** ،شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/ 1632م):نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تحقيق إحسان عباس.بيروت:دار صادر، سنة1997.

المقريزي،أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي(ت845هـ/1441م):

51_اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،تحقيق جمال الدين الشيال.القاهرة:وزارة الأوقاف،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة إحياء التراث الإسلامي،ط2،سنة.1996

52_اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،تحقيق محمد حلمى محمد أحم د.القاه رة:المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة التراث الإسلامي،سنة1971مـ.

53_**ابن منظور**، أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين **(ت711هـ)**:لسان العرب،نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه علي شيري.بيروت،لبنان:دار إحياء التراث العربي،ط1،سنة 1408هـ/1988م.

54_**النويري** ،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت755هـ/ 1333م):تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب،تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف حمد.الدار البيضاء:دار النشر المغربية.

55_**الوزان** ، أبو علي الحسن بن محمد الفاسي (ت 957هـ/ 1550 م): وصف إفريقيا ،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر.بيروت:دار الغرب الإسلامي،الرباط:الشركة المغربية للناشرين،ط2،ج2،سنة.1983

56_**ابن هانئ الأندلسي** (ت362هـ/ 973م)، ديوان ابن هانئ الأندلسي:شرح وتعليق حمدو أحمد طمّاس.لبنان:دار المعرفة،ط1،سنة1426هـ/.2005

57_**اليعقوبي**،أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت سنة 284هـ) :البلدان،وضع حواشيه محمد أمين ضناوي.بيروت:دار الكتب العلمية،ط1،سنة2002.

المصادر العربية المحققة باللغة الأجنبية:

58_Al-Mauqaddasi(375/985)Description Musulman au IV= X siècle,texte arabe et traduction française par Charles Pellat.Alger: edition carbonel,1950.

المراجع:

59_**أحمد خالد** :ابن هانئ. الجزائر:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،تونس:الشركة التونسية للتوزيع،سنة 1976.

60_**إدريس ،الهادي روجي** :الدولة الصنهاجية،تاريخ إفريقية في عهد بني زيري

من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية حمّادي الساحلي.بيروت:دار الغرب،ط1،سنة 1992.

61_**بالنثيا ،آنخيل جنثالث** :تاريخ الفكر الأندلسي،نقله عن الإسبانية حسين مؤنس.مصر:مكتبة الثقافة الدينيّة،(د.ت).

62_**البستاني، بطرس** :أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث _ حياتهم _ آثارهم _ نقد آثارهم.لبنان:دار مازن عبود،،(د.ت).

63_**بونار**، رابح :المغرب العربي تاريخه وثقافته.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

64_**الجبوري، كامل** :معجم الشعراء في معجم البلدان.لبنان:مكتبة لبنان،ط 1،سنة 2002مـ.

65_**جودت، عبد الكريم يوسف** :الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9 _ 10مـ).الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية.

66_**الجيلالي ،عبد الرحمن بن محمد** :تاريخ الجزائر العام.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،ط7،سنة 1415هـ/1994.

67_**الحاجري، محمد طه** :مرحلة التشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية.بيروت:دار النهضة العربية،ط1،سنة 1983.

68_**الحداد ،محمد حمرة** :المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية(في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنهوض الأثرية والوثائقية والتاريخية).القاهرة:مكتبة زهراء الشرق،ط1،سنة 2001.

69_**حسن ،إبراهيم حسن** : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصروسوريةوبلاد العرب.القاهرة:مكتبة النهضة المصرية،ط2،سنة1958.

70_**حسن ، إبراهيم حسن** ،و **طه أحمد شرف** :المعز لدين الله.مكتبة النهضة المصرية،ط2،سنة1964.

71_**حَسن ،حُسني عبد الوهاب** :ورقات عن الحضارة العربيَّة بافريقية التونسية.تونس:مكتبة المنار،سنة 1966.

72_**حسن ،علي إبراهيم** :تاريخ جوهر الصقلي،قائد المعز لدين الله الفاطمي.القاهرة:مكتبة النهضة المصرية،ط2،سنة1963.

73_**الحفناوي، أبو القاسم محمد** :تعريف الخلف برجال السلف.الجزائر:موفم للنشر،ج1،سنة.1991

74_**الدشراوي،فرحات** :الخلافة الفاطمية بالمغرب،التاريخ السياسي والمؤسسات،نقله إلى العربية حمادي الساحلي.بيروت:دار الغرب،ط1،سنة1994.

75_**الزركلي ،خير الدين** :الأعلام،قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .بيروت: دار العلم للملايين،ط5،سنة،ج2،سنة

1980.
76_**سالم ، السيد عبد العزيز** :تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر،سنة 1408هـ/1988مـ.
77_**سعيدوني ، ناصر الدين** :دراسات أندلسية،مظاهر التأثير الإلبيري والوجود الأندلسيّ بالجزائر.بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط1،سنة.2003
78_**السلاوي**، الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ/1898م): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري:الدار البيضاء:دار الكتاب،ط1،سنة1972.
79_**شبارو ،عصام محمد** :الأندلس من الفتح المرصود إلى الفردوس المفقود.بيروت:دار النهضة العربية،ط1،سنة.2002
80_**الصّالح ،صبحي** :النظم الإسلامية نشأتها و تطوّرها.بيروت:دار العام للملايين.
81_**بن أبي الضياف ،أحمد** : إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار.تونس:الدار التونسية للنشر،سنة .1976
82_**أبو ضيف،مصطفى أحمد عمر** :القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية.
83_**الطالبي، محمد** :الدولة الأغلبية،التاريخ السياسي،نقله إلى العربية المنجي الصيّادي.لبنان:دار الغرب الإسلامي،(د.ت).
الطمار محمد :
84_تاريخ الأدب الجزائري.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،سنة .1981
85_الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة .1983
86_**عارف تامر**:ابن هانئ الأندلسيّ،متنبي الغرب.بيروت:منشورات دار الشرق الجديد،ط1،سنة .1961
87_**العبادي، أحمد مختار** :في تاريخ المغرب و الأندلس.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
88_**بو عزيز يحيى** :أعلام الفكر والثقافة في الجزائر.بيروت:دار الغرب الإسلامي،سنة1995.
عنان ،محمد عبد الله :
89_تراجم إسلامية شرقية وأندلسية.القاهرة:مكتبة الخانجي،ط 2،سنة 1390هـ/1970مـ.
90_دولة الإسلام في الأندلس،الخلافة الأموية والدولة العامرية،العصر

الأول.القاهرة:مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط4،سنة 1963/1389مـ.
91_دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي،العصر الثاني من كتاب دولة الإسلام في الأندلس.القاهرة:مكتبة الخانجي،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر،ط2،سنة 1389هـ/1969مـ.
92_**بن عميرة، محمد** :دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،سنة1984.
93_**غُومِسْ ،قَرْسِيةَ** :الشعر الأندلسي،ترجمة حسين مؤنس.القاهرة:مكتبة النهضة المصرية.
94_**الفاخوري، حنّا** : تاريخ المغرب العربي، بيروت:دار الجيل،ط1،سنة 1996.
95_**فرُّوخ ، عمر** :تاريخ الأدب العربي ، الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف.بيروت:دار للملايين،ط2،سنة 1984.
96_**فيلالي ،عبد العزيز** :العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب.الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة.1982
97_**كرّو ،أبو القاسم محمد** : ابن هانئ الأندلسيّ متنبيّ الغرب.تونس:الدار العربية للكتاب، سنة 1984.
98_**الكعاك ،عثمان** :موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي.بيروت:دار الغرب الإسلامي.
99_**لقبال،موسى** : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية .الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،سنة 1979.
100_**مؤنس ، حسين:** تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي،من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين.لبنان:العصر الحديث للنشر والتوزيع،ط1،سنة 1412هـ/1992مـ.
101_**المدني، أحمد توفيق** :كتاب الجزائر.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،ط2،سنة.1984
102_**مرمول ، محمد الصالح** :السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي.الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،سنة 1983.
103_**مكي ، محمود علي** :التشيُّع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية.القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية،ط1،سنة.2004
104_**الميلي، مبارك بن محمد** :تاريخ الجزائر في القديم والحديث.الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب.
105_**نصر الله ،سعدون:**تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة.بيروت:دار النهضة،ط1،سنة.2003
106_**نويهض ،عادل** :معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر.بيروت:مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر،ط 3،سنة

1407هـ/.1983.
107_**وجدي، محمد فريد** :دائرة معارف القرن العشرين،بيروت:دار المعرفة للطباعة والنشر،ط3.
108_**اليعلاوي ، محمد** :ابن هانئ المغربي الأندلسي،شاعر الدولة الفاطمية.بيروت:دار الغرب الإسلامي،سنة 1405هـ/1985مـ.

الرسائل الجامعية المخطوطة

109_**بوخالفة، نور الهدى** :أنساب القبائل العربية المهاجرة بمواليها إلى بلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة.وهران:جامعة وهران،معهد التاريخ، رسالة دكتوراه الدولة(مخطوطة)،السنة الجامعية: 1994-1995.
110_**بن معمر، محمد** :العلاقات السياسيةوالروابط الثقافيةبين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس الهجريين.وهران:كليةالعلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران،رسالة دكتوراه(مخطوطة)،السنة الجامعية2002/2001.

المراجع الأجنبية:

111_ **Cambuzat** Paul-louis ,L'evolution des cités du Tell en Ifrikiya du Vll au Xl siècle.Alger :office des publication universitaires.
112_**Despois** Jean**, Raynal** Réne,Géogrophie de l' afrique du nord-ouest.Paris:Payot,1975.
113_**Gaid** Mouloud:Les Berbers dans l' histoire ,de la kahina à l' occupation Turque.Alger :Edition Mimouni,tome2.
114_ **Golvin** .L,Le Magrib Central a l'époque des Zirides,Recherches d' Archéologie et d'Histoire.Paris :arts et métiers graphiques ,1957.
115_ **Julien Charles-andré** :Histoire de l'afrique du nord,de la conquete arabe à 1830 .Alger :S.N.E.D ,1978.
116_**Lèvi-Provençal**, Histoire de l'Espagne Muslaman ,le califat umaiyad de Cordoue. Paris:Edition C.P .Maisonneuve,Ed.E.J.Brill,1950,tome2.
117_**Lèvi-Provençal**,Histoire de l'Espagne Musulmane,le siècle du cordoue.Paris: C.P. Maisonneuve,1953,tome3.
118_ **Marçais** Georges:la Berbérie Musulmane & l'orient au moyen

age ,Afrique Orient ,1991.

المجـلات:

119_**بورويبة**،رشيد :أشير عاصمة بني زيري.مجلة الأصالة، الجزائر،السنة الثالثة،العدد 12،شهر ذي الحجة 1392هـ _ محرم 1393هـ/جانفي _ فيفري 1973مـ.
120_**بن ذياب**،أحمد :المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها جعفر بن علي.مجلة الأصالة، الجزائر،العدد7،السنة الثانية،صفر _ ربيع الأول 1392هـ/ مارس _ أفريل 1972مـ.
121_**سعيدوني**، ناصر الدين :المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ود ورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامية.مجلة الثقافة، الجزائر،العدد الثامن،السنة الرابعة عشرة،شهر جمادى الثانية_ رجب1404هـ/مارس _ أبريل 1984مـ.
122_**الشيخلي** ، صباح إبراهيم :النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/ 10مـ،دراسة من خلال"صورة الأرض" لابن حوقل.مجلة التاريخ المغربي،مجلة علمية تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة،المغرب،العدد السادس،شهر ربيع 1419هـ/1998مـ.
123_**بوعبدلي**، المهدي :ماضي المسيلة السياسي والثقافي عبر التاريخ والخلاف بين زيري بن مناد وجعفر بن عليّ أمير مسيلة.مجلة التاريخ، الجزائر،العدد 6،جويلية .1978
124_**لقبال** ، موسى :طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصر الوسطى،مجلة الأصالة،الجزائر،العدد 61/60،رمضان- شوال1398هـ/أوت- سبتمر 1978مـ.
125_**اليعلاوي** ، محمد :بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ لأندلسي، مجلةالأصالة، الجزائر، السنة (4) ،العدد(24)،مارس أبريل،مطبعة البعث قسطينة،السنة 1975.

الفهرس

فهرس